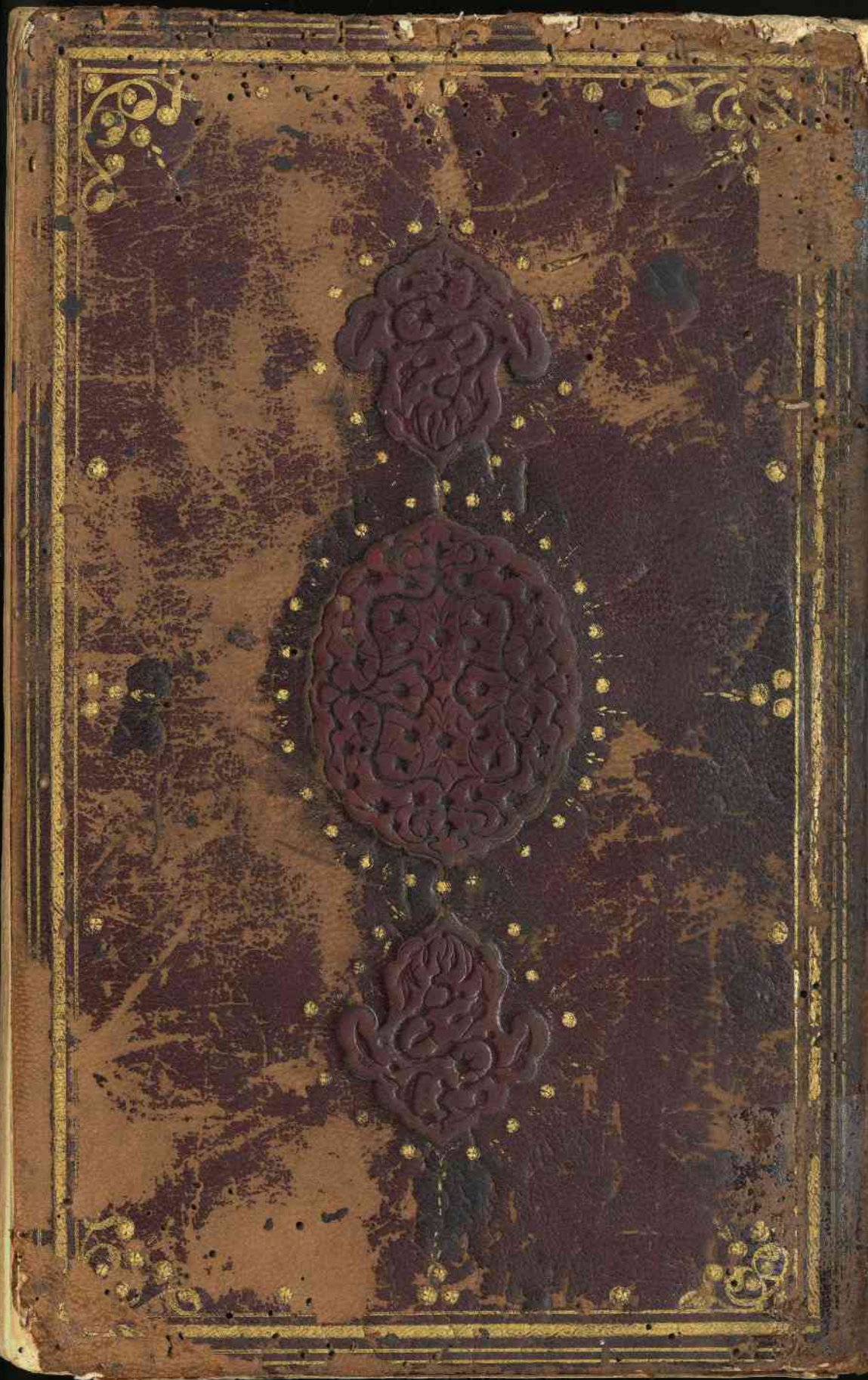

نمرة وصول الكتاب ٨٩٧٧
" متسلسلة ٤٠٥٦٥ ج
" الخزانة
" الرف

تمت الكتاب

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
استكتب هذا الكتاب المبارك عبد ربه الفقير
الى كرم الله واحسانه ابرهيم بن خليل
الخزينجي في دار الملك محروسة الجزائر
واجبا ذلك توفر الخيرات وتيسير
طريق الحسنات وطالبا ممن يقرأ فيه
او يطالعه ان يخصه بالفاتحة
والترحم بعد الممات والهداية
والتوفيق في مدة الحيات
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما
وذلك
سنة ١٢٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي الفقيه الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن
عياض اليحصبي رضي الله تعالى عنه الحمد لله المنفرد
باسمه الاسماء المختص بالملك الاعز الاحمى الذى
ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى الظاهر لا تخيلا ووهما
والباطن تقدسا لا عدما وسع كل شئ رحمة وعلما
واسبغ على اوليائه نعما تمما وبعث فيهم رسولا من انفسهم
انفسهم عربا وعجما وازكاهم محتدا ومنمى وارجحهم عقلا
وحلما واوفرهم علما وفهما واقواهم يقينا وعزما
واشدهم بهم رأفة ورحمى زكاه روحا وجسما وحاشاه عيبا
ووصما واتاه حكمة وحكما وفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا
وآذانا صما فامن به وعزره ونصره من جعل الله له فى مغنم
السعادة قسما وكذب به وصد عن اياته من كتب الله
عليه الشقاء حتما ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى
صلى الله تعالى عليه صلاة تنمو وتنمى وعلى اله وسلم تسليما

اما بعد

اما بعد اشرق الله تعالى قلبي وقلبك بانوار اليقين ولطف لي
ولك بما لطف به لاوليائه المتقين الذين شرفهم الله بنزل
قدسه واوحشهم من الخليقة بانسه وخصهم من معرفته
ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حيرة
ووله عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همتهم به واحدا
ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا فهم بمشاهدة جماله وجلاله
يتنعمون وبين آثار قدرته وعجائب عظمته يتردّدون و
بالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعزّزون لهجين بصادق
قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت علي السؤال
في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى عليه السلام وما
يجب له من توقير واكرام وما حكم من لم يوقر واجب عظيم ذلك الحق
اوقصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لا سلافنا
وأئمتنا في ذلك من مقال وابينه بتنزيل صور وامثال
فاعلم اكرمك الله تعالى انك تملتني من ذلك امرا امرا وارهقتني
فيما ندبتني اليه عسرا وارقيتني بما تكلفتني مرتقى صعبا
ملأ قلبي رعبا فان الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير
فصول والكشف عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب
للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويضاف اليه اويمتنع اويجوز
عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة والخلة
وخصائص هذه الدرجة العلية وهاهنا مهامه فيح تحار فيها الفطا
وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها الاحلام ان لم تهتد
بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها الاقدام ان لم تعتمد
على توفيق من الله تعالى وتاييد لكني لما رجوته لي ولك في

هذا السؤال والجواب ● من تواليف وقوائد ● بتعريف قدره الجسيم
وخلقه العظيم ● وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق
وما يداني الله تعالى به من حقه الذي هو ارفع الحقوق ● ليستبشر
الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ● ولما اخذ الله
تعالى على الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ولما
حدثنا به ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمة الله تعالى بقرائتي
عليه قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا ابو عمر النمري قال ثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن قال ثنا ابو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الاشعث
ثنا موسى بن اسمعيل ثنا حماد قال انا علي بن الحكم عن عطاء عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فبادرت
الى ذلك سانحة عن وجه الغرض مؤدية من ذلك الحق المفترض
اختلستها على استعجال لما املم بصدده من شغل البدن والبال
بما طوقه من قلائد المحنة التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل
فرض ونفل ● وترد بعد حسن التقويم الى اسفل سفل ولو اراد الله
عز وجل بالانسان خيرا لجعل شغله وهمته كله فيما يجد غدا
ولا يكدره محله ● فليس ثم سوى حضرة النعيم او عذاب الجحيم
● ولكان عليه بحويصته ● واستنقاذ مهجته بعمل صالح
يستزيده ● وعلم نافع يفيده او يستفيده ● جبر الله صدع
قلوبنا ● وغفر عظيم ذنوبنا ● وجعل جميع استعدادنا
لمعادنا ● ووفر دواعينا فيما ينجينا ● ويقربنا اليه تعالى
زلفى ويحظينا ● بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت
تبويبه ● ومهدت تأصيله ● وخلصت تفصيله واتحت

شعرة

حصره

حصره وتحصيله ● ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى
صلى الله تعالى عليه وسلم وحصرت الكلام فيه فى اقسام اربعة
القسم الاول فى تعظيم الله تعالى الاعلى ● لقدر هذا النبى قولا
وفعلا وتوجه الكلام فيه فى اربعة ابواب الباب الاول فى ثنائه
تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه ● وفيه عشرة فصول
الباب الثانى فى تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع
الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا ● وفيه سبعة وعشرون
فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه الله تعالى به فى الدارين
من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا الباب الرابع فيما اظهره الله
تعالى على يديه من الايات والمعجزات وشرفه به من الخصائص
والكرامات ● وفيه ثلاثون فصلا القسم الثانى فيما يجب
على الانام ● من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب القول
فيه فى اربعة ابواب الباب الاول فى فرض الايمان به ووجوب
طاعته ● واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثانى
فى لزوم محبته ومناصحته ● وفيه ستة فصول الباب الثالث
فى تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب
الرابع فى حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته
وفيه عشرة فصول القسم الثالث فيما يستحيل فى حقه وما يجوز
عليه وما يمتنع وما يصح من الامور البشرية ان يضاف اليه ●
وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب
وما قبله له كالقواعد والتمهيدات ● والدلائل على ما نورده
فيه من النكت البينات ● وهو الحاكم على ما بعده ● والمبين

من غرض هذا التأليف وعده وعند التقضي لموعدته
والتقضي عن عهدته ينشرق صدر العدو اللعين ● وينشرق
قلب المؤمن باليقين ● وتملأ انواره جوانح صدره ● ويقدر
العاقل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حق قدره ● ويتحرر
الكلام فيه في بابين الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية
ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب
الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض
البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه
الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام ● وينقسم الكلام
فيه الى بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص
من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانيه
● ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته ● وذكر استتابته والصلاة
عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث
جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين الذين قبله
في حكم سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة
فصول وبتمامها ينجز الكتاب ● وتتم الاقسام والابواب
ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة ● وفي تاج التراجم درة
خطيرة تزيح كل لبس ● وتوضح كل تخمين وحدس ● وتشفي
صدور قوم مؤمنين ● وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين
وبالله لا اله الا هو الملك الحق استعين القسم الاول في تعظيم
العلي الاعلى لقدر المصطفى قولا وفعلا قال الامام القاضي
ابو الفضل وفقه الله تعالى وسدده لاخفاء على من مارس شيئا

من العلم

من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا
عليه الصلاة والسلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن
ومناقب لا تنضبط لزمام وتنوهه من عظيم قدره بما تكل
عنه الالسنة والاقلام ● فمنها ما صرح به تعالى في كتابه
ونبه به على جليل نصابه واثنى عليه من اخلاقه وآدابه و
خص العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي
تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه
الجزاء الاوفى فله الفضل بدأ وعودا والحمد اولى واخرى ومنها
ما ابرزه للعيان من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه
بالمحاسن الجميلة والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل
العديدة وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات
البينة التي شاهدها من عاصره ورآها من ادركه وعلمها علم يقين
من جاء بعده حتى انتهى علم ذلك الينا وفاضت انوارها علينا
صلى الله عليه وعلى اله وسلم تسليما كثيرا اثنا القاضي الشهيد
ابو علي الحسين بن محمد الحافظ قراءة مني عليه ثنا ابو الحسين
المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا ثنا
ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي قال ثنا محمد بن احمد بن محبوب
قال ثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا اسحق بن منصور قال
ثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب
عليه فقال له جبريل ايحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله
تعالى منه قال فارفض عرقا الا بابا الاول في ثناء الله تعالى عليه
واظهاره عظيم قدره لديه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم

اصل
حقيقة

ان فى كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله
عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها
على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك فى عشرة فصول
الفصل الاول فيما جاء من ذلك مجى المدح والثناء وتعداد المحاسن
كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية قال السمرقندى
وقرأ من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال القاضى
الامام ابو الفضل اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة
او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون
صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لم لكونه منهم
وانه لم يكن فى العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى
قوله تعالى الا المودة فى القربى وكونه من اشرفهم وارفعهم
وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد
باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم
ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم فى دنياهم
واخراهم وعزته عليه ورافته ورحمته بمؤمنهم قال بعضهم
اعطاه الله اسمين من اسمائه رؤف رحيم مثله فى الاية الاخرى
قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم الاية وفى الاية الاخرى هو الذى بعث فى الاميين
رسولا منهم الاية وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية
وروى عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فى قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا

حضم

وحسبا

كلها

وحسبا ليس في اباء من لدن آدم سفاح كلنا نكاح قال ابن الكلبي
كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت
فيهن سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية وعن ابن عباس
في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجتك
نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته فعرفهم
ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينهم
وبينه رسولا مخلوقا من جنسهم في الصورة والبسه من نعته الرأفة
والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته وموافقته
لطاعته سواء فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله
وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجي
في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب الا ترى ان الله
تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت حياته رحمة
ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم
وكما قال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا وقال اللهم قد ذي رحمة للعالمين
يعني للانس والجن وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة
للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير العذاب قال
ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم
من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت
اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة

عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين وروى عن جعفر بن محمد
الصادق فى قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اى بك
انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال الله تبارك وتعالى الله نور السموات والارض الاية قال
كعب وابن جبير المراد بالنور الثانى هنا محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله تعالى مثل نوره اى نور محمد صلى الله عليه وسلم
وقال سهل بن عبد الله المعنى الله هادى اهل السموات والارض
ثم قال مثل نور محمد اذ كان مستودعا فى الاصلاب كمشكوة
صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة صدره اى كانه كوكب
درى لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة اى من
نور ابراهيم عليه السلام وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله
تعالى يكاد زيتها يضئ اى تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
تبين للناس قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل فى هذه الاية غير هذا
والله اعلم وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا الموضع نورا
وسراجا منيرا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله
باذنه وسراجا منيرا ومن هذا قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
الى اخر السورة شرح وسع والمراد بالصدر هنا القلب قال
ابن عباس شرحه بالاسلام وقال سهل بنور الرسالة وقال
الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك
الوسواس ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف
من ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل اراد ثقل الجاهلية وقيل ما انقل
ظهره من الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل

عصمناك

عصمناك ولولا ذلك لانقلت الذنوب ظهرك حكاه السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى ابن آدم بالنبوة وقيل اذا ذكرت
ذكرت معي فقول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل في الاذان
قال القاضي ابو الفضل هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه
صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده
وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه
لوعي العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه
وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله
وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس
ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعه
ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله تعالى ذكره
في الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله روى ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل فقال
ان ربي وربك يقول تدري كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم
قال اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان
بذكري معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني
وقال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني
بالربوبية واشار بعضهم في ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه
ان قرن طاعته بطاعته وآسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول
وآمنوا بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز
جمع هذا الكلام في غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ
ابو علي الحسين بن محمد الجياني الحافظ فيما اجازنيه وقرأته

ورفعنا

على الثقة عنه قال حدثنا ابو عمر الثمري قال حدثنا ابو محمد بن عبد
المؤمن قال حدثنا ابو بكر بن داسة حدثنا ابو داود السجزي حدثنا
ابو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن
يسار عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم
ما شاء فلان قال الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم
الى الادب في تقديم مشية الله تعالى على مشيته من سوء واختارها
بثم التي هي للتنسق والتراخي بخلاف الواو التي هي للاشتراك
ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم
انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين
بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له
الوقوف على بعضهما وقول ابو سليمان اصح لما روي في الحديث الصحيح
انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على بعضهما وقد
اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته
فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير
بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد
روي عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل
طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايتين روي
انه لما نزلت هذه الاية قالوا ان محمدا يريد ان يتخذه حنانا كما اتخذت
النصارى عيسى ابن مريم فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول

ان الله وملائكته يصلون على النبي
فصل يصلون واجعة على الله

فقرن طاعته بطاعته وعصيانه بعصيانه وقد اختلف المفسرون في معنى
قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم هو رسول
الرسول الله صلى الله عليه وسلم وخياراهل بيته واصحابه
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي نحوه عنهما وقال
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية
في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال
صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين
انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى
انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد
وقال سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال
نعمته بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذي
جاء بالصدق هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذي
صدق به وقرئ وصدق على التخفيف وقال غيرهم الذي صدق
به المؤمنون وقيل ابو بكر رضي الله عنه وقيل علي كرم الله وجهه
وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله
عنهم الفصل الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق
بها من الثناء والكرامة قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع الله تعالى له في هذه الآية
ضروبا من رتب الانزة وجملة من اوصاف المدحة فجعله شاهدا

صح
صراط الذين انعمت عليهم نقال ابو العالية
والحسن ابصوب الصراط المستقيم

صح
ابن

على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه
ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا الى
توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به الى الحق حدثنا
الشيخ ابو محمد بن عتاب قال حدثنا ابو القاسم خاتم بن محمد
قال حدثنا ابو الحسن القابسي قال حدثنا ابو زيد المروزي قال
حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف قال حدثنا البخاري قال حدثنا
محمد بن سنان قال حدثنا فليح قال حدثنا هلال عن عطاء بن
يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف
في التورية ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى
يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سالم وكعب الاحبار
وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش
ولا قوال للخنا اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم واجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله
والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل
سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه
اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد
الخمالة اسمي به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد
العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة

واهواء

واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت
للناس وفي حديث آخر اخرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره
بالمدينة اوقال طيبة امته الحامدون لله على كل حال وقال تعالى
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الآيتين وقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكر هو منته انه جعله
رسولا رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا
في القول لانفضوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا بزا
لطيفا هكذا قاله الضحاك وقال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
قال ابو الحسن القابسي اباذ الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه
وسلم وفضل امته بهذه الاية وفي قوله في الاخرى وفي هذا
ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك
قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله تعالى
وسطا اي عدلا خيارا ومعنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك
خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة وسطا خيارا عدولا
لتشهدوا للانبياء على امهم ويشهد لكم الرسول بالصدق
وقيل ان الله جل جلاله اذا سأل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم
فتقول امهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد وتزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على من
خالفكم والرسول حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال الله تعالى
وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة
والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم

صح للانبياء جميعهم اسلام

يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيتهم وعن ابي
سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
وهو شفيع صدق عند ربهم وقال سهل هي سابقة رحمة او
دعها الله في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي
هو امام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي الفصل الثالث
فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك
قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا
افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله
اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب وحكى السمرقندي عن
بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب لم اذنت لهم
قال ولو بدئ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم
لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف
حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم
منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به
ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاتب بهذه الاية
وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم
ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال
القاضي ابو الفضل يجب على المسلم المجاهد نفسه المرابط
بمرام الشريعة خلقه ان يتأدب بآداب القرآن في قوله
وتعلمه ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية

وروضة الآداب الدينية والدنيوية والتأمل هذه الملاطفة
العجيبة في السؤال من رب الارباب المنعم على الكل المستغني
عن الجميع ويستنزل ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالاكرام
قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان ثمة ذنب
وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء بعد الزلات وعاتب
نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء
ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف
بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عاتبه عليه وخيف ان يركن اليه
ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله
قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك
الاية قال علي رضي الله تعالى عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه
وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم
لا يكذبونك الاية ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه
قومه حزن فجاءه جبريل فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال
انهم يعلمون انك صادق فانزل الله تعالى الاية ففي هذه الاية
منزع لطيف لما خذ من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام
والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير
مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه
قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب
ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون فما شاه من الوصم وطوقهم
بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون

ح
انما لا تسقط الشفاعات ولا تذهب
المروءات في قبول ما يبعوج من
المحقرات
اهل

ح
فد

ممن علم الشئ ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده
النصر بقوله ولقد كذبت رسل الاية فمن قرأ لا يكذبونك
بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي
لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا يثبتونه
ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك ومما ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به ان الله تعالى
خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم
يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا بيا ايها النبي
يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه
تعالى بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى لعمرك
انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير في هذا انه قسم من الله
جل جلاله بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين
من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد
وقيل عيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر
والتشريف وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ
وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله
تعالى اقسم بحيوة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو الجوزاء
ما اقسم الله بحياة احد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية
عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الايات اختلف المفسرون
في معنى يس فحكى ابو محمد مكي انه روى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس
اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق انه

اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل هو قسم وهو
من اسماء الله تعالى وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل
وقيل يا انسان وقال ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب الاخبار
يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض بألفي عام يا محمد
انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قد
الله من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح انه قسم كان فيه من التعظيم
ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى
النداء فقد جاء قسما اخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة بهدايته
اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده
وعلى صراط مستقيم من ايمانه اى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق قال النقاش لم يقسم الله لاحد من انبيائه بالرسالة في
كتابه الا له وفيه من تعظيمه و تجليله على تاويل من قال انه يا سيد
ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال
تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به
اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اى
اقسم به وانت به يا محمد حلال وحل لك ما فعلت فيه على التفسيرين
والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اى تحلف لك
بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبقبرك ميتا يعني
المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله
حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد
الامين قال امنها الله تعالى لمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان
حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم فهو عام

ومن قال هو ابراهيم وما ولد فهى ان شاء الله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمن السورة القسم به فى موضعين وقال الله تعالى الر ذلك الكتاب قال ابن عباس هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل ابن عبد الله التسترى الالف هو الله تعالى واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول السمرقندى ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القول لاريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه من فضيلة قرآن اسمه باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم لله تعالى وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد الصادق فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر محمد صلى الله عليه وسلم لانه منه تفجر الايمان الفصل الخامس فى قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده صلى الله عليه وسلم قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف فى سبب نزول هذه السورة فقيل ترك النبى صلى الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة فى ذلك بكلام وقيل بل تكلم به المشركون عند فترة الوحى فنزلت السورة قال القاضى ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه اياه ستة وجوه

الاول القسم له عليه الصلاة والسلام عما اخبره به من حاله
بقوله والضحى والليل اذا سجى اى وربّ الضحى وهذا من اعظم
درجات المبرّة الثانى بيان مكانته عنده وخطوته لديه
بقوله ماودّعك ربك وما قلى ما تركك وما ابغضك وقيل
ما اهملك بعد اذ اصطفاك الثالث قوله تعالى وللأخرة خير لك
من الاولى قال ابن اسحق اى مالك فى مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك
من كرامة الدنيا وقال سهل اى ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام
المحمود خير لك مما اعطيتك فى الدنيا الرابع قوله ولسوف
يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وانواع
السعادة وشتات الانعام فى الدارين والزيادة قال ابن اسحق
يرضيه بالفلج فى الدنيا والثواب فى الاخرة وقيل يعطيه الحوض
والشفاعة وروى عن بعض آل النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال ليس آية فى القرآن ارجا منها ولا يرضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدّده الله
تعالى من نعمه وقرره من الأنه قبله فى بقية السورة من هدايته
الى ما هداه له او هداية الناس به على اختلاف التفاسير ولا مال له
فاغناه بما اتاه وبما جعله فى قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب
عليه عمّه وآواه اليه وقيل يتيما لا مثل لك فاواك اليه وقيل
للمعنى لم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوا بك يتيما
ذكره بهذه المنن وانّما يهمله فى حال صغره وعيلته ويتمه وقيل
معرفته ولا ودّعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه واصطفائه
السادس امره باظهار نعمته عليه وشكرها شرفه بنشره واشادة
ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فانّ من شكر النعمة التحدّث بها

على المعلوم من التسبيح

وهذا خاص له عام لامته وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله
من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم
اذا هوى باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن
وعن جعفر بن محمد انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد
عليه الصلاة والسلام وقد قيل فى قوله تعالى والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب ما ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله
عليه وسلم حكاه السلمى تضمنت هذه الايات من فضله وشرفه
العد ما يقف دونه العد اقسم جل جلاله على هداية المصطفى
صلى الله عليه وسلم وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وانه
وحى يوحى اوصله اليه عن الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام
وهو الشديد القوى ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء
وانتهائه الى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى وانه رأى
من ايات ربه الكبرى وقد نبه على مثل هذا فى اول سورة الاسراء
ولما كان ما كاشفه عليه الصلاة والسلام من ذلك الجبروت
وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبارات ولا تستقل
بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة
على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع
من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحى والاشارة وهو
عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد رأى من ايات ربه الكبرى
اخسره الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام فى تبيين
تلك الايات الكبرى قال القاضى ابو الفضل اشتملت هذه الايات
على اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها
من الافات فى هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه وقلبه

بقوله

بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله ما ينطق عن الهوى
وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم
لا اقسم اى اقسم انه لقول رسول كريم اى كريم عند مرسله
ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين اى متمكن المنزلة
عند ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اى فى السماء امين على الوحى
قال على ابن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم
فجميع الاوصاف بعد على هذا له صلى الله عليه وسلم وقال غيره
هو جبريل عليه الصلاة والسلام فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه
يعنى محمدا قيل رأى ربه وقيل رأى جبريل فى صورته وما هو على الغيب
بضنين اى بمتهم ومن قرأها بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به
له والتذكير بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق
وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون اقسم تعالى
بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله عليه وسلم مما
غمصه الكفرة به وتكذيبهم له وآنسه وبسط امله بقوله محسنا
خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه نهاية المبرة فى المخاطبة
واعلى درجات الآداب فى المحاورة ثم اعلمه سبحانه وتعالى بما له
عنده من نعيم دائم وثواب عظيم غير منقطع لا يأخذه العد ولا يمن به
عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من هباته
وهداه اليه وأكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفى التأكيد فقال وانك لعلى خلق
عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك همة
الا الله جل جلاله قالوا لو اسطى اثنى الله عليه بحسن قبوله لما اسداه
اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق

فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذى يسر للخير وهدى
اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما اعمر نواله
واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعده من عقباهم
وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون . الثلاث الايات ثم عطف
بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معائبه متوليا
ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة
خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين . الى قوله
اساطير الاولين . ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه
وخاتمة بوآره بقوله سنسمه على الخرطوم . فكانت نصرة الله له
صلى الله عليه وسلم اتم من نصرته لنفسه وردّه تعالى عدوه ابلغ
من ردّه واثبت فى ديوان مجده الفصل السادس فيما ورد من
قوله تعالى فى جهته عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة
والاكرام قال تبارك وتعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
قيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم لله تعالى
وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هى حروف مقطعة
لمعان قال الواسطى اراد يا طاهر يا هادى وقيل هو امر من الوطء
والهاء كناية عن الارض اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب
نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى نزلت الاية فيما كان النبى صلى الله عليه وسلم
يفعله من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضى ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن . وغير واحد عن القاضى ابى الوليد الباجى اجازة
ومن خطه نقلت قال حدثنا ابو ذر الحافظ . حدثنا ابو محمد الحموى
حدثنا ابراهيم بن خزيم . حدثنا عبد ابن حميد . حدثنا هاشم بن القاسم

عن ابى جعفر

عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طأ
الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا
كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله
عليه وسلم كما قيل او جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل
هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اى قاتل نفسك
لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله تعالى ايضا لعلك
باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى آخر السورة وقوله ولقد
استهزئ برسل من قبلك الاية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكره
وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك
يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى وان يكذبوك
فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله بما اخبره
عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم ومحنتهم بهم وسلاه
بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك
ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اى اعرض
عنهم فما انت بملوم اى في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله
قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اى اصبر على اذاهم فانك
بحيث نراك ونحفظك سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى

الفصل السابع فيما اخبر الله تعالى به فى كتابه العزيز من عظيم
قدره وشريف منزلته على الانبياء عليه الصلاة والسلام
وحظوة رتبته قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم
من كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى
قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين قال ابو الحسن
القابسى استخص الله تعالى بقوله محمدا صلى الله عليه وسلم
بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره من هذه الاية قال
المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحى فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا
صلى الله عليه وسلم وبعثه واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن
به وقيل ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم
وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله
عليه وسلم قال على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا
من آدم فمن بعده الا اخذ الميثاق عليه فى محمد صلى الله عليه وسلم
لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد على قومه
ونحوه عن السدى وقتادة فى آى تضمنت فضله صلى الله عليه
وسلم من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الاية وقال عز وجل انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا روى عن عمر بن الخطاب
رضى الله عنه انه قال فى كلام بكى به النبى صلى الله عليه وسلم
فقال بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله
ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى اولهم فقال واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم الاية بابى انت وامى

يا رسول الله

يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون
ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول وقال قتادة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث
ولذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي
في هذا تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر
قبلهم وهو آخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم
من ظهر آدم عليه الصلوة والسلام كالذر وقال تعالى تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال اهل التفسير اراد
بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم
لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت
على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة
او كرامة الا وقد اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها
وقال بعضهم ومن فضله ان الله خاطب الانبياء باسمائهم
وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا ايها النبي ويا ايها
الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان من
شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم
اي على دينه ومنهاجه واختاره الفراء وحكاه عنه مكي
وقيل المراد نوح عليه الصلوة والسلام الفصل الثامن
في اعلام الله عز وجل خلقه بصلاته عليه وولايته له ورفعه
العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي فيها من المؤمنين نزك

اي ان من شيعته محمد لابراهيم عليه السلام

وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله تعالى
لو تزيلوا الآية وقوله تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت ومالهم الا يعذبهم الله الآية
وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب
عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده بين اظهرهم
فلما خلت مكة منهم عذبهم الله بتسليط المؤمنين
عليهم وغلبتهم اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم
واموالهم وفي الآية ايضا تاويل آخر حدثنا القاضي الشهيد
ابو علي بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين
المصيري قالا حدثنا ابو علي بن يعلى بن زوج الحرة حدثنا ابو علي
التنيخي حدثنا محمد بن محبوب المروزي حدثنا ابو عيسى الحافظ
حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن
مهاجر عن عباد بن يوسف عن ابي بردة عن ابيه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله تعالى على امانين
لامتي وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم وماكان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار
ونحو منه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا امان لاصحابي قيل
من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعهد الرسول
صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت
سنته باقية فهو باق فاذا اميتت فانتظروا البلاء والفتن
وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية
ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه

ثم بصلاة

ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد
حكى ابوبكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله عليه الصلاة
والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا اي في صلاة
الله على النبي صلى الله عليه وسلم وملائكته وامره الامة
بذلك الى يوم القيمة. والصلاة من الملائكة ومتالة دعاء و
استغفار من الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله
عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة
وسنذكر حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا
الى يوم الدين وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص
ان الكاف من كافي كناية الله نبيه صلى الله عليه وسلم
قال تعالى اليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك
صراطا مستقيما والياء تابيده له قال الله تعالى وايدك بنصره
والعين عصمة الله له قال تعالى والله يعصمك من الناس والصاد
صلاته عليه قال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه. اي وليه الاية
وصالح المؤمنين قيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل
الملائكة وقيل ابوبكر وعمر وقيل علي رضي الله عنهم وقيل المؤمنون
على ظاهره الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا. الى
قوله يد الله فوق ايديهم. تضمنت هذه الايات من فضله والثناء
عليه وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن
الانتهاء اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء
البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه

مغفورله غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران
ما وقع وما لم يقع اى انك مغفورلك وقال مكى جعل الله المنة
سببا للمغفرة وكل منهما من عنده لا اله غيره منة بعد منة
وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع متكبر
عليك لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك فى الدنيا
وينصرك ويغفرلك فاعله بتمام نعمته عليه بخضوع متكبرى
عدوه له وفتح امم البلاد عليه واجتباله ورفع ذكره وهدايته
الصراط المستقيم المبلغ الى الجنة والسعادة ونصره النصر
العزيز ومنته على امته المؤمنين بالسكينة والطمانينة التى
جعلها فى قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو
عنهم والستر وهلاك عدوه فى الدنيا والاخرة ولعنهم وبعدهم
من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال تبارك وتعالى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا، فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته
على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلال ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من
الله الحسنى وتعزروه اى تجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون
فى تعظيمه ويوقروه اى يعظموه وقرا بعضهم يعزروه بزايين
من العزر الاكثر والاظهر ان هذا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم
ثم قال ويسبحوه فهذا راجع الى تعالى قال ابن عطاء جمع للنبى
صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين
وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهى من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهو من اعلام الاختصاص والهداية وهى من اعلام الولاية

والمغفرة

والمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة
والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام
نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره
وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر
وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له صلى الله عليه وسلم
ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان
يد الله فوق ايديهم اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله
فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل نعمته
وقيل عقده وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد
بيعتهم اياه وعظيم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد
يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول من باب المجاز وهذا من
باب الحقيقة لان القاتل والرامي في الحقيقة هو الله تعالى
وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في
قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم
من لم تملأ عليه وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل
في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ
ومناسبته اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم
بالحصباء والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة
الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامي بالمعنى
وانت بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز

من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى
ما انتظم فيما ذكرنا قبل من ذلك ما قصه الله تعالى من قصة
الاسراء في سورة سبحان وسورة النجم وما انطوت عليه القصة
من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب
ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك من الناس
وقوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه
فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا وما دفع الله به عنه في
هذه القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلاكه وخلوصهم نجيا
في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم
عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك لهم من الايات ونزول السكينة
عليه وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث
والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى
انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر
اعلمه الله تعالى بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة
وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل
النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب الله عنه عدوه وورد عليه قوله فقال
تعالى ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر
الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى
ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني
السور الطوال الاول والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع
المثاني ام القرآن والقرآن العظيم سائره وقيل السبع المثاني
ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد
نعم وآتيناك نبأ القرآن وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها

تثنى

تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم
وذخرها له دون الانبياء وسمى القرآن مثانى لان القصص تثنى
فيه وقيل السبع المثانى اكرمناك بسبع كرمات الهدى والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى
وانزلنا اليك الذكر الاية وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى قل يا ايها الناس انى رسول الله
اليكم جميعا قال الفقيه القاضى فهذه من خصائصه وقال تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم
وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال صلى الله
عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبى اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين
من انفسهم اى ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما يمضى
حكم السيد على عبده وقيل اتباع رأيه اولى من اتباع راى النفس
وازواجه امهاتهم اى من في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن
عليهم بعد تكرمة له وخصوصية ولا تهن له ازواج في الاخرة
وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف وقد
قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله
العظيم بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطى
الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التى لم يحتملها موسى عليه
السلام الباب الثانى في تكميل الله سبحانه وتعالى له صلى الله
وسلم المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث

والكمال

عن تفاصيل جمل قدره العظيم ان خصال الجمال في البشر نوعان
ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحياة الدنيا
ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله ثم هي
على قسمين ايضا منها ما يتخلص لاحد الوصفين ومنها ما يمتزج
ويتداخل فاما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه اختيار
ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال
صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه
واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم
ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه
وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه
الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة
البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين
الشريعة واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية
والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة
والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن
الادب والمعاشرة واخواتها وجماعها حسن الخلق وقد يكون
من هذه الاخلاق ما هو في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس
وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لابد ان يكون فيه من اصولها
في اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون
هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة
ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة
وان اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها فصل اذا كانت

خصال

خصال الكمال والجلال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف
بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له فى كل عصر او اوان اما
من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى
يعظم قدره وتضرب باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف
بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور خوال ورمم
بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال
الجمالا يأخذه عد ولا يعتريه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة
الا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة
والمحبة والاصطفاء والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحى
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام
المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاسود والاحمر والصلاة
بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم و
لواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذى العرش
والطاعة ثم والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء
الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو
عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر
وعزة النصر ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وايتاء الكتاب
والحكمة والسبع المثانى والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء
الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع
الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجماد
والعجم واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان
والتصرف بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى

وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط
بعمله الا ما منحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له فى
الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة
والحسنى والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها
الوهم فصل ان قلت اكرمك الله لاخفاء على القطع بالجملة
انه صلى الله عليه وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلة
واكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت فى تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقنى الى ان اقف عليها من اوصافه صلى الله
عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبى وقلبك وضاعف
فى هذا النبى الكريم حبى وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال
التى هى غير مكتسبة وفى جبلة الخلقة وجدته صلى الله عليه
وسلم حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون خلاف
بين نقلة الاخبار لذلك بل بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة
وجمالها وتناسب اعضائه فى حسنها فقد جاءت الاثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث على وانس بن مالك وابى
هريرة والبراء بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابى هالة
وابى جحيفة وجابر بن سمرة وام معبد وابن عباس ومعرض بن
معيقيب وابى الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن
حزام وغيرهم من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون
ادعج . انجل . اشكل . اهدب الاشفار . ابلج . ازج . اقنى . افلج .
مدور الوجه . واسع الجبين . كث اللحية . تملأ صدره . سواء البطن
والصدر . واسع الصدر . عظيم المنكبين . ضخم العظام . عبل
العضدين والذراعين . والاسافل . رحب الكفين والقدمين .

قد

سائل

سائل الاطراف • انور المجرد • دقيق المسربة • ربعة القد • ليس
بالمطوّل المبائن • ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن بماشيه
احد ينسب الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم • رجل الشعر
اذا افترضاحكا افترعن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام
اذا تكلم يرى كالنور يخرج من ثناياه • احسن الناس عنقا ليس
بمطهم ولا مكلثم • متماسك البدن • ضرب اللحم قال البراء بن عازب
رضي الله عنه ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك
يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله
عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان وجهه
مستديرا وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من
بعيد واحلاه واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة
يتلألأ لألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه
في آخر وصف له صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة هابه ومن
خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله
صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة فلا
نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه صلى الله عليه وسلم
نكت ما جاء فيها وجملة تكافيه الكفاية في القصد المطلوب
ان شاء الله تعالى وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك
تقف عليه هناك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه
وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان
صلى الله عليه وسلم قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص

لم توجد في غيره ثم تمّمها سبحانه بنظافة الشرع وخصال الفطرة العشر وقال صلى الله عليه وسلم بنى الدين على النظافة حدّثنا سفيان بن العاصى وغير واحد قالوا حدّثنا احمد بن عمر قال حدّثنا ابو العبّاس الرّازى قال حدّثنا ابو احمد الجلودى قال حدّثنا ابن سفيان قال حدّثنا مسلم قال حدّثنا قتيبة قال حدّثنا جعفر بن سليمان عن ثابت البصرى عن انس قال ما شممت عنبرا قطّ ولا مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خدّه قال فوجدت ليده بردا وريحا كانّما اخرجها من جؤنة عطّار وعن غيره مسّها بطيبا ولم يمسّها بصانع المصانع فيظلّ يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصّبىّ فيعرف من بين الصّبيان بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار انس فعرق صلى الله عليه وسلم فجاءت امّه بقارورة تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله فى طيبنا وهو من اطيب الطّيب وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر لم يكن النّبىّ صلى الله عليه وسلم يمرّ فى طريق فيتبعه احد الّا عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه انّ تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزنى والحربى عن جابر رادفنى صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوّة بفمى فكان يمرّ على مسكا وحكى بعض المعتنين باخباره وشمائله انه كان اذا اراد ان يغوط انشقّت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة واسند محمّد بن سعد كاتب الواقدى فى هذا خبرا

عن عائشة

عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله
عليه وسلم انك تأتى الخلاء فلا نرى منك شيئا من الاذى
فقال لها يا عائشة اوما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من
الانبياء فلا يرى منه شئ وهذا الحديث وان لم يكن مشهورا
فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى
الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعى حكاه الامام
ابو نصر الصباغ فى شامله وقد حكى القولين عن العلماء فى ذلك
ابو بكر بن سابق المالكى فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج
ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا
انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب ومنه
حديث على رضى الله تعالى عنه غسلت النبى صلى الله عليه
وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت
حيا وميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجد امثالها قط
ومثله قال ابو بكر رضى الله عنه حين قبل النبى صلى الله عليه
وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد
ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله لن
تصيبه النار ومنه شرب عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما
دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم ويل لك من الناس وويل
للناس منك ولم ينكره عليه وقد روى نحو من هذا عنه صلى الله
عليه وسلم فى امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكى وجع بطنك
ابدا ولم يأمر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث
هذه المرأة التى شربت بوله صلى الله عليه وسلم صححه الزم الدار
قطنى مسلما والبخارى اخراجه فى الصحيح واسم هذه المرأة بركة

مولده

وآختلف في نسبها وقيل هي أم ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره وروى عن امه آمنة قالت ولدته نظيفا ما به قذر وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا

فصل

واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه صلى الله عليه وسلم اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا وفي رواية

اخرى

وحاز صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات فدولد مختونا مقطوع السرة

اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا
كحبة رمل من رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام فى الصلوة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وبه
فسر قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وفى الموطاء انى لاراكم من وراء
ظهرى ونحوه عن انس رضى الله عنه فى الصحيحين وعن عائشة
رضى الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله تعالى اياها فى حجته
وفى بعض الروايات انى لانظر من ورائى كما انظر من بين يدى
وفى اخرى انى لابصر من قفاى كما ابصر من بين يدى وحكى بقى بن
مخلد عن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم
يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء والاخبار كثيرة صحيحة فى
رؤيته صلى الله عليه وسلم الملائكة والشياطين ودفع النجاشى
له صلى الله عليه وسلم حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه
لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكى عنه صلى الله عليه
وسلم انه كان يرى فى الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة
على رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم
الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا احالة فى ذلك وهى
من خواص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخصائصهم كما اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرئ
الفرغانى حدثنا ام القاسم بنت ابى بكر عن ابيها حدثنا الشريف
ابو الحسن على بن محمد الحسنى حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا
محمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق حدثنا همام
عن يحيى بن وثاب عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما رأى وكانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصادع صلى الله عليه وسلم ابا ركانة في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته صلى الله عليه وسلم ان ضحكه صلى الله عليه وسلم كان تبسما اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف واوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها وباريها في منزع بلاغتها حتى ان كثيرا من الصحابة يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ومن تامل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد كلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر في كتابه الى همدان

ان لكم

والنار

ص

بخفضها وخفضها وعدغها
وابعث راعيها بالبتر وابجر له
بالشد وبسوط له

ان لكم فراعها ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها
لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم
من الصدقة الثلب والفصيل والفارض الداجن والكبش
الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح وقوله صلى الله عليه
وسلم لنهد اللهم بارك لهم في المال والولد من اقام الصلاة كان
مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان
مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط
في الزكاة ولا تلحد في الحيات ولا تتثاقل عن الصلاة وكتب
لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الصليس لا يمنع سرحكم ولا يعضد ظلكم
ولا يجلس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر
فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه
صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع
المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الاياط ولا ضناك
وانطوا الثجة وفي السيوب الخمس ومن زنى من بكر فاصقعوه
مائة واستوفضوه عاما ومن زنى من ثيب فرجموه بالاضاميم
ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام
ووائل بن حجر يقرأ على الاقيال اين هذا من كتابه صلى الله عليه
وسلم لانس رضي الله عنه في الصدقة المشهور لما كان كلام
هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم
هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم
وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم
في حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية

واليد السفلى هى المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلغتنا وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث العامرى
حين ساله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل عنك
اى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر واما كلامه المعتاد
وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد
الف الناس فيها الدواوين وجمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب
ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله صلى الله
عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم
وهم يد على من سواهم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان
المشط والمرء مع من احب ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له
والناس معادن وما هلك امرء عرف قدره والمستشار مؤتمن
وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت
فسلم واسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الى واقربكم
منى مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا المؤطئون اكنافا الذين
يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل
بما لا يغنيه وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة
السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق الامهات
ووأد البنات وقوله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث
كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
وخير الامور اوسطها وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى
ان يكون بغيضك يوما ما والظلم ظلمات يوم القيمة
وقوله فى بعض دعائه اللهم انى اسئلك رحمة من عندك

تمدى بها

تهدى بها قلبى وتجمع بها امرى وتلم بها شعثى وتصلح بها غائبى
وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتلهمنى بها رشدى وترد
بها الفتى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم انى اسالك الفوز فى
القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء الى
ماروته الكافة عن الكافة من مقاماته ومخاضراته وخطبه
وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لاخلاف انه نزل من ذلك
مرتبة لايقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لايقدر قدره وقد
جمعت من كلماته صلى الله عليه وسلم التى لم يسبق اليها ولا قدر
احد ان يفرغ فى قالبه عليها كقوله حمى الوطيس ومات حتف
انفه ولايلدغ المؤمن من جحر مرتين ، والسعيد من وعظ
بغيره فى اخواتها مما يدرك التناظر العجب فى مضمنها ويذهب
به الفكر فى ادانى حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذى هو
افصح منك فقال وما يمنعنى وانما انزل القرآن بلسانى لسان عربى
مبين وقال مرة اخرى بيدانى من قريش ونشأت فى بنى سعد فجمع له
صلى الله عليه وسلم بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها
وفصاحة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى التاييد الالاهى
الذى مدده الوحى الذى لايحيط بعلمه بشرى وقالت ام
معبد فى وصفها له حلو المنطق فصل لانزر ولا هذر كان
منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة
صلى الله عليه وسلم كثيرا فصل واما شرف نسبه
وكرم بلده ومنشائه فما لايحتاج الى اقامة دليل عليه ولا
بيان مشكل ولا خفى منه فانه صلى الله عليه وسلم نخبة
بنى هاشم سلالة قريش وصميمها واشرف العرب وعزهم نفرا

من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى
عباده حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي حدثنا
القاضي ابو الوليد سليمان بن خلف قال حدثنا ابو ذر عبد بن
احمد حدثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحاق وابو الهيثم قالوا
حدثنا محمد بن يوسف قال حدثنا محمد بن اسماعيل قال حدثنا
قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمر
وعن سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرناً
فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله
عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني
من خيرهم من خير قريهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة
ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا و
خيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى
من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم قال الترمذي
هذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه
فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب
ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا
فاختار منهم بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم
فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن
ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما

ان قريشا

ان قريشا كانت نورا بين يدى الله تعالى قبل ان يخلق آدم عليه
السلام بالفى عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه
فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاهبطنى الله الى الارض فى صلب آدم
وجعلنى فى صلب نوح وقذف بى فى صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلنى
من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجنى من بين
ابوى لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا الخبر شعر
العباس فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم المشهور فصل
واما ما تدعو ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلا ثلاثة ضروب
ضرب الفضل فى قلته وضرب الفضل فى كثرته وضرب تختلف
الاحوال فيه فاما ما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال
عادة وشريعة كالعفاء والنوم ولم تزل الحكماء والعرب تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على انهم
والحرص والشرة وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والاخرة
جالب لادواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته
دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة سبب للصحة
وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الغفلة
والضعف وعدم الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة
الحمق وتضييع العمر فى غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته
والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة او ينقل
متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار
العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف
مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا

على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ
من هذين الفنين بالاقل هذا مما لا يدفع من سيرته وهو الذي
امر به وحض عليه لاسيما بارتباط احدهما بالاخر حدثنا
ابو علي الصدفي بقراءتي عليه حدثنا ابو الفضل الاصبهاني
حدثنا ابو نعيم حدثنا سليمان بن احمد حدثنا بكر بن سهل
قال حدثنا عبد الله بن صالح قال حدثنا معاوية بن صالح
ان يحيى بن جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما ملاء ابن آدم وعاء شرا من بطنه
حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل
والشرب قال سفيان الثوري يملك سهر الليل بقلة الاكل
وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه
ما كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله
عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط
وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل
وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا الحديث
بريرة رضي الله عنها وقوله المرا البرمة فيها لحم اذ لعل سبب
سؤاله ظنه صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد
بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه صلى الله عليه
وسلم انهم لا يستاثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم
ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة
لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة

وقعدة

وقعدة الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن
يأكل حتى يشبع وفى صحيح الحديث اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء
هو التمكن للاكل والتقعدد فى الجلوس له كالتربع وشبهه من تمكن
الجلسات التى يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه
الهيئة يستدعى الاكل ويستكثر منه والنبى صلى الله عليه وسلم
انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد
آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث
فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه
وسلم كان قليلا شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد
قال صلى الله عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكان
نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب
الايسر هنالك مدوة القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة
حينئذ تميلها الى الجانب الايسر فيستدعى ذلك الاستثقال
فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق
فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثانى
ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمتفق عليه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورة ولم
يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية
واما فى الشرع فسنة مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه
الامة اكثرها نساء مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال
صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فانى ابا هى بكم الامم يوم القيمة
ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين
نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج

فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح
فى الزهد قال سهل بن عبد الله قد حبب الى سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم فكيف يزهد فيهن ونحوه لابن عيينة
وقد كان زهاد الصحابة كثير الزوجات والسراري كيترى النكاح
وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره
غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته
من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله تعالى عليه
انه كان حصورا فكيف يثنى الله عليه بالعجز عما نعده فضيلة
وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لكم
فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه السلام بانه حصور ليس
كما قال بعضهم انه كان هيوبا اولا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق
المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
هذا بالانبياء وانما معناه انه كان معصوما من الذنوب
اى لا يأتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات
وقيل ليست له شهوة فى النساء فقد بان لك من هذا ان عدم
القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة
ثم قمعها امتابمجاهدة كعيسى عليه السلام اوبكفاية من الله
كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها شاغلة فى كثير
من الاوقات حاطه الى الدنيا ثم هي في حق من اقدر عليها
وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة علياء
وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذى لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح

عباد ربه

انها ليست

انها ليست من خطوظ دنياه وان كانت من خطوظ دنيا غيره
فقال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث النساء
والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة فدل على ان حبه
لما ذكر من النساء والطيب انما هو من دنيا غيره واستعماله لذلك
ليس لدنياه بل لآخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج و
لقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين
عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره
وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة
جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبتين وفضل بين
الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى
صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى عليهما السلام في كفاته
فتنتهن وزاد فضيلة عليهما بالقيام بهن وكان صلى الله عليه
وسلم ممن اقدر على القوة في هذا واعطى الكثير منه ولهذا
ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس رضي الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث
انه اعطى قوة ثلاثين رجلا اخرجه النسائي وروى نحوه
عن ابي رافع وعن طاوس اعطي رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوة اربعين رجلا ومثله عن صفوان بن سليم وقالت
سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر
واطيب وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن
الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين وانه فعل ذلك

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فى ظهر سليمان عليه السلام
مأة مائة رجل وكان له ثلاث مائة امراة وثلاث مائة سرية
وحكى النقاش وغيره سبعمائة امراة وثلاث مائة سرية
وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام على زهده واكله
من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمنت بزوج اوريا مائة وقد
نبه الله على ذلك فى الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخى له
تسع وتسعون نعجة الاية وفى حديث انس رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع
بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه
فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه فى القلوب
وقد قال الله تعالى فى صفة عيسى عليه السلام وجيها فى
الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس
لعقبى الاخرة ولذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد
فى الشرع مدح الخمول وذم العلو فى الارض وقد كان صلى الله
عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة فى القلوب والعظمة
قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
اصحابه ويقصدون اذاه فى نفسه خفية حتى اذا واجههم
اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره فى ذلك معروفة
سيأتى بعضها وقد كان يهيب ويفرق لرؤيته من لم يره كما
روى عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليها السكينة
وفى حديث ابى مسعود ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال
هون عليك فانى لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء

والكرامة

والكرامة فى الدنيا فامر هو مبلغ النهاية ثم هو فى الاخرة سيد
ولد آدم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره

فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات فى التمدح
به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله
به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة فى نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له فى مهماته
ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه فى مواضعه مشتريا به
المعالى والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة فى
صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه فى وجوه البر وانفقه فى
سبيل الخير وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة
عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه
وجوهه حريصا على جمعه عادكثره كالعدم وكان منقصة
فى صاحبه ولم يقف به على حد السلامة بل اوقعه فى هوة
رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذن التمدح بالمال وفضيلته
عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره و
تصريفه فى متصرفاته فى مامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملى بالحقيقة ولا غنى بالمعنى ولا متمدح به عند
احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه
اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن
مال غيره ولا مال له فكانه ليس فى يده منه شئ والمنفق ملى غنى
بتحصيله فوائد المال وان لم يبق فى يده من المال شئ فانظر
سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه فى المال تجده قد اوتى

خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي
قبله وفتح له في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجلب
اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادنه جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشئ منه ولا امسك
منه درهما بل صرفه في مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين
وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينارا ارصده
لديني وانه دنانير فرقها فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها
لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استرحت
ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله
واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه
وزهد فيما سواه وكان يلبس ما وجد فيلبس في الغالب الشملة
والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في
الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي
من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه
وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة
في الطرفين وقد ذم الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند
الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك
التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير الاته وخدمه و
مركوباته ومن ملك الارض وجئ اليه بما فيها وترك ذلك زهدا
وتنزها فهو حائز لفضيلة المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة
اذ كانت فضيلة زائدا عليها في الفخر ومعرقا في المدح باضرابه عنها

وزهده

وزهده فى فانيها وبذلها فى مضاتها **فصل** واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التى اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها واحربها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهى المستماة بحسن الخلق وهو الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت تخلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم **قالت** عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه **وقال** عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق **وقال** انس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا **وعن** على بن ابى طالب رضى الله عنه مثله **وكان** فيما ذكره المحققون مجبولا عليها فى اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له بالكتساب ولا رياضة الا بجود الاهى وخصوصية ربانية **وهكذا** لسائر الانبياء عليهم السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم الصلاة والسلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق فى الجبلة واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة **قال** الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا **قال** المفسرون اعطى يحيى العلم بكتاب الله تعالى فى حال صباه **وقال** معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال للعب خلقت **وقيل** فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله

وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه وكانت ام يحيى تقول لمريم
اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله تعالى
على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على من
قرأ من تحتها وعلى قول ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده
فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان عليه السلام
وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به
داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثنى عشر عاما
وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون واخذه بلحيته وهو
طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل
اي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه
قبل ابداء خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله
اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه
فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم
عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة
وان ابتلاء اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلاله
ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا
وقيل اوحى الله تعالى الى يوسف عليه السلام وهو صبي عند
ما هم اخوته بالقائه في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه
لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير ذلك مما ذكر من اخبارهم
وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض
رافعا رأسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم

لما نشأت

لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم اهم بشئ
مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمنى الله منهما ثم لم اعد
ثم يتمكن الامر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف
فى قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم
بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة
ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما
وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون جميعها
ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله عز وجل
كما يشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن الشمت والشهامة
او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فما لا يكتسب
بكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر
لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة
او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف ان الخلق الحسن
جبلة وغريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن
وبه قال هو والصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى حديثه والجرأة والجبن غرائز
يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة
كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله
عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل اما اصل فروعها وعنصر
ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذى ينبعث منه العلم والمعرفة
ويتفرع عن هذا ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة

وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة
وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل
وقد اشرنا الى مكانته منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن
العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك
ومما يتفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره
وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه
وعلمه بما في التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء و
سير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام
وتقرير الشرائع وتاصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى
فنون العلم التي اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها
قدوة واشارته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض
والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته صلى الله عليه وسلم
ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب
من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بابنى امتى لم يعرف بشئ من ذلك
حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه يعلم ذلك
بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته
نظراً فلا نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا اذ مجموعها
مالا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت
معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى و
اطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم
ملكوته قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وما كان فضل الله
عليك عظيما. حارت العقول في تقدير فضله عليه وحرست
الالسن دون وصف يحيط بذلك وينتهي اليه فصل

وامّا الحلم

واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره
وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند
الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس عند الآلام والمؤذيات
ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما العفو فهو ترك المؤاخذة
وهذا كله مما ادب الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو
وأمر بالعرف الاية روى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
عليه هذه الاية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى اسأل العالم
ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على ما اصابك
الاية وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا
وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة
وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيده مع كثرة
الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي
ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب
حدثنا ابو بكر ابن واقد وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبد الله
حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة
قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط
الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه
وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك
حرمة الله فينتقم لله بها وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم احد شق ذلك على اصحابه
شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني

بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وعن
عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول
الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ
ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا
فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل
رحمة الله تعالى انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات
الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم
يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى عنهم
ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر واهد
ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم
بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان
هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزد في جوابه ان بين له ما
جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال له ويحك فمن
يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من
اصحابه قتله ولما تصدى له صلى الله عليه وسلم غورث بن
الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ
تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف صلتا في يده
فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال
كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند
خير الناس ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي

سمته فى الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية وانه صلى الله
عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد علم به واوحى
اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك
لم يؤاخذ صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابى واشباهه من
المنافقين بعظيم ما نقل عنهم فى جهته قولا وفعلا بل قال
لمن اشار بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن
انس رضى الله عنه كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه
برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابى بردائه جبذة شديدة حتى
اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لى على بعيرى
هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل لى من مالك ابيك
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا
عبده ثم قال ويقاد منك يا اعرابى ما فعلت بى قال لا قال لم قال
لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك النبى صلى الله عليه وسلم
ثم امر ان يحمل له على بعيره شعير وعلى الاخر تمر قالت عائشة رضى الله
عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة
ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا
قط الا ان يجاهد فى سبيل الله وما ضرب بيده خادما ولا امرأة وجئ
اليه صلى الله عليه وسلم برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له
صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لن تسلط على
وجاءه صلى الله عليه وسلم زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه
دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم
قال انكم يا بنى عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضى الله عنه وشد له
فى القول والنبى صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا احوج منك

ولا من مال

تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله
ثلاث وامر عمران يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه
فكان سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة
شئ الا وقد عرفته في محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين لم اخبرهما
يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فاختبرته بهذا
فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه وصبره وعفوه عند القدرة
اكثر من ان تاتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمستفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة
قريش واذى الجاهلية ومصابرته على الشدائد الصعبة معهم
الى ان اظهره الله عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استيصاله
شأفتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون
اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال
اخي يوسف لا تثريب عليكم اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس
رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية
وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك
يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت
وامي يا رسول الله ما احلمك واكرمك واوصلك وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى صلى الله
عليه وسلم تسليما **فصل** واما الجود والكرم والسخاء والسماحة
ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينهما بفروق فجعلوا الكرم

الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا حرية
وهو ضد التذاله والسماحة التجافي عن ما يستحقه المرء عند غيره
بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب
اكتساب مالا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير فكان صلى الله
عليه وسلم لا يوازى في هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا
وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي حدثنا
القاضي ابو الوليد الباجي حدثنا ابو ذر الهروي حدثنا ابو الهيثم
الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحاق البلخي قالوا حدثنا
ابو عبد الله القربري حدثنا البخاري حدثنا محمد بن كثير حدثنا
سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبي
صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا وعن انس وسهل بن سعد مثله
وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم
اجود الناس بالخير واجود ما كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه
جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس
ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه وقال اسلموا
فان محمدا صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى فاقة واعطى
غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة
وهذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له
ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وورد على هوازن
سبايا هاوكانوا ستة آلاف واعطى العباس من الذهب ما لم
يطق حمله وحمل اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم
قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله
فقال ما عندي شئ ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شئ قضيناه ٥

فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره
صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم
وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذى وذكر
عن معوذ بن عفراء قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع
من رطب يريد طبقا واجر زعبيريد قثاء فاعطانى ملء كفه
حليا وذهبا قال انس كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا
لغد والخير بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن ابى هريرة
رضى الله عنه اتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم يسأله
فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق
فجاءه الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء
ونصفه نائل وقد قال ابو على الدقاق من شبوخ المتصوفة
المشاهير وعلمائهم الكبار وتكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار
على نفسهم واصطلاحهم فى الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون بكماله
الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل احد فى اقيمة يقول
نفسى نفسى ويقول هو صلى الله عليه وسلم امتى امتى فصل
واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها
للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد
فعلها دون خوف وكان صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان
الذى لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال
عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح
وما شجاع الا وقد احصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه
صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو على الجيانى فيما كتب الى

حدثنا

حدثنا القاضي سراج حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد
الفقيه حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا ابن
بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن ابي اسحاق سمع البراء
وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال نعم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال
لقد رأيته على بغلته البيضاء وابو سفيان آخذ بلجامها
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي لا كذب وزاد غيره
انا ابن عبد المطلب قيل فما رؤي يومئذ احد اشد منه وقال
غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم
عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار
وانا آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه
ثم نادى يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء
وقال ابن عمر رضي الله عنهما ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود
ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله
عنه انا كنا اذا حمي البأس ويروى اذا اشتد البأس واحمرت
الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون اقرب
الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ
بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه اذا دنا العدو ولقربه
منه وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
احسن الناس واجود الناس واشجع الناس لقد فزع اهل المدينة

ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وقد استبرأ الخبر
على فرس لابي طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا
وقال عمران بن حصين ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة
الا كان اول من يضرب ولما رآه ابي بن خلف يوم احد وهو يقول
اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه
وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا
من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انا اقتلك ان شاء الله فلما رآه يوم احد شد ابي على فرسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه
وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم
استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه
طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من
اضلاعه فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس
بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك
والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة
فصل واما الحياء والاعضاء فالحياء رقة تعتري
وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهته او ما يكون تركه
خيرا من فعله والاعضاء التغافل عما يكرهه الانسان بطبيعته
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكفهم
عن العورات اغضاء قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي

فيستحيي

فيستحيى منكم الاية وحدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه
حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا
ابو زيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا شعبة عن قتادة قال سمعت
عبد الله مولى انس يحدث عن ابى سعيد الخدرى قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها وكان
اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف
البشرة رقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكره حياء وكرم نفس
وعن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا بلغه عن احد ما يكره لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن
يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى
فاعله وروى انس رضى الله عنه انه دخل عليه رجل به اثر صفرة
فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا بما يكره فلما خرج قال لو قلتم
له يغسل هذا او ينزعها قالت عائشة رضى الله عنها فى الصحيح
لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
وقد حكى مثل هذا الكلام عن التورية من رواية عبد الله بن سلام
وعبد الله بن عمرو بن العاصى وروى عنه انه كان من حيائه لا يثبت
بصره فى وجه احد وانه كان يكنى عما اضطره الكلام اليه مما يكره
وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم قط **فصل** واما حسن عشرته وادبه وبسط
خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فحيث انتشرت
به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله عنه فى وصفه عليه

الصلوة والسلام كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة
واليّنهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف
الانماطي فيما اجاز لنيه وقرأته على غيره قال حدثنا ابو اسحاق
الجبال حدثنا ابو محمد ابن النحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا
ابو داود حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى قالا حدثنا
الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول
حدثني محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد
قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها
فلما اراد الانصراف قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس
اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف
فانصرفت وفي رواية اخرى اركب امامي فصاحب الدابة احق
بصدرها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم
ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم
من غير ان يطوي عن احد بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي
كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه
من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع
الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء
بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين
الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى

فبما رحمة

فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك وقال ادفع بالتى هى احسن الاية وكان صلى الله عليه وسلم
يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال
انس رضى الله عنه خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لى اف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته
لم تركته وعن عائشة رضى الله عنها ما كان احد احسن خلقا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا
اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير ابن عبد الله ما حجبنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت قط ولا رانى الا تبسم وكان
يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم
فى حجره ويجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود
المرضى فى اقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم
احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحى رأسه حتى
يكون الرجل هو الذى ينحى رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده
حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له
وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة ولم ير
قط ماد رجليه بين اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل
عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التى تحته ويعزم
عليه فى الجلوس عليها ان ابى ويكنى اصحابه ويدعوهم باحب
اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه
بنهى او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروى انه كان لا يجلس اليه
احد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ
عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا ما لم ينزل

عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت
احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس
كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى
الغداة بانيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما
كان ذلك في الغداة الباردة يريدون به التبرك فصل
واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه
عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم
وقال سبحانه وتعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال
بعضهم من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله اعطاه اسمين
من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن
فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي
عليه حدثنا امام الحرمين ابو علي الطبري حدثنا عبد الغافر
الفارسي حدثنا ابو احمد الجلودي حدثنا ابراهيم بن سفيان
حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا ابو الطاهر اخبرنا ابن وهب
اخبرنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه
وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب
حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما
اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب
الخلق الي وروي ان اعرابيا جاء يطلب من النبي صلى الله عليه
وسلم شيئا فاعطاه ثم قال احسنت اليك قال لا اعرابي لا ولا
اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم
قام ودخل منزله وارسل اليه وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك

قال نعم

قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شئ فان احببت فقل بين يديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغداة والعشي جاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزعم انه رضي كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء - وخير صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا تتعنت امته ورغبته لربه عز وجل ان يجعل سبه لهم رحمة بهم وانه صلى الله عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك

ومارد واعليك وقد امر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه
ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان اطبق
عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان
يخرج الله تعالى من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا
وعن ابن المنكدر ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك
فقال اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله
عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار
ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن
عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت
ترده فقال صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل
واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه قال
حدثنا ابو بكر محمد بن محمد حدثنا ابو اسحق الحبال حدثنا ابو محمد
ابن الجحاس حدثنا ابن الاعرابي حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن يحيى
حدثنا محمد بن سنان حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن
عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن ابي الحمساء قال
بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له
بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث
فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هنا
منذ ثلاث انتظرك وعن انس رضي الله عنه كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت

ابن

فلانة

فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة
وعن عائشة رضى الله عنها قالت ما غرت على احد ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه صلى الله عليه وسلم يذكرها وان كان
ليذبح الشاة فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها
فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال
عنها فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة وان حسن
العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال انه كان يصل
ذوى رحمه من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال النبى
صلى الله عليه وسلم ان آل بنى فلان ليسوا لى باولياء غير
ان لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى صلى الله عليه وسلم
بامامة ابنة ابنة زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها
واذا قام حملها وعن ابى قتادة وفد وفد النجاشى فقام النبى
صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له اصحابه رضى الله عنهم نكفيك
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانى احب ان اكافئهم ولما
جئ باخته من الرضاعة الشيماء فى سبايا هوازن وتعرفت له
بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت عندى مكرمة محبة
او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال
ابو الطفيل رايت النبى صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذا قبلت
امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه من هذه
قالوا امه التى ارضعته وعن عمرو بن السائب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة
فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق
ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان
يبعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما
ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا احد وفي حديث خديجة
رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله
لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم
وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه
صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان
صلى الله عليه وسلم اشد الناس تواضعا واعدمهم كبرا
وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار
ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك فان الله قد
اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة واول
من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا الفقيه ابو الوليد بن
العواد بقراءتي عليه وفي منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة
قال حدثنا ابو علي الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابن عبد المؤمن
حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة
حدثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن ابي العنبس عن ابي العدبس
عن ابي مرزوق عن ابي غالب عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا
كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا وقال صلى الله عليه وسلم
انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان
صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا
بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني

كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وعن انس ان امراة كان في عقلها شئ جاءته صلى الله عليه وسلم
فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان في اي طرق المدينة
شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك فجلست فجلس النبي صلى الله
عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم
بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه اكاف قال وكان
يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وجئ صلى الله
عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم
فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت
عليه الارض واهدي في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه
مكة ودخلها بجيوش المسلمين طاطأ على رحله رأسه حتى كاد
يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه قوله صلى الله
عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين
الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم
ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي
قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث
بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وابي سعيد
وغيرهم في صفته صلى الله عليه وسلم كان في بيته في مهنة
اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرفع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع
الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس
رضي الله عنه ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ بيد

ويتصفح بيريد على رضي

يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء
جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزا جزأه بينه وبين الناس
فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من
لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها
آمنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضى الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا
يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبرى عن على رضى الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشئ مما كان اهل الجاهلية
يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام
كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة
سمعت فيها عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست
انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك
بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته
وتؤدته ومروءته وحسن هديه فحدثنا ابو على الجياني
الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس
الدلائي اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق
حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام
حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن
عبد العزيز بن وهيب سمعت جارجة بن زيد يقول كان النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شئ
من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى
بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا
وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم تربع وربما جلس
القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان صلى الله عليه وسلم
كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل
وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به صلى الله عليه
وسلم مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير
وفي صفته صلى الله عليه وسلم يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما
ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف
في مشيته انه غير عرض ولا وكل اى غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله
عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترتيل وترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد
احصاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول
حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن التفخ في الطعام

يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء
جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس
فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول ابلغوا حاجة من
لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها
آمنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن رضى الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا
يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر الطبرى عن على رضى الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشئ مما كان اهل الجاهلية
يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك
ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام
كان يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها
كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة
سمعت فيها عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست
انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس فرجعت
ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك
بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته
وتؤدته وحرزته وحسن هديه فحدثنا ابو على الجياني
الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال حدثنا ابو العباس
الدلائي اخبرنا ابو ذر الهروي اخبرنا ابو عبد الله الوراق
حدثنا اللؤلؤي حدثنا ابو داود حدثنا عبد الرحمن بن سلام
حدثنا حجاج بن محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن
عبد العزيز بن وهيب سمعت جارجة بن زيد يقول كان النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شئ
من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى
بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا
وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم ترتبع وربما جلس
القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان صلى الله عليه وسلم
كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل
وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به صلى الله عليه
وسلم مجلسه مجلس حلم وحيآء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات
ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير
وفي صفته صلى الله عليه وسلم يحظو تكفأ ويمشي هونا كانما
ينحط من صبب وفي الحديث الاخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف
في مشيته انه غير غرض ولا وكل اى غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله
عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله
عليه وسلم ترتيل وترسيل قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع
على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد
احصاه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الطيب
والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول
حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن التنفخ في الطعام

والشراب والامر بالاكل مما يلى والامر بالسواك وانقاء البراجم
والروا جب واستعماله خصال الفطرة فصل واما زهده
صلى الله عليه وسلم في الدنيا فقد تقدم في اثناء هذه السيرة
ما يكفى وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد
سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوجها الى ان توفى
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودى في نفقة
عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا
سفيان بن العاصى والحسين ابن محمد الحافظ والقاضى ابو عبد الله
التميمى قالوا حدثنا احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازى
قال حدثنا ابو احمد الجلودى قال حدثنا ابن سفيان حدثنا
ابو الحسين ابن الحجاج حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة حدثنا
ابو معوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضى الله
عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام
تباعا من خبز حتى مضى لسبيله وفى رواية اخرى من خبز
شعير يومين متواليين ولو شاء لاعطاه الله تعالى ما لا يخطر
ببال وفى رواية اخرى ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى رواية ما شبع آل رسول
الله صلى الله عليه وسلم من خبز حتى لقى الله عز وجل وفى حديث
عمرو بن الحرث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها
صدقة وقالت عائشة رضى الله عنها ولقد مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد الا شطر
شعير فى رف لى وقال لى انى عرض على ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا
فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذى اجوع

فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك
واثنى عليك وفى حديث آخر ان جبريل عليه السلام نزل عليه
صلى الله عليه وسلم فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول
لك اتحب ان يجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث
ماكنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له
ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل عليه
الصلاة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن
عائشة رضى الله عنها ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا
ان هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير
وعن عائشة رضى الله عنها وابى امامة وابن عباس رضى الله عنهم
نحوه قال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم
يبيت هو واهله الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء
وعن انس رضى الله عنه قال ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا
قط وعن عائشة رضى الله عنها انما كان فراشه صلى الله عليه
وسلم الذى ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة رضى الله
عنها كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته مسحا
نثنيه ثنتين فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح صلى الله
عليه وسلم قال ما فرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه
بحاله فان وطاءته منعتنى الليلة صلاتى وكان صلى الله عليه
وسلم ينام احيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر فى جنبه
وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله

عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة
احب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعا يلتوى طول ليلته
من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز
الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكى له رحمة مما اراه به
وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع واقول نفسى لك الفداء
لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول مالى وللدنيا اخوانى
من اولى العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا
على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدنى
استحيى ان ترفهت فى معيشتى ان يقصر بى غدا دونهم وما من شئ
هو احب الى من اللحوق باخوانى واخلائى والرفيق الاعلى قالت
فما اقام بعد الا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم فصل
واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه
ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة منى عليه
حدثنا ابو القاسم الطرطوشى حدثنا ابو الحسن القابسى حدثنا
ابو زيد المروزى حدثنا ابو عبد الله الفربرى حدثنا محمد بن
اسمعيل حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب
عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضى الله عنه كان يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا زاد فى روايتنا عن ابى عيسى الترمذى
رفعه الى ابى ذر رضى الله عنه انى ارى ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع
الا وملك واضع جبهته ساجد لله والله لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش

ولخرجتم

ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله لوددت انى شجرة تعضد
وروى هذا الكلام وددت انى شجرة تعضد من قول ابى ذر نفسه
وهو اصح وفى حديث المغيرة رضى الله عنه صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفى رواية كان يصلى
حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من
ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه عن ابى سلمة
وابى هريرة وقالت عائشة رضى الله عنها كان عمل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت
كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه
عن ابن عباس وام سلمة وانس رضى الله عنهم وقالت كنت لاتشاء
ان تراه من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما
وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلى فقمت معه فبدأ فاستفتح
البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب
الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان
ذى الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد فقال مثل ذلك
ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة
مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه
وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة
رضى الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن
ليلة وعن عبد الله ابن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يصلى ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابى هاله كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة

ليست له راحة وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله
فى اليوم مائة مرة وروى سبعين مرة وعن على كرم الله وجهه
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة
رأس مالى والعقل اصل دينى والحب اساسى والشوق مركبى
وذكر الله تعالى انيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم
سلاحى والصبر ردائى والرضاء غنيمتى والفقر فخرى والزهد
حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد
خلقى وقرة عينى فى الصلاة وفى حديث آخر وثمرة فؤادى فى
ذكره وغمى لاجل امتى وشوقى الى ربى فصل اعلم وفقنا الله
واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام
من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق
وجميع المحاسن فى هذه الصفة لانها صفات الكمال والكمال
والتمام البشرى والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم
اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم
على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقال عليه
الصلاة والسلام ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر
ليلة البدر ثم قال آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة
ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء وفى
حديث ابى هريرة رضى الله عنه رأيت موسى عليه الصلاة
والسلام فاذا رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة
ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر
كانما خرج من ديماس وفى حديث آخر مبطن مثل السيف

قال وانا

قال وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في حديث اخر في صفة موسى
عليه الصلاة والسلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذروة من قومه
ويروى في ثروة اى كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة
ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا
قط الا احسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم
وجها واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه
فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب
قومها وقال الله تعالى في ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد
انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم
ابعث حيا وقال تعالى ان الله يبشرك يحيى الى الصالحين
وقال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
الآيتين وقال تعالى في نوح انه كان عبدا شكورا وقال تعالى
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية وقال تعالى عبد الله
اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية وقال النبي صلى الله عليه
وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء
استحياء الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية
وقال تعالى في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال ان خير
من استأجرت القوي الامين وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا
الى قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فوصفهم

باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة
وقال تعالى فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال تعالى ولقد
فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى امين وقال
ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال تعالى في اسمعيل
انه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي
سليمان نعم العبد انه اواب وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى قوله من الاخيار
وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب وقال تعالى عن يوسف اجعلني على خزائن
الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني ان شاء الله صابرا
وقال عن شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال
وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت وقال تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما وقال
انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفيان هو الخزن
الدائم في آي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم
الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله صلى الله
عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس وكذلك
الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان
عليه الصلاة والسلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع
بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ
الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا رأس العابدين
وابن محجة الزاهدين وكانت المجوز تعترضه وهو على الريح

ابراهيم الكريم ابن نبي

في جنوده

فجنوده فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل
ليوسف عليه السلام مالك تجوع وانت على خزائن الارض
قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة رضي الله عنه
صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه
فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يده قال
الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان
سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال
عليه الصلاة والسلام احب الصلاة الى الله صلاة داود
واحب الصيام الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف
ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه
بالدموع ولم يرضاحكا بعد الخطيئة ولا شاخصا بصره الى
نحو السماء حياء من ربه عز وجل ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل
بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده
اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء
عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت
حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر
ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه النوم نام وكان احب
الاسماء اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام
لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال
وقال عليه الصلاة والسلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى
احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم
وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل

له فى ذلك فقال اكره ان اعوّد لسانى النطق بسوء وقال مجاهد
كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان يبكى من خشية الله
حتى اتخذ الدمع مجرى فى خدّه وكان ياكل مع الوحش لئلا
يخالط الناس وحكى الطبرى عن وهب ان موسى عليه السلام
كان يستظل بعريش ويأكل فى نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد
ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه من كلامه
واخبارهم فى هذا كله مسطورة وصفاتهم فى الكمال وجميل
الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول
بها ولا نلقت الى ما يجده فى كتب جهلة المؤرخين او المفسرين
مما يخالف هذا فصل قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق
الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة وأريناك
صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلينا من الآثار ما فيه مقنع
والامر اوسع فمجال هذا الباب فى حقه صلى الله عليه وسلم ممتدّ
تنقطع دون نفاده الآلاء وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدّره
الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره فى الصحيح والمشهور
من المصنفات واقتصرنا فى ذلك بقدر من كل وغيض من فيض
ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابى هالة
لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا واد ماجه جملة كافية من
سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله
حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله تعا
بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة قال حدثنا الامام ابو
القاسم عبد الله بن طاهر التميمى قرات عليه اخبركم الفقيه
الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابورى والشيخ الفقيه

ابن

ابن حمد الله

ابو عبد الله

ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المهدى والقاضى ابو على الحسن
بن على بن جعفر الوخشى قالوا حدثنا ابو القاسم على بن احمد بن
محمد بن الحسن الخزاعى قال اخبرنا ابو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشى قال اخبرنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ
قال حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن
العجلى املاء من كتابه قال حدثنى رجل من بنى تميم من ولد ابى
هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضى الله عنها يكنى اباعبد الله
عن ابن ابى هالة عن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنهما
قال سألت خالى هند ابن ابى هالة قال القاضى ابو على رحمة الله
وقرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خذاذ الكرجى
الباقلانى قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن
خيرون قالا اخبرنا ابو على الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن
محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسى قراءة عليه فاقر به
قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن
عبد الله بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب
المعروف بابن اخى طاهر العلوى قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن
اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب قال
حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين عن اخيه موسى بن
جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن على بن الحسين قال قال
الحسن بن على والله اسئلك بهذا السند سألت خالى هند ابن ابى
هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا
ارجو ان يصف لى منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول

من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر اذا انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنه اذا هو وفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن
بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه
يحسبه من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين
ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه
جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادنا متماسكا
سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين
ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة
بشعر يجري كالخط عاري الثديين ما سوى ذلك اشعر
الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب
الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او
قال سائل الاطراف سبط العصب خمصان الاخمصين
مسيح القدمين ينبو عنهما الماء اذا زال زال تقلعا ويخطو
تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب
واذا التفت التفت جميعا حافض الطرف نظره الى الارض اطول
من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه ويبدأ
من لقيه بالسلام قلت صفه لي منطقه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليس له
راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام
ويختمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه
ولا تقصير دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت
لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه

اذا تعرض

اذا تعرض للحق بشئ حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا
ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث
اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى واذا غضب
اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر
عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين زمانا ثم حدثته
فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئا
قال الحسين سألت ابي رضي الله عنه عن دخول رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك
فكان اذا آوى الى منزله جزأ دخوله ثلاثة اجزاء جزأ لله تعالى
وجزأ لاهله وجزأ لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس
فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا وكان
من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه قسمته على
قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم
ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من
مسألته عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد
الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة
لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره وقال في حديث
سفيان بن وكيع يدخلون رواد ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون
ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحترز لسانه الا مما يعنيهم
ويؤلفهم ولا يفرقهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم

ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن احد بشره وخلقه
ويتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن
ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل
مخافة ان يغفلوا او يميلوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق
ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده
اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة و
موازرة فسالته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا
يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس
حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه
حتى لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه من جالسه او قاومه
لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده
الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
فصاروا له آباء وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه
بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه
مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن
فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعا
طفون بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير
ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسالته عن سيرته صلى
الله عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم دائم البشر سهل الخلق ليّن الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا
صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي
ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه

وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث
من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك
مما يضحكون منه ويتعجب مما يعجبون منه ويصبر للغريب على الحفوة
في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا
يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه
فيقطعه بانتهاء او قيام هذا انتهى حديث سفيان بن وكيع
وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال
كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره
ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما يبقى
ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه
شيء ولا يستفزه وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به
وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأي بما اصلح امته والقيام
لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله
المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث
الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط
فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر الرأس
اذا زال افرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة
ويروى عقيصته وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه
زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وهذا كما قال في الحديث الاخر
ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض

والآدم هو الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر ابيض مشرب
اى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر
والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة
الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع فى حديث
ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفى
الحديث الآخر اشكل العين واسح العين وهو الذى فى بياضها
حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل
رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا
ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن
ذو لحم متماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله
فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخ
فى اللحم والمكلثم القصير الدقن وسواء البطن والصدر اى
مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه اللفظة فيكون
من الاقبال وهو احد معانى اشاح اى انه كان بادى الصدر ولم يكن
فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن
اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح
بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن
دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الآخر
جليل المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع
الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحمهما والزندان عظما
الذراعين سائل الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى
انه روى سائل الاطراف وقال سائن الاطراف بالنون وهما بمعنى
تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بهما واما على الرواية الاخرى

وسائر

وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة
في الحديث، ورحب الراحة اى واسعها وقيل كنى به عن سعة
العطاء والجود، وخمصان الاخمصين اى متجافى اخمص القدم
وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم، ومسيح
القدمين اى املسهما ولذلك قال ينبو عنهما الماء وفى حديث
ابى هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ الارض بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا
سمى المسيح ابن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما
وهذا ايضا يخالف شثن القدمين والتقلع وهو رفع الرجل
بقوة والتكفؤ الميل الى سنن الممشى وقصده والهون الرفق
والوقار والذريع الواسع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه
رجليه بسرعة ويمد خطوه بخلاف مشية المختال ويقصد سمته
وكل ذلك برفق وتثبت كما قال كانما ينحط من صبب وقوله
يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تتمادح
بهذا وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه
ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه
للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة ويداخلون رفادا اى
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق
قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب
والاكثر واعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة
وقوله لا يوطن الاماكن اى لا يتخذ لصلاة موضعا معلوما
وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن هذا مفسرا فى غير

هذا الحديث وصابره اى جبس نفسه على ما يريد صاحبه
ولا تؤبن فيه الحرم لا يذكرن بسوء ولا تنشا فلتاته اى يتحدث
بها اى لم يكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون
يعينون والصحاب الكثير الصياح ولا يقبل الثناء الا من مكافئ
قيل من مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ
على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم ويستفزه يستخفه
وفى حديث آخر فى وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب
اى قليل لحمها وقيل بالمعجمة واهدب الاشفار اى طويل شعرها
الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم
قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به فى الدارين من كرامته
صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم
وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى
واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها
على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معانى ما ورد منها فى اثنى عشر
فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه
بالاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما
خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال حدثنا ابو الحسن
الفرغانى حدثتنا ام القاسم بنت ابى بكر ابن يعقوب عن ابيها
حدثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى وهو ابن اسمعيل عن يحيى
الحمانى حدثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعى عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق
قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين

واصحاب الشمال

واصحاب الشمال فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل
القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب
اليمنة واصحاب المشأمة والسابقون فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها
قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الاية فانا اتقى ولد آدم
واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا وجعلني من خيرها
بيتا وذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول
الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وعن
واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله
عنه انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس
رضي الله عنهما انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عائشة
رضي الله عنها عنه عليه الصلاة والسلام اتاني جبريل فقال
قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار افضل من محمد ولم ار بني
اب من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه
فقال له جبريل عليه السلام ايا محمد تفعل هذا فما ركبك احد
اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله آدم اهبطني
في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة

وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ولم يزل ينقلني في الاصلاب
الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا
على سفاح قط والى هذا اشار العباس رضي الله عنه بقوله
من قبلها طبت في الظلال وفي ٭ مستودع حيث يخصف
الورق ثم هبطت البلاد لا بشر ٭ انت ولا مضغة ولا علق بل
نطفة تركب السفين وقد ٭ الجم نسرا واهله الغرق تنقل
من صالب الى رحم اذ مضى عالم بدا طبق وروى عنه صلى الله
عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن
عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت
لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت
الشفاعة وفي رواية بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه
وفي رواية اخرى وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع من
المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود العرب
لان الغالب على الوانهم الادمة فهم السود والحمر العجم وقيل
البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي
الحديث الاخر عن ابي هريرة نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم
وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي
وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة بن عامر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وانا
شهيد عليكم واني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت
مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي

ولكني

ولكنى اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمر
رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انا محمد النبى لا نبى بعدى اوتيت جوامع الكلم وخواتمه
وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين
يدى الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسأل يا رب اتخذت
ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت
سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعدك فقال الله تعالى ما اعطيتك
خير من ذلك اعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمى ينادى به
فى جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشى فى الناس مغفورا لك
ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها
وخبأت لك شفاعتك ولم اخبأها لنبى غيرك وفى حديث
آخر رواه حذيفة بشرنى يعنى ربى اول من يدخل الجنة معى
من امتى سبعون الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم
حساب واعطانى ان لا تجوع امتى ولا تغلب واعطانى النصر
والعزة والرعب يسعى بين يدى امتى شهرا وطيب لى ولامتى
الغنائم واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا
فى الدين من حرج وعن ابى هريرة رضى الله عنه صلى الله
عليه وسلم ما من نبى من الانبياء الا وقد اعطى من الايات
ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله
الى فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة ومعنى هذا عند
المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الانبياء

ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضرها ومعجزة القرآن يقف
عليها قرن بعد قرن عيانا لاخبرا الى يوم القيمة وفيه كلام
يطول هذا نخبته وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى
هذا اخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطى
سبعة نجباء من امته ونبيكم صلى الله عليه وسلم اعطى
اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله قد جلس عن مكة الفيل وسلط
عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل لاحد بعدي وانما
احلت لي ساعة من نهار وعن العرباض بن سارية سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عبد الله وخاتم
النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم وبشارة
عيسى ابن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله
تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى
الانبياء كلهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله
قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الاية وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك الاية قالوا فما فضله
على الانبياء قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية
وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس
وعن خالد بن معدان ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك وقد روى
نحوه عن ابي ذر وشداد ابن اوس وانس بن مالك فقال نعم انا
دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
وبشر بي عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور

اضاء له

اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت فى بنى
سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لى نرعى بهما لنا اذ جاءنى رجلان
عليهما ثياب بيض وفى حديث آخر ثلاثة رجال بطست
من ذهب مملوءة ثلجا فاخذانى فشقا بطنى قال فى غير هذا
الحديث من نحرى الى مراق بطنى ثم استخرجا منه قلبى فشقاه
واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبى وبطنى
بذلك الثلج حتى انقياه قال فى حديث آخر ثم تناول احدهما
شيئا فاذا بخاتم يدين من نور يحار الناظر دونه بهاء فختم به قلبى
فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الآخر يده على مفرق
صدرى فالتأم وفى رواية اخرى ان جبريل عليه السلام
قال قلب وكيع اى شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان
ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزننى بهم فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فوزننى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بالف
من امته فوزننى بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته
بامته لوزنها قال فى الحديث الآخر ثم ضمونى الى صدورهم
وقبلوا رأسى وما بين عينى ثم قالوا يا حبيب لو ترع انك
لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفى بقية هذا
الحديث من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته
قال فى حديث ابى ذر فما هو الا ان ولينا عنى فكأنما ارى الامر
معاينة وحكى ابو محمد مكى وابو الليث السمرقندى وغيرهما
ان آدم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لى
خطيئتى ويروى تقبل توبتى فقال له الله سبحانه من اين
عرفت محمدا قال رأيت فى كل موضع من الجنة مكتوبا

لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدى ورسولى فعلمت
انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند
قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
وفي رواية الاجرى فقال آدم لما خلقتنى رفعت رأسى
الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ٣
فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه
مع اسمك فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين
من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان آدم يكنى بابى محمد
وقيل بابى البشر وروى عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة
سياحين عباد تها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد
صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضى عن ابى الحمراء
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى الى السماء
اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلى
وفي التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى
وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب مكتوب عجبا لمن ايقن
بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا
لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله
الا انا محمد عبدى ورسولى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
على باب الجنة مكتوب انى انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله
من قالها لا اعذبه وذكر انه وجد على الحجارة القديمة محمد
تقى مصلح وسيد امين وذكر الشمنطارى انه شاهد فى بعض
بلاد خراسان مولود ولد وعلى احد جنبيه مكتوب لا اله
الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ٣٣

ان بلاد

ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله
محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيمة
نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه
عليه الصلاة والسلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب
في جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت
فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم وعنه صلى الله
عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة
وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اجتمع قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه
في مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب
وعن عبد الله بن مسعود ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد
فاختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه
برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا الآية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله
فضلني عليكم تفضيلا وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا
الحديث فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بما تضمنت
كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج
به الى سدرة المنتهى وما رآى من ايات ربه الكبرى ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه
من درجات الرفعة مما نبه عليه في كتابه العزيز وشرحته
صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام الآية وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله

لقد رآى من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين فى صحة
الاسراء به عليه الصلاة والسلام اذ هو نص القرآن وجاءت
بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم
اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضى
الشهيد ابو على والفقيه ابو بحر بسماعى عليهما والقاضى
ابو عبد الله التميمى وغير واحد من شيوخنا قالوا حدثنا
ابو العباس العذرى حدثنا ابو العباس الرازى حدثنا
ابو احمد الجلودى حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد ابن سلمة حدثنا
ثابت البنانى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون
البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت
بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الانبياء ثم
دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل
باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت
الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح فقال من انت قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى
بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن
زكريا عليهما الصلاة والسلام فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم

عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف
صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا
بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا
عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله
فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة
فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو
يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال
فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض
علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال
ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك
فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت
بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف
عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني
خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله
التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى
قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة
عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى

انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رحمة الله تعالى جوّد
ثابت رحمة الله تعالى هذا الحديث عن انس رضي الله عنه
ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره
عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك ابن ابي نمر فقد ذكر
في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا
انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه
وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف انها
كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة
بسنة وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن
سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مقررة
من حديث الاسراء كما رواه الناس مجودة في القصتين وفي ان
الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة
وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك فازاح كل
اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس
قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله
من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا
فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى
السماء فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس
عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص

وخلاف

وخلاف ترتيب الانبياء فى السموات وحديث ثابت عن انس
اتقن واجود وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات تذكر
منها نكتا مفيدة فى غرضنا منها فى حديث ابن شهاب وفيه قول
كل نبى له مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم
وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس
ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
وعن انس ثم انطلق بى حتى اتينا سدرة المنتهى فغشيها
الوان لا ادرى ما هى قال ثم ادخلت الجنة وفى حديث مالك ابن
صعصعة فلما جاوزته يعنى موسى عليه السلام بكى فنودى
ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل من امته
الجنة اكثر ممن يدخل من امتى وفى حديث ابى هريرة رضى الله
عنه وقد رأيتنى فى جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم
فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت
فبدأنى بالسلام وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه ثم ساد
حتى اتى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة
فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد
رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا
حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم
لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد
منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر
كلام النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان محمدا صلى الله عليه
وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى
الحمد لله الذى ارسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا

ونذيرا وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ وجعل امتي خير امة
وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون وهم الاخرون
وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فقال ابراهيم صلى الله عليه وسلم بهذا فضلكم
محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر انه عرج به الى السماء الدنيا
ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله
عنه انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها
ينتهى به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط من فوقها
فيقبض منها قال تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من
ذهب وفي حديث ابي هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لي
هذه سدرة المنتهى ينتهى اليها كل واحد من امتك خلا على
سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين
وانهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين
عاما وان ورقة منها مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة
قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال الله تبارك
وتعالى له سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا
عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت
له الحديد وسخرت له الجبال واعطيت سليمان ملكا عظيما
وسخرت له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيته ملكا
لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت موسى التورية وعيسى الانجيل
والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه
من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعا

ما يعرج

قد اتخذتك

قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن
وارسلتك الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم
الاخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك
عبدي ورسولي وجعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا و
اعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها نبيا قبلك واعطيتك
خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك
وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس
واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من
امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين رأى جبريل
في صورته له ستمائة جناح وفي حديث شريك انه صلى الله
عليه وسلم رأى موسى في السابعة قال بتفصيل كلام الله تعالى
قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن
ان يرفع احد علي وقد روى عن انس رضي الله عنه انه صلى الله
عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل
جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت معه الى شجرة فيها
مثل وكر الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت
حتى سددت الخافقين ولو شئت لمست السماء وانا اقلب طرفي
ونظرت جبريل كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله تعالى
علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم ولط دوني الحجاب
وفرجه الدر والياقوت ثم اوحى الله الي ما شاء ان يوحي وذكر
البزاز عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد الله تعالى

ان يعلم رسوله صلى الله عليه وسلم الاذان جاءه جبريل بدابة
يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها
جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد
صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن
تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق
اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت
قبل ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء
الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله
الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا
وذكر مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله
حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد
صلى الله عليه وسلم فقدمه فامّ اهل السماء فيهم آدم ونوح
عليهما السلام قال ابو جعفر محمد بن علي ابن الحسين راويه اكمل الله
لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض
قال القاضي رضي الله عنه هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو
في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والبارئ جل اسمه
منزه عما يحجبه اذ الحجاب انما يحيط بمقدر محسوس ولكن
حجبه على ابصار خلقه وبصارهم وادراكاتهم بما شاء وكيف
شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب
ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع
على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته

ويدل عليه

ويدل عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذى خرج من
ورائه انه هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه
فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول
كعب فى تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهى علم الملائكة و
عندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذى
يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى يلى عرش الرحمن او امرا من
عظيم آياته او من مبادئ حقائق معارفه بما هو اعلم به كما قال
تعالى واسأل القرية التى كنا فيها وقوله فقيل من وراء الحجاب
صدق عبدى انا اكبر فظاهره انه سمع فى هذا الموطن كلام
الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب اى وهو لا يراه حجب
بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم
رآى ربه فيحتمل انه فى غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع
الحجاب عن بصره حتى رآه والله اعلم فصل ثم اختلف
السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه وجسده على ثلاث
مقالات فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام
مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحى والى هذا ذهب معوية
وحكى عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن
اسحق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك
الا فتنة للناس وقيل رآها فى عام الحديبية وما حكى
عن عائشة رضى الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم
فى المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال فى آخرها فاستيقظت

وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسرآء
بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر
وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة وابي حبة
البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم
ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة
وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين
وهذا قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين
والمفسرين وقالت طائفة كان الاسرآء بالجسد يقظة من
المسجد الحرام الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا
بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى فجعلوا الى المسجد الاقصى غاية الاسرآء
الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي
صلى الله عليه وسلم واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال
هؤلاء ولو كان الاسرآء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى
لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلف هذه الفرقتان هل صلى
بيت المقدس اولا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من
صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا
عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق
من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسرآء بالجسد والروح
في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التاويل الا عند الاستحالة
وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة اذ لو كان مناما

لقال بروح

لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى
ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده
الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا
به اذ مثل هذه من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا
وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر
في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية
انس وفي السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق
وخبر المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول
محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه
في فرض الصلاة ومراجعته موسى في ذلك وفي بعض هذه مع
الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الى السماء الى قوله
ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه
صلى الله عليه وسلم وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة
ورأى فيها ما ذكره قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي
صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس
في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيئًا
فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي
فجرني الى باب المسجد فاذا دابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ
ما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي تلك
الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت معكم
العشاء الاخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس
فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا

بين في انه بجسمه وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك
البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد
الاقصى وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم صليت ليلة اسرى بي في مقدم المسجد ثم دخلت
الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث و
هذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن
ابي ذر رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم
الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي وعن انس اتيت فانطلق
بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد رأيتني
في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشياء لم اثبتها
فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه ونحوه
عن جابر وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث
الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت الى خديجة
وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجج من قال انها نوم
احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة
للناس فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي اسرى يرده لانه
لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين
واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان
كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في
اقطار متباينة على ان المفسرين فقد اختلفوا في هذه الآية
فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع

في نفوس الناس

في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا واما قولها نائمة ساها في الحديث
مناما وقوله في حديث اخر بين النائم واليقظان وقوله ايضا وهو
نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول
الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس
في الحديث انه كان نائما في القضية كلها الا ما يدل عليه ثم
استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى
اصبحت واستيقظ من نوم اخر بعد وصوله بيته ويدل عليه
ان مسراه لم يكن طول ليلة وانما كان في بعضه وقد يكون قوله
استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع
من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى
وما رآى من ايات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى الحال البشرية
الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر
ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال
بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا
يشغله شئ من المحسوسات عن الله تعالى ولا يصح ان يكون هذا
في وقت صلاته بالانبياء ولعله كان له في هذا الاسراء حالات
ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من
الاضطجاع ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم
وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة بينا انا في الحطيم وربما قال
في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان
فيكون سمتي هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ~~

ودنو الرب الواقعة فى هذا الحديث انما هى من رواية شريك
عن انس فهى منكرة من روايته اذ شق البطن فى الاحاديث
الصحيحة انما كان فى صغره عليه الصلوة والسلام وقبل
النبوة ولانه قال فى الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع
كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع فى رواية انس مع
ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره ولم يسمعه
من النبى صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة
وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة
كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة ما فقد جسده فعائشة
لم تحدث عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا فى سن
من يضبط ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف فى الاسراء
متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام على قول الزهرى ومن
وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة فى الهجرة
بنت ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة بعام
والاشبه انه لخمس والهجرة لذلك تطول وليست من غرضنا
واذا لم تشاهد ذلك عائشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا
فى حديث ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث بالثابت
والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعنى حديث ام هانئ وما ذكرت
فيه خديجة وايضا فقد روى فى حديث عائشة ما فقدت
ولم يدخل بها النبى صلى الله عليه وسلم الا بالمدينة وكل
هذا يوهنه بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها
رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره

وانما

به

فان قيل

فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل ما رآه
للقلب وهذا يدل على انها رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين
وحس قلنا يقابله ما زاغ البصر وما طغى فاضاف الامر للبصر
وقد قال اهل التفسير في تفسير ما كذب الفؤاد ما رأى اى لم يوهم
القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه
ما رأته عينه فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم
لربه عز وجل فاختلف السلف فيها فانكرتها عائشة رضي الله
عنها حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي
عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه قالا حدثنا
القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو الفضل الصقلي قال
حدثنا ثابت ابن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا حدثنا
عبد الله بن علي حدثنا محمود بن آدم حدثنا وكيع عن ابن ابي
خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة رضي الله عنها
يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت
ثلاث من حدثكم بهن فقد كذب من حدثكم ان محمدا رأى ربه
فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الاية وقالت جماعة
بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة
انه قال انما رأى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا وامتناع
رؤيته تعالى في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وعن ابن عباس انه رآه بعينه وروى عطاء عنه انه رآه
بقلبه وعن ابي العالية عنه انه رآه بفؤاده مرتين وذكر
ابن اسحق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد
ربه فقال نعم والاشهر عنه انه رآى ربه بعينه روى

ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم
بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله ما كذب
الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى
قال الماوردي قيل ان الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين
وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب
وروى عبد الله بن الحرث قال اجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس انا نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا صلى الله
عليه وسلم قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال
وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى
ورآه محمد بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الاية قال
رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي
عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي ولم أره بعيني
وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى
الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد
رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض
المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان
سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش عن
احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه
انه رأى ربه رآه رآه حتى نقطع نفسه يعني نفس احمد وقال
ابو عمر قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجين عن القول برؤيته

في الدنيا

فى الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره
وقد اختلف فى تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة والحسن
وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن
وابن مسعود رآى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل
عن ابيه انه قال رآه وعن ابن عطاء فى قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام
وقال ابو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى وجماعة من اصحابه انه ارى
الله ببصره وعينى رأسه وقال كل اية اوتيها نبى من الانبياء
عليهم السلام فقد اوتى مثلها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشائخنا فى هذا
وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضى
ابو الفضل رضى الله عنه والحق الذى لا امتراء فيه ان
رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها
ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم
يسئل الا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من
الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن ترانى
اى لن تطيق ولا تحتمل رؤيتى ثم ضرب لها مثلا مما هو اقوى من بنية
موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته
فى الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس فى الشرع دليل قاطع
على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى
لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات فى الاية واذ ليس يقتضى

قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية
نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل
لا تدركه الابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به
وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه
المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا
استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن ترانى الاية
وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان
من قال معناها لن ترانى في الدنيا انما هو تاويل وايضا فليس
فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق
التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع به سبيل
وقوله تبت اليك اى من سؤالى ما لم تقدره لى وقد قال ابو بكر
الهذلى في قوله تعالى لن ترانى اى ليس لبشر ان يطيق ان ينظر
الى في الدنيا وانه من نظر الى تمات وقد رأيت لبعض السلف
والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة
لضعف تراكيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا
للافات والفناء فلم يكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الاخرة
وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوة ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم
وقلوبهم قووا بها على الرؤية وروى نحو هذا لمالك ابن انس
قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كانوا في
الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رؤى الباقى بالباقى وهذا كلام
حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف
القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل
اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى

ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية
منحاها الادراك ما ادركاه ورؤية ما رآياه والله اعلم وقد ذكر
القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه ان
موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا وان الجبل رأى
ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله
اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال
جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا
بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى رآه وقد وقع لبعض
المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال
برؤية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم له اذ جعله دليلا
على الجواز ولا حرية في الجواز اذ ليس في الايات نص في المنع
واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول بانه رآه
بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على آيتي النجم
والتنازع فيهما ما تورد والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر
عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب
العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية
وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن
وحديث ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروى نورانى اراه
وحكى بعض شيوخنا انه نورانى اراه وفي حديثه الاخر سألته
فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية

فان كان الصحيح رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله وانما رأى نورا
منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع قوله نور انى اراه
اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى للبصر وهذا مثل ما فى الحديث
الآخر لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين وتلا ثم دنى فتدلى
والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب او كيف
شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين فى الباب اعتقد
ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعى يرده
والله سبحانه الموفق للصواب فصل واما ورد فى هذه
القصة من مناجاته لله تعالى وكلامه معه بقوله فاوحى
الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر المفسرين
على ان الموحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام وجبريل
الى محمد صلى الله عليه وسلم الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر
ابن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطى
والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم
كلم ربه فى الاسراء وحكى عن الاشعرى وحكى عن ابن مسعود
وابن عباس وانكره آخرون وذكر القشاس عن ابن عباس
فى قصة الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله دنا فتدلى
قال فارقنى جبريل فانقطعت الاصوات عنى فسمعت كلام ربى
وهو يقول ليهنك يا محمد ادن ادن وفى حديث انس
فى الاسراء نحو منه وقد احتج فى هذا بقوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحى باذنه ما يشاء فقالوا هى ثلاثة اقسام من وراء حجاب
كتكليم موسى وارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر

احوال نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم الثّالث قوله وحيا ولم يبق
من تقسيم صور الكلام الّا المشافهة مع المشاهدة وقد قيل
الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النّبيّ دون واسطة وقد ذكر
ابو بكر البزّار عن علي كرّم الله وجهه في حديث الاسراء ما هو
اوضح في سماع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لكلام الله من الاية
فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل
ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا
مع ما يشبههما وفي اوّل فصل من الباب منه وكلام الله تعالى لمحمّد
صلّى الله عليه وسلّم ومن اختصّه من انبيائه جائز غير ممتنع
عقلا ولا ورد في الشّرع قاطع يمنعه فان صحّ في ذلك خبر اعتمد
عليه وكلامه تعالى لموسى كان حقّ مقطوع به نصّ ذلك في الكتاب
واكّده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد
في الحديث انّه في السّماء السّابعة بسبب كلامه ورفع محمّدا
صلّى الله عليه وسلّم فوق هذا كلّه حتّى بلغ مستوى وسمع
صريف الاقلام فكيف يستحيل في حقّ هذا او يبعد فسبحان
من اختصّ من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات

سمع الكلام

فصل واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من
الدّنوّ والقرب من قوله ثمّ دنا فتدلّى فكان قاب قوسين او ادنى
فاكثر المفسّرين انّ الدّنوّ والتّدلّي متقسّم ما بين محمّد وجبريل
عليهما الصّلاة والسّلام او مختصّ باحدهما من الاخر او من
السّدرة المنتهى قال الرّازي وقال ابن عبّاس هو محمّد صلّى الله
عليه وسلّم دنا فتدلّى من ربّه وقيل معناه قرب وتدلّى زاد في القرب

وقيل هما بمعنى واحد اى قرب وحكى مكى والماوردى عن
ابن عباس هو الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى
اليه اى امره وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من
عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه ماشاء
ان يريه من عظمته وقدرته قال وقال ابن عباس هو مقدم
ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقنى جبريل وانقطعت
عنى الاصوات فسمعت كلام ربى وعن انس فى الصحيح عرج
بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه
خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد
صلى الله عليه وسلم دنا من ربه فكان قاب قوسين وقال
جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين وقال
جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال
ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل
عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع قلبه من
المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما اداه وزال عن
قلبه الشك والارتياب قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه
اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله
فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد
الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى صلى الله عليه وسلم
من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته
واشراقا نوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته

ومن الله

ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول في قوله
ينزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال
وقبول واحسان قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل
ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا يعني عن درك
حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن
جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن
نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة
من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء
المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له
ويتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني
يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان
وتعجيل بالمامول فصل في ذكر تفضيله في القيمة بخصوص
الكرامة حدثنا القاضي ابو علي حدثنا ابو الفضل وابو الحسين
قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السبخي حدثنا ابن محبوب حدثنا
الترمذي حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام
بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس عن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد بيدي
وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زنجر عن الربيع بن
انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا
قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الكرم بيدي وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون

وعن ابى هريرة رضى الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى
وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد آدم يوم القيمة وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ
آدم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض
ولا فخر وعن ابى هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول
شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضى الله عنهما انا حامل لواء الحمد
يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول
من يحرك حلق الجنة فيفتح لى فادخلها ومعى فقراء المؤمنين
ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وانا اكثر الناس تبعا
وعن انس انا اول الناس يشفع فى الجنة وانا اكثر الناس تبعا
وعن انس قال النبى صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس
يوم القيمة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين
وذكر حديث الشفاعة وعن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم
قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيمة وفى حديث
آخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى كلمة الله فيكم يوم القيمة
ثم قال انهما فى امتى يوم القيمة اما ابراهيم فيقول انت دعوتى
وذريتى فاجعلنى من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة بنو علات
امهاتهم شتى وان عيسى اخى ليس بينى وبينه نبى وانا اولى الناس
به قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيمة
ولكن اشار عليه الصلاة والسلام لانفراده فيه بالسودد
والشفاعة دون غيره اذا لجأ الناس اليه فى ذلك الوقت

فلم يجدوا

فلم يجدوا سواه والسيد هو الذى يلجأ الناس اليه فى حوائجهم
فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى
ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
والملك له تعالى فى الدنيا والاخرة لكن فى الاخرة انقطعت
دعوى المدعين لذلك فى الدنيا وكذلك لجا الى محمد صلى الله
عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة فكان سيدهم فى الاخرى
دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
آتى باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من انت
فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك وعن عبد الله
بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر
وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب من المسك
كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ ابدا وعن ابى ذر نحوه
وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة
وعن ثوبان مثله وقال احدهما من ذهب والاخر من ورق وفى
رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة وصنعاء وقال انس ايلة
وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى
حديث الحوض ايضا انس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن
عامر وحارثة بن وهب الخزاعى والمستورد وابو برزة الاسلمى
وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم وابن مسعود
وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابى سعيد
الخدرى وعبد الله الصنابحى وابو هريرة والبراء وجندب
وعائشة واسماء بنت ابى بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وابو بكرة
وخولة بنت قيس وغيرهم فصل فى تفضيله صلى الله

عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص
عليه الصلاة والسلام على السنة المسلمين بحبيب الله
اخبرنا ابو القاسم ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت
احمد بن محمد قالت حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد
الحافظ سماعا عليه حدثنا القاضي ابو الوليد حدثنا عبد بن
احمد حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل
حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا ابو عامر حدثنا فليح حدثنا
ابو النضر عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي
حديث آخر وان صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن
مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي
الله عنهما قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع
حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا
وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر
فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج
عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم
خليلا وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح
الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله
ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي
ويدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة من قول الله تعالى

لنبيه

لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا فهو مكتوب
فى التورية اسب حبيب الرحمن قال القاضى ابو الفضل رضى
الله عنه اختلف فى تفسير الخلة واصل اشتقاقها
فقيل الخليل المنقطع الى الله الذى ليس فى انقطاعه اليه و
محبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول
غير واحد وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفاء وسمى ابراهيم
خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه وخلة الله له نصره
وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله الفقير المحتاج المنقطع
ماخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها ابراهيم لانه قصر حاجته
على ربه وانقطع اليه بهمته ولم يجعله قبل غيره اذ جاءه جبريل
وهو فى المنجنيق ليرمى فى النار فقال الك حاجة قال اما اليك فلا
وقال ابن فورك الخلة صفاء المودة التى توجب الاختصاص
بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف
والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك تعالى فى كتابه
بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم
يعذبكم بذنوبكم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا
والخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما
قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ولا يصح ان تكون عداوة
مع خلة فاذا تسميه ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام بالخلة
اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع
عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب اولزيادة
الاختصاص منه تعالى لهما وحفى الطافه عندهما وما خالل
بواطنهما من الاسرار الهيته ومكنون غيوبه ومعرفته اولاستصفائه

لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالهما حبت لغيره
ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم
معنى قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب
ايهما ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلها بعضهم سواء
فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص
ابراهيم بالخلة ومحمدا بالمحبة وقال بعضهم درجة الخلة ارفع
واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي
فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا
ارفع من درجة ابراهيم واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب ولكن
هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالموفق وهي درجة المخلوق
فاما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه
من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة
رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه
وينظر اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته
كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي
ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع
الى الله والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات
لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى
برضاه ويسخط بسخطه ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني ٭ وبذا سمي الخليل خليلا ٭
فاذا ما نطقت كنت حديثي ٭ واذا ما سكت كنت الغليلا ٭

فاذا

فاذا مرتبة الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله
عليه وسلم بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقات
بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار
انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
تعالى غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله والرسول
فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولى
عنه بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام
ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة
والخلة يطول جملة اشاراته الى تفصيل مقام المحبة على الخلة
ونحن نذكر منه طرفا يهدى الى ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل
يصل بالواسطة من قوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين والحبيب يصل لحبيبه بمن قوله
فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذى تكون مغفرته
فى حد الطمع من قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين
والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر والخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون والحبيب
قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدئ بالبشارة قبل السؤال
والخليل قال فى المحنة حسبى الله والحبيب قيل له يا ايها النبى
حسبك الله والخليل قال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين
والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطى بلا سؤال والخليل قال
واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد

اصحاب هذا المقال من تفصيل المقامات والاحوال وكل يعمل على
شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا **فصل** في تفصيله
بالشفاعة والمقام المحمود صلى الله عليه وسلم تسليما **قال**
الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا **حدثنا** الشيخ
ابو علي الغساني الجياني فيما كتب الي بخطه حدثنا سراج بن
عبد الله القاضي حدثنا ابو محمد الاصيلي حدثنا ابو زيد وابو
احمد قالا حدثنا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل
حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال
سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثى كل امة
تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى
تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه
الله المقام المحمود **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا فقال هي الشفاعة **وروى** كعب بن مالك عنه
صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله
ان اقول فذلك المقام المحمود **وعن** ابن عمر رضي الله عنهما وذكر
حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ
يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده **وعن** ابن مسعود رضي
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش
مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون ونحوه
عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه
وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم

المقام المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى
عن كرسيه الحديث وعن ابي موسى عنه صلى الله عليه وسلم
خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين
المتلوثين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك
في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا
يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي
وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم
قبلهم فسالت الله ان يؤتيني فيهم شفاعة يوم القيمة ففعل
وقال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم
الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس
الا باذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك
والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك
ولك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله
وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة
فيبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار
لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم
اهل الجنة فيسالون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل
يعتذر حتى ياتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك
المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن
الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله

ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعني الذي
يبعثه الله قال نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به
من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين
وعن انس نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان
المقام المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة ومثله عن ابي هريرة
وقال قتادة كان اهل العلم يرون المقام المحمود شفاعته يوم القيمة
وعلى ان المقام المحمود مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعة
مذاهب السلف وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت الشفاعة
مفسرة عنه عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة في
تفسيرها شاذة يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا سديد
نظر ولو صحت لكان لها تاويل غير مستنكر لكن ما فسره النبي
صلى الله عليه وسلم يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم يات
في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة وفي اطلاق
ظاهره منكر من القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة
وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه الصلاة
والسلام يجمع الله الاولين والاخرين والاحزاب يوم القيمة
فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا وفي
طريق عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة وتدنو الشمس
فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون
من يشفع لكم فيأتون آدم زاد بعضهم فيقولون انت آدم ابو البشر
خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك
ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا
من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا

لم يغضب

مر الصحابة والتابعين

وصحيح الاثر

لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهانى عن الشجرة
فعصيت نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا
فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا
الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول
مثله ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب
بعده مثله نفسى نفسى قال فى رواية انس ويذكر خطيئته
التى اصاب سؤاله ربه بغير علم وفى رواية ابى هريرة وقد كانت لى
دعوة دعوتها دعوت بها على قومى اذهبوا الى ابراهيم فانه
خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبى الله وخليله
من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول
ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات
كذبهن نفسى نفسى لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
وفى رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا
قال فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التى اصاب
وقتله النفس نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله
وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فاوتى فاقول انا لها
فانطلق فاستأذن على ربى فيؤذن لى فاذا رايته وقعت
ساجدا وفى رواية فاتى تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية
فاقوم بين يديه فاحمد بمحامد لا اقدر عليها الآن الا ان
يلهمنيها الله وفى رواية فيفتح الله على من محامده وحسن
الثناء عليه شيأ لم يفتحه على احد قبلى فيقال لى قال فى رواية
ابى هريرة يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع

راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من
لاحساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس
فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل
وقال مكانه فاخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع
لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق
فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر او شعير من ايمان فاخرجه
فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر
مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل قال فافعل ثم ارجع
وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى من
مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال لي
ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع واسأل تعطه فاقول وكبريائي
وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله ومن
رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول
يا رب ما بقي في النار الا من جلسه القرآن اي وجب عليه الخلود
وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال
فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي
الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا
صلى الله عليه وسلم فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم
كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه
وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس
وذكر آخرهم جواز الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول
من يجيز يومئذ وعن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم
توضع للانبياء منابر من نور يجلسون عليها ويبقى منبري

اصل
يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله
الا الله فاقول وعزتي
وجلالي وعظمتي

لا اجلس عليه

لا اجلس عليه قائما بين يدى ربى منتصبا فيقول الله تبارك
وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم
من يدخل الجنة بشفاعتى ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا
برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد
ما تركت لغضب ربك فى امتك من نقمة ومن طريق زياد التميمى
عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعى
لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتى فآخذ
بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد ففتح لى فيستقبلنى
الجبار تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية
انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اشفع
يوم القيمة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف
الفاظ هذه الآثار ان شفاعته صلى الله عليه وسلم ومقامه
المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين يجتمع الناس
للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف
مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لاراحة الناس
من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث
عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن ويشفع فى تعجيل
من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم ثم يشفع فيمن وجب
عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله
عليه وسلم وفى الحديث المنتشر الصحيح لكل نبى دعوة يدعوها

واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم
معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا
فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله
عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين
الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها
على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي
هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له
وانا اريد ان اوخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية
ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه
في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن انس مثل رواية ابن زياد
عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال
لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها
وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم
السؤال والرغبة جزاه الله احسن ما جزى نبيا عن امته
وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا فصل في تفضيله
في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه
ابو الوليد هشام بن احمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا ابو علي
الغساني حدثنا المنيري حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر
العتار حدثنا محمد بن سلمة حدثنا ابن وهب عن ابي لهيعة
وحيوة وسعيد ابن ابي ايوب عن كعب ابن علقمة عن عبد الرحمن
بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله

حدثنا ابو داود

عليه وسلم

عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم
صلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه بها ثم سلوا الله تعا
لى الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله
وارجوا ان اكون انا هو فمن سأل الله تعالى الوسيلة حلت عليه
الشفاعة وفي حديث آخر عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة
في الجنة وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا
اسير في الجنة اذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل
ما هذا الكوثر الذي اعطاكه الله قال ثم ضرب بيده الى طينه
فاستخرج مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه
على الدر والياقوت وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج
وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولا يشق شقا عليه حوض ترد
عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس ايضا قال
الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي
في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه وعن حذيفة فيما ذكره
عليه الصلوة والسلام عن ربه واعطاني الكوثر نهر في الجنة
يسيل في حوضي وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن
وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم فصل
فان قلت اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة
كونه اكرم البشر وافضل الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة
بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الاسدي حدثنا السمرقندي
حدثنا الفارسي حدثنا الجلودي حدثنا ابو سفيان حدثنا
مسلم حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة

عن قتادة سمعت ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله
عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس ابن متى وفي
غير هذا الطريق عن ابي هريرة قال يعني رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة في اليهودي
الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار
وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين
الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر الحديث وفيه
ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وعن ابي هريرة ومن قال
انا خير من يونس بن متى فقد كذب وعن ابن مسعود لا يقولن
احدكم انا خير من يونس بن متى وفي حديثه الاخر فجاءه رجل
فقال له يا خير البرية فقال ذلك ابرهيم فاعلم ان للعلماء في
هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه عن التفضيل كان
قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف
وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول ان احدا
افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف عن
التفضيل لوجه الثاني انه قال صلى الله عليه وسلم على طريق
التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض لوجه
الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم
او الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله
عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة
او الحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى عنه اذ ابق

الى الفلك

الى الفلك المشحون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه
فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع
التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد
واحد اذ هي شئ واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف
واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر
زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولوا عزم من الرسل
ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي
بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع
بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية
قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم في الدنيا وذلك بثلاثة
احوال ان تكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى
واكثر او تكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع الى
ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة
او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف ولايته واختصاصه
وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا
وان يونس تفتح منها تفتح الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم
موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في
نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في
عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد
يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجع
الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة

والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان
درجة النبوة افضل واعلى فان تلك الاقدار لم تحطه عنها
حبة خردل ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا
ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض وسقط بما حررناه
شبهة المعترض **فصل** في اسمائه صلى الله عليه وسلم
وما تضمنته من فضيلته **حدثنا** ابو عمران موسى ابن
ابى تليد الفقيه حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا سعيد بن نصر
حدثنا قاسم ابن اصبغ حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى
عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد
وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى
يحشر الناس على قدمى وانا العاقب **وقد** سماه الله تعالى
فى كتابه محمدا واحمد **فمن** خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه
ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم شكره **فاما** اسمه احمد فافعل
مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد
فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد
واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه
لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشهر فى تلك العرصات
بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده
فيه الاولون والاخرون بشفاعته صلى الله عليه وسلم
لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه الصلاة والسلام
ما لم يعط غيره وسمى امته فى كتب انبيائه بالحامدين فحقق اسمى
محمدا واحمد ثم فى هذين الاسمين من عجائب خصائصه

وبدايع آياته فتن اخر وهو ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد
قبل زمانه اما احمد الذى اتى فى الكتب وبشرت به الانبياء فمنع
الله بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى
لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا
لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجود
عليه الصلاة والسلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد
فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم
هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة ابن
الجلاح الاوسى ومحمد بن مسلمة الانصارى ومحمد بن براء البكرى
ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفى ومحمد بن خزاعى
السلمى لاسابعهم ويقال اول من سمى بمحمد محمد بن سفيان الحميرى
ويقولون بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به
ان يدعى النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك
احدا فى امره حتى تحققت اسمتان له صلى الله عليه وسلم ولم
ينازع فيهما واما قوله صلى الله عليه وسلم وانا الماحى الذى
يمحو الله بى الكفر ففسر فى الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة
وبلاد العرب وما زوى له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته
ويكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقد ورد تفسيره فى الحديث انه الذى يحيت
سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس
على قدمى اى على زمانى وعهدى اى ليس بعدى نبى كما قال
تعالى وخاتم النبيين وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء
وفى الصحيح وانا العاقب الذى ليس بعده نبى وقيل معنى

على قدمي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ومعنى قوله صلى الله
عليه وسلم لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
او في العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روى عنه عليه
الصلاة والسلام لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه
مكي وقد قيل في بعض تفاسيره انه يا طاهر يا هادي وفي
يس انه يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد
وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر الخمسة التي في الحديث الاول
قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفى
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته
ولم اروه واراد ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرنا بعد عن الحربي
وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال
داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد
الفترة فقد يكون القيم بمعناه وروى النقاش عنه عليه
الصلاة والسلام لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس
وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث عن جبير بن
مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وعاقب وحاشر وماح وفي
حديث ابي موسى الاشعري انه صلى الله عليه وسلم كان
يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى والحاشر
ونبي التوبة ونبي الملحمة ونبي الرحمة والرحمة وكل صحيح ان
شاء الله تعالى ومعنى المقفى العاقب وقيل المتبع لمن النبيين
واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين كما وصفه بانه يزكيهم

ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها
امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
فبعثه الله رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما
مستغفرا لهم وجعل امته مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها
عليه الصلاة والسلام بالتراحم واثنى عليهم فقال
ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن
ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة
فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهي صحيحة وروى
حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة
ونبي الملاحم وروى الحربي في حديث انه عليه الصلاة والسلام
قال اتاني ملك فقال انت قثم اي مجتمع قال والقثم الجامع للخير
وهذا اسم هو في اهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم
وقد جاء ت من القابه عليه الصلاة والسلام وسماته في
القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير
والمنذر والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين
وخاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق
ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم
والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله فاوصاف
كثيرة وسمات جليله وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب
انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية
كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر

والمهيمن والصادق والمصدوق والهادى وسيد ولد آدم
وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله
وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود
وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب
التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة
والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة و
البرهان وصاحب الهراوة والنعلين ومن اسمائه صلى الله
عليه وسلم فى الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس
وروح القدس وروح الحق وهو المعنى البارقليط فى الانجيل
وقال ثعلب البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل ومن
اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة ماذماذ و
معناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والخاتم حكاه كعب الاخبار
قال ثعلب فالخاتم الذى يختم الانبياء والخاتم احسن الانبياء
خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفع والمحمنا واسمه
فى التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب
القضيب اى السيف وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال معه
قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب
الممشوق الذى كان يمسكه صلى الله عليه وسلم وهو الان
عند الخلفاء واما الهراوة التى وصف بها فهى فى اللغة
العصا واراها والله اعلم العصاء المذكورة فى حديث الحوض
اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن واما التاج فالمراد به
العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب و
اوصافه والقابه وسماته فى الكتب كثيرة وفيما ذكرناه منها

مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم وروى
عن انس رضى الله عنه انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل عليه
السلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل
في تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم باسمائه من
اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلا قال القاضي ابو
الفضل رضى الله عنه ما احرى هذا الفصل بفصول الباب
الاول لاخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها
لكن لم يشرح الله الصدر والهداية الى استنباطه ولا آثار الكفر
لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض في الفصل الذي
قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى
خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بكرامة جللها
عليهم من اسمائه كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم وحليم وابراهيم
بحليم ونوح بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوى
ويوسف بحفيظ عليم وايوب بصابر واسماعيل بصادق
الوعد كما نطق الكتاب العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا
نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى
السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال
الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق ثلاثين ولا من
تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل
نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهمنا لها علم منها وحققه
يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه فمن اسمائه
تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده و
يكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى

النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا
وقع اسمه في زبور داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من
حمد والى نحو هذا اشار حسان بقوله وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم
وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين
رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود
والمتحقق امره وكذلك المبين اى البين امره والهيئة بان وابان
بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال حتى جاءهم الحق
ورسول مبين وقال وقل اني انا النذير المبين وقال قد جاءكم
الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل
القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره وهو
بالمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته او المبين عن الله
ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى
النور ومعناه ذو النور اى خالقه او منور السموات والارض
بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه
وسراجا منيرا سماه بذلك لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير
قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن سمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه
شهيدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول
عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه تعالى الكريم ومعناه
الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي

الحديث

الحديث المروى في اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى كريما بقوله
انه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل
عليه السلام وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم ولد آدم
ومعانى الاسم صحيحة فى حقه صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه
تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذى كل شئ دونه وقال
تعالى في النبى صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم
ووقع فى اول سفر من التوراة عن اسماعيل وستلد عظيما لامة عظيمة
فهو عظيم وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح
وقيل القهار وقيل العلى العظيم الشان وقيل المتكبر وسمى النبى
صلى الله عليه وسلم فى كتاب داود بجبار فقال تقلدها الجبار
سيفك فانا موسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه
فى حق النبى صلى الله عليه وسلم اما لاصلاحه الامة بالهداية
والتعليم او لقهره اعداءه او لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى تعالى عنه فى القرآن جبرية التكبر التى لا تليق به فقال
وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع
على كنه الشئ العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى
فاسأل به خبيرا قال القاضى بكر بن العلاء المامور بالسؤال
غير النبى صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبى
صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبى صلى الله عليه
وسلم والمسئول الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين
قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه
وعظيم معرفته مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به ومن
اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح

ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم
وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله
تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان تستنصروا فقد
جاءكم النصر وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله
تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح فى حديث
الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية
وغيره عن ابى هريرة وفيه من قول الله تعالى وجعلتك
فاتحا وخاتما وفيه من قول النبى صلى الله عليه وسلم
فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لى ذكرى وجعلنى
فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم والفاتح لابواب
الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان
بالله اولناصر للحق او المبتدئ بهداية الامة او المبدء المقدم
فى الانبياء والخاتم لهم كما قال صلى الله عليه وسلم كنت
اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث ومن اسمائه تعالى
فى الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل
المثنى على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام
فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبى صلى الله عليه
وسلم نفسه بذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا اى معترفا
بنعم ربى عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسى فى الزيادة
من ذلك لقوله عز وجل لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه
تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة ووصف نبيه
صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال
وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه
تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها
والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا اخر وقال
عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم
في البعث فتر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون وقوله
انا اول من تنشق الارض واول من يدخل الجنة واول شافع
واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر المرسل صلى الله عليه
وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه
القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند
ذي العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما الصلاة والسلام
ومن اسمائه تعالى الصادق المصدوق في الحديث المأثور وورد
في الحديث ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بالصادق
المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناها الناصر
وقد قال تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلاة
والسلام انا ولي كل مؤمن وقد قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وقال عليه الصلوة والسلام من كنت مولاه فعلي
مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح وقد وصف
الله تعالى بهذا نبيه في القرآن والتورية والانجيل وامره
بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له
جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو فقال ان تعفو

عمن ظلمك وقال فى التوراة والانجيل فى الحديث المشهور
فى صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه
تعالى الهادى وهو بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده
وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعوا الى دار
السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجميع
من الميل وقيل من التقديم وقيل فى تفسير طه انه طاهر
يا هادى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له
وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى الله
باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال تعالى انك
لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وبمعنى
الدلالة تطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن
قيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن فى حقه تعالى المصدق
وعد عباده والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده
المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده
فى الدنيا من ظلمه والمؤمنين فى الاخر من عذابه وقيل المهيمن
بمعنى الامنين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد قيل ان قولهم
فى الدعاء آمين اسم من اسمائه تعالى ومعناه معنى المؤمن
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبى صلى الله عليه
وسلم امين ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا
فقال مطاع ثم امين وكان صلى الله عليه وسلم يعرف
بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس
فى شعره مهيمنا فى قوله ثم اغتدى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق قيل المراد بها المهيمن قاله

القتبى

العتبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يؤمن بالله
ويؤمن للمؤمنين اى يصدق وقال صلى الله عليه انا امنة
لاصحابي ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن
النقائص المطهر من سمات الحدوث وسمي بيت المقدس به لانه
يتطهر فيه الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس
ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام في اسمائه عليه الصلاة
والسلام المقدس اى المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر والذي يتطهر به
من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى ويزكيهم
وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى
مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه
تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب والذي لا نظير له
او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اى الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة
والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال
ان الله يبشرك بيحيى مصدقا وبكلمة منه وسماه الله تعالى
مبشرا ونذيرا وبشيرا اى مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل
معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه
ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء النبي صلى الله
عليه وسلم فصل قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه وها هنا نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها
هذا القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عمن كل ضعيف
الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه

عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته
وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه
شيئا من مخلوقاته ولا تشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع
على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي
اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما ان ذاته لا تشبه
الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين اذ صفاتهم
لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو سبحانه وتعالى منزه
عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى
ليس كمثله شئ ولله در من قال من العلماء المحققين العارفين
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة
من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي رحمة الله عليه
بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا
كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ
اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة
كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب
اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام
ابو القاسم القشيري رحمة الله قوله هذا ليزيد بيانا فقال
هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف
تشبه ذاته ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية
وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب انس او دفع
نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة
ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من
مشائخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم

فهو محدث

فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالى الجوينى من اطمأن
الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفى
المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك
حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذى النون المصرى
حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى الاشياء
بلا علاج وصنعه بلا مزاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة
لصنعه وما تصور فى وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب
نفيس محقق والفصل الاخير تفسير لقوله تعالى ليس كمثله شئ
والثانى تفسير لقوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون
والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات
والتنزيه وجنبنا طرفى الضلالة والغواية من التعطيل
والتشبيه بمنه ورحمته الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى
على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات
قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه حسب المتامل ان يحقق
ان كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
ولا لطاعن فى معجزاته فيحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين
حوزتها حتى لا يتوصل المطاعن اليها ونذكر شروط المعجز
والتحدى وحد وفساد قول من ابطل نسخ الشرائع وردّه
بل للفقهاء لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين لنبوته
ليكون تأكيدا فى محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم وبيننا ان نثبت فى هذا الباب امهات معجزاته
ومشاهير ايا ته ليدل على عظيم قدره عند ربه واتينا

منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد
واضفنا اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تامل
المتامل المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره
وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله وجميع
خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته
وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان
به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان
عبد الله ابن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت
ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي
رحمة الله قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل
ابن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن
محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب
الثقفي ومحمد بن جعفر وابن عدي ويحيى بن سعيد عن
عوف ابن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن ابي اوفى عن
عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التيمي اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فارته فلما رايته
قلت هذا نبي الله وروى مسلم وغيره ان ضماد لما وفد عليه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده
ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس
البحرات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد كان رجل منا

ان

يقال له

يقال له طارق فاخبر انه رآى النبى صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقال هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا البعير فقال بكم
قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة
فقلنا بعنا من رجل لا ندرى من هو ومعنا ظعينة فقالت
انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر
لا يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكالوا حتى
تستوفوا ففعلنا وفى خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال
الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر بخير
الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شر الا كان اول تارك له وانه
يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفى بالعهد ويخز الموعود
واشهد انه نبى وقال نفطويه فى قوله تعالى يكاد زيتها يضئ
ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم تتل قرانا
كما قال ابن رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بنبيك
بالخبر وقد ان ناخذ فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده
فى معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل
اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة فى قلوب عباده
والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون
واسطة لو شاء كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء وذكره
بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم

كلامه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع
الانبياء او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا
من دليل العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل
بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به
لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق
عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله
وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا والنبوة في لغة من
همز ماخوذة من البناء وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل
تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيئه
فيكون نبئ منبأ فعيل بمعنى مفعول ويكون مخبرا عما بعثه الله به
ومنبأ بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند
من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له
رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان
في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يات فعول
بمعنى مفعل الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من
ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس
ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او
الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول
بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو
الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون
النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان

من وجد

من وجه اذ قد اجتمعا فى النبوة التى هى الاطلاع على الغيب
والاعلام بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها
وافترقا فى زيادة الرسالة فى الرسول وهو الامر بالانذار والاعلام
كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا
شيئا واحدا لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ قالوا والمعنى
وما ارسلنا من رسول الى امة او نبى ليس مرسل الى واحد وقد ذهب
بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يات به نبى
غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذى عليه
الجماء الغفير ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا واول الرسل
آدم وآخرهم محمد صلى الله عليهم اجمعين وفى حديث ابى ذر
عنه صلى الله عليه وسلم الانبياء مائة الف واربعة وعشرون
الف نبى وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم
عليه الصلاة والسلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة
وليستا عند المحققين ذاتا للنبى ولا وصف ذات خلافا
للكرامية فى تطويلهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحى
فاصله الاسراع فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتلقى
ما ياتيه من ربه بعجل سمى وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا
تشبيها بالوحى الى النبى وسمى اللحظ وحيا لسرعة يد كاتبه
ووحى الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى
فاوحى اليهم ان سبحوه بكرة وعشيا اى اومأ ورمز وقيل كتب
قولهم الوحا الوحا اى السرعة وقيل اصل الوحى السر والاخفاء
ومنه سمى الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم اى يوسوسون فى صدورهم ومنه

حركة

قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اى القى في قلبها وقد قيل
ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى
ما يلقيه في قلبه دون واسطة فصل اعلم ان معنى
تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن
الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر
فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل لله دل على صدق نبيه كصرفهم
عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راى
بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا
على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصى حية واخراج
ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق
القمر مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله تعالى فكون ذلك
على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي
بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا
صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه
من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة وابهرهم
اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط
بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته
بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم
قد تحدى بسورة فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور
انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعدها وقدرها
معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى
عليه من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم
على قسمين قسم علم قطعا ونقل الينا متواترا كالقرآن

منها

فلاورية

فلا مرية ولا خلاف بمجئ النبى صلى الله عليه وسلم به وظهوره
من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند جاحد
فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا وانما
جاء اعتراض الجاحدين فى الحجة فهو فى نفسه وجميع ما تضمنه
من معجز معلوم ضرورة بوجه اعجازه معلوم ضرورة ونظراً
كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويجرى هذا المجرى على الجملة انه
قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق عادات
ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية
فى جريان معاينها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت
على يديه عجائب وانما خلاف المعاند فى كونها من قبل الله
وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت
فقد علم وقوع مثل هذا من نبينا صلى الله عليه وسلم ضرورة
لاتفاق معاينها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم
على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه
لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته والقسم الثانى ما لم يبلغ
مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر
رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير
والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه
اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر
اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا فى المعنى واجتمعا
على الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضى ابو الفضل رضى الله
عنه وانا اقول صدقا بالحق ان كثيراً من هذه الايات المأثورة

عنه صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر
فالقرآن نص بوقوعه واخبر بوجوده ولا يعدل عن ظاهره
الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة
فلا يوهن عرى منا خلافا خرق مخل عرى الدين ولا يلتفت
الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا انفه نشبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء
وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير
عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة
متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك
كان في موطن اجتماع الكثيرة منهم في يوم الخندق وفي غزوة
بواط وعمرة والحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل
المسلمين ومجتمع العساكر ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة
للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم رواه كما رآه فسكوت
الساكت منهم كنطق الناطق اذهم المنزهون عن السكوت
على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة
تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم
لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن
والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك
مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما
بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت
على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث
من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما نشاهد في كثير من الاخبار
الكاذبة والاراجيف الطارئة واعلا بنينا صلى الله عليه وسلم

هذه الواردة

هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهوراً
ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على تو هيتها و
تضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة و قبولا
والطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن الغيوب
وانباؤه بما يكون وما كان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة
وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ
ابو بكر وغيرهما وما عندي اوجب قول القائل ان هذه القصص
المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار و
رواياتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق
النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في صحة هذه القصص
المشهورة على الوجه الذي ذكرنا ولا يبعد ان يحصل العلم
بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر الناس
يعلمون بالخبر كون بغداذ موجودة وانها مدينة عظيمة
ودار الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا
عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة
وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن
في الصلاة للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان
عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة والاقصار
على مسح بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح
وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل
بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا
عما سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام

فيها بيانا ان شاء الله تعالى فصل في اعجاز القرآن اعلم
وفقنا الله وايّاك ان كتاب الله العزيز منطوعلى وجوه من
الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة
اوجه اولها حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه
ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك لانّهم كانوا
ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصّوا من البلاغة
والحكم بما لم يخصّ به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان
ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله
لهم ذلك طبعًا وخلقة وفيهم غريزة وقوّة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهًا في المقامات
وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون
ويقدحون ويتوسّلون ويتوصّلون ويرفعون ويضعون
فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوفون من اوصافهم اجمل
من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذلّلون الصعاب
ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرّون الجيان ويبسطون
يد الجعد البنان ويصيّرون الناقص كاملًا ويتركون النبيه
خاملًا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل و
الكلام الفخم والطبع الجهورى والمنزع القوى ومنهم
الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرّف في القول القليل الكلفة
الكثيرة الرونق الرقيق الحاشيه وكلا البابين فلهما في البلاغة
الحجّة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع
النالج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك

قيادهم

قيادهم قدحوا فقونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من
كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في
الخطبر والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا في القل
والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم
بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد قد احكمت اياته وفصلت كلماته وبهرت
بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل معقول وتظافر
ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت
في الحسن مطالعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه
واعتدل مع ايجاز وحسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده
مختار لفظه وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر
في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في
الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم
التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا
وعشرين عاما على رؤس الملاء اجمعين ام يقولون افتراه قل فاتوا
بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة مثله الى قوله
ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن الاية وقل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
وذلك ان المفتري اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاحتيال
اقرب واللفظ اذا اتبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل
فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد والاول على الثاني
فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل صلى الله عليه وسلم

ومقاطعه

س

يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم
ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم الهتهم واباءهم
ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم فى كل هذا ناكصون
عن معارضته مجمون عن معاثلته مخادعون انفسهم
بالتشغيب والتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم ان هذا
الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والترضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى
اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
ولا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء
مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال لهم الله
تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك
من سخفائهم كمسيلمة فكشف عواره بجميعهم وسلبهم الله
ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل التميز منهم
انه ليس من نمط فصاحتهم ولا اجناس بلاغتهم بل ولوا عنه
مدبرين وانوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا
لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله عليه وسلم
ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية قال والله ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما هذا
بقول بشر وحكى ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع
بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا
يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد انك مخلوق
لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكى عن عمر بن الخطاب رضى الله
عنه كان يوما نائما بالمسجد فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد

شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من بطارقة الروم ممن يحسن
كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلاً من اسرى المسلمين
يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على
عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة وهي قوله تعالى
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله
ما افصحك فقالت اوبعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة
بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه
منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين
وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به
معلوم ضرورة وكونه عليه الصلاة والسلام متحدياً به
معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة
وكونه في فصاحته خارقاً للعادة معلوم ضرورة للعالمين
بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك
بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين
باعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب
وقوله ادفع بالتي هي احسن وقوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلاً اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصباً الاية واشباهها من الاي بل اكثر القرآن
حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها

وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما
ذواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت
المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها
الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتأمله من ربط الكلام
بعضه ببعض والتأم سرده وتناصف وجوهه كقصة
يوسف على طولها ثم اذا تردد قصصه اختلفت العبارات
على كثرة تردادها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة
نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع اية
وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له
ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل جارت فيه عقولهم
وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله
عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه
ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني
والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر
حين جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب
ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال والله ما هو بكاهن وما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسة

قالوا

قالوا فتقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفت الشعر كله رجزه
وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا
فتقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا
فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل
وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء
واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل
يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت
وحيدا الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن
يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته
والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر
ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحرث نحوه وفي حديث
اسلام ابي ذر ووصف اخاه انيسا فقال والله ما سمعت
باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثنى عشر شاعرا في الجاهلية
انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي
صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر
كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته
على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي
انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا
صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة
بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته اذ كل واحد منهما نوع اعجاز
على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد
منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى
هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين وذهب بعض

المقتدى بهم الى اثبات الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب
واتى على ذلك بقول تجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح
ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تضلع في علوم
البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف
عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم
عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع في قوة جزالته وفصاحة الفاظه
وحسن نظمه وايجازه وبديع باليفه واسلوبه لا يصح ان يكون
في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق
عليها كاحياء الموتى وقلب العصى وتسبيح الحصا وذهب الشيخ
ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر
ويقدرهم الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله
هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين
فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون
في مقدور البشر وتحديهم ان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ
في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج. بمجيء بشر مثلهم بشيء
ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهرية واقمع دلالة وعلى كل
حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا
كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباة الضيم
بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا
فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم و
اسرع بالنجح وقطع العذر والخام الخصم لديهم وهم من هم
قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به بجميع الانام وما منهم
الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره

واطفاء

واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم
ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة
العدد وتظاهر الوالد وما ولد بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا
فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل الوجه الثالث
من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات ومالم يكن
ومالم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه الذي اخبر كقوله تعالى
لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد
غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض
الاية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان جميع هذا
كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس
في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد
العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين
في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق
الى اقصى المغارب كما قال عليه الصلاة والسلام روي
لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي
ما روي لي منها وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه
من الملحدة والمعطلة لاسيما القرامطة فاجمعوا كيدهم و
حولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمس مائة عام فما قدروا على
اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى
سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله

بايديكم الاية وقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى الاية
وقوله لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك
وما فيه من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم
في خلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم مالا يبدون
لك الاية وقوله ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا
وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا
في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون
يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك
المستهزئين ولما نزلت بشر النبى صلى الله عليه وسلم
بذلك اصحابه وكان المستهزؤن نفرا بمكة ينفرون الناس
عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس
فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار
بذلك معروفة صحيحة والحمد لله فصل الوجه الرابع ما انبأ به
من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرايع الدائرة
بما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من اخبار اهل
الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده النبى صلى الله
عليه وسلم على وجهه ويأتى به على نصه فيعترف العالم
بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا
انه صلى الله عليه وسلم امى لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل
بمدارسة ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله احد

منهم

منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه صلى الله عليه
وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه
ذكر القصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر
ويوسف واخوته واصحاب الكهف وذى القرنين ولقمان
وابنه واشباه ذلك من الانباء والقصص وبدء الخلق
وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى
مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر
منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير
ومن شقى معاند حاسد ومع هذا فلم يحك عن واحد من
النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه
وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم وتقريعهم بما افترت
عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله عليه وسلم
وتعنتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستو
دعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات
كتبهم مثل سوالهم عن الروح وذى القرنين واصحاب الكهف
وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم
عليهم من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت
عليهم ببغيهم وقوله ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم
فى الانجيل الاية وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القرآن
فاجابهم وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذب به بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته
واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا
واخطب وغيرهم ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة

وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعى الى اقامة
حجته وكشف دعوته فقيل له قل لهم فأتوا بالتورية
قاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ
ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتوانٍ
يلوى على فضيحته من كتابه يده ولم يؤثر ان واحداً منهم اظهر
خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه قال
الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً
مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الايتين فصل
هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية
ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه اى
وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين قال ابو اسحاق الزجاج فى هذه الاية اعظم حجة
واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت
واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وعن النبى
صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يقولها رجل منهم
الا غص بريقه يعنى يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه
وجز عنهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحى اليه اذ لم
يتمنه واحد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن
الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته
قال ابو محمد الاصيلى من اعجب امرهم انه لا توجد منهم جماعة
ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم

يقدم

يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان
يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وقد
عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله عليه اية
المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الاية فامتنعوا منها ورضوا
باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي
وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الاية
ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي
قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه
واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة
حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن صعب مستصعب على
من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته
اياه مع تلاوته ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال لو انزلنا
هذا القرآن على جبل الاية ويدل على ان هذا شئ خص به ان يعترى
من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى عن نصراني انه مر بقارئ
فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجا والنظم وهذه الروعة
قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول
وهلة وامن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ
هذه الاية ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون

كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي
وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به
من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله
عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليهما
حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة
لا يدري بم يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى انوه
فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي
بمثله فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد ممن رام
معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي
ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل
يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحى ما عمله وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر وكان افصح اهل وقته وكما يحيى بن الحكيم
الغزال بليغ الاندلس فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة
الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني
خشية ورقة حملتني على التوبة والانابة فصل ومن وجوه
اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع
تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر
معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها
والقرآن العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته على ما كان
عليه اليوم مدة خمس مائة عام وخمس وثلاثين سنة

لاقول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان
وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والمحد
فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد فما منهم من اتى بشئ يؤثر
فى معارضته ولا الف كلمتين فى مناقضته ولا اقدر فيه على
مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح
بل المأثور عن كل من رام ذلك لقاؤه فى العجز بيديه والنكوص
على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى
الائمة فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيد حلاوة وترديده يوجب له
محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن
والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا
يستلذ به فى الخلوات ويونس بتلاوته فى الازمات وسواه
من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها لها حونا
وطرقا يستجلبون بتلك اللجون تنشيطهم على قراءتها ولهذا وصف
رسول الله صلى الله عليه وسلم القران بانه لا يخلق على كثرة
الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه وهو الفصل ليس بالهزل
لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة
وهو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا
عجبا يهدى الى الرشد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد
العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة
بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا
يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع

والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين
قوية وادلة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد دام المتحد
لقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله
تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم وقل يحييها الذى انشاها اول مرة ولو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا الى ماحوا من علوم التسير وانباء الامم
والمواعظ والحكم واحياء الذار الاخرة ومحاسن الاداب
والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا فى الكتاب من شئ ونزلنا
عليك الكتاب تبيانا لكل شئ ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن
من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم ان الله انزل القرآن
آمرا وزاجرا وستة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤكم وخبر
ماكان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد
ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق
ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن
عمل به اجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم ومن
طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله
هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم و
حبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به
ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن
مسعود وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين
والاخرين وفى الحديث قال الله عز وجل لمحمد صلى الله
عليه وسلم انى منزل عليك توراة حديثة تفتح بها

اعيناً عمياً واذاناً صماً وقلوباً غلفاً فيها ينابيع العلم فهم الحكمة
وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول
ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى
الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه اضعاف
ما في الكتب قبله الفاظها على الضعف منه مرات
ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم
القرآن وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة
امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة
والتكليف معاً من كلام واحد وسورة منفردة ومنها
ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى للقلوب واسمح في الاذان
واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع
ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ
كتبها الواحد منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم
والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة
بعض اجزائه بعضاً وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها
وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره
على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة امر ونهي
وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد
وتقرير وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده دون
خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا

ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقت الفاظه
فتامل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم
وتقريعهم وتوبيخهم باهلاك القرون من قبلهم وماذكر
من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به
والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم
وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والاخرة و
تكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيدها هؤلاء بمثل
مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته بكل
ما نقد ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا
في اوجز كلام واحسن نظام ومنها الجمل الكثيرة التي انطوت
عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر
في اعجاز القران الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها
اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا في
اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما
قدمناه عنهم بعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة
الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها
من خواص القران وعجائبه التي لا تنقضي والله الموفق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس قال الله تعالى
اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض
الكفرة عن اياته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه
اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي
سراج بن عبد الله حدثنا الاصيلي حدثنا المروزي

حدثنا

حدثنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا مسدد حدثنا
يحيى عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابى
معمر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل
وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفى رواية مجاهد ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم
وفى بعض طرق الاعمش بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود
الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرجتى القمر ورواه عنه
مسروق انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابى
كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ
من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد اخر
هل رواه فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى
التيمى قندى عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر
فابعثوا الى اهل الافاق حتى ينظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر
اهل الافاق انهم راوه منشقا فقالوا يعنى الكفار هذا سحر
مستمر ورواه ايضا من ابن مسعود علقمة فهؤلاء اربعة
عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود
منهم انس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلى وجبير بن
مطعم رضى الله عنهم فقال على من رواية ابى حذيفة الارحبى
انشق القمر ونحن مع النبى صلى الله عليه وسلم وعن انس
سال اهل مكة النبى صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم
انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة
وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر تين

انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن
جبير ابن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه
عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه
عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي
ومسلم بن ابي عمران الادني واكثر طرق هذه الاحاديث
صحيحه والاية مصرحة ولا يليفت الى اعتراض مخذول ناته
لوكان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شئ ظاهر لجميعهم
اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة
فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تواطؤهم على الكذب
لكثرتهم لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد
لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين
وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلتهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا يخد
الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية
وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها
ذلك تقدير العزيز العليم واية القمر كانت ليلا والعادة
من الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد
ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون الكسوف القمر كثيرا في البلاد
واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب
يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان
بالليل في السماء ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي
في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه فى حجر على فلم
يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصليت يا على قال لا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك
فارددعليه الشمس شرقها قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها
طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك
بالصهباء فى خيبر قال وهذان الحديثان ثابتا رواتهما ثقات
وحكى الطحاوى ان احمد بن صالح كما يقول لا ينبغى لمن سبيله
العلم التخلف عن حفظ حديث لانه من علامات النبوة
وروى يونس بن بكير فى زيادة المغازى فى روايته عن ابن
اسحق لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه
بالرفقة والعلامة التى فى العير قالوا متى تجئ قال يوم الاربعاء
قال فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار
ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار
ساعة وحبست عليه الشمس فصل فى نبع الماء من بين
اصابعه وتكثيره وببركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث
فى هذا فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه
صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس
وجابر وابن مسعود حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر
الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه حدثنا القاضى عيسى بن سهل
حدثنا ابو القاسم خاتم ابن محمد حدثنا ابو عمر بن الفخار حدثنا
ابو عيسى حدثنا يحيى حدثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن
ابى طلحة عن انس بن مالك رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فيه
وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرايت الماء ينبع من بين
اصابعه فتوضا الناس من عند اخرهم ورواه ايضا عن
انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه اولا يكاد يغمرها
قال كم كنتم قال زهاء ثلثمائة وفى رواية عنه وهم بالزوراء
عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس
وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت
عنه وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود فى الصحيح
عنه من رواية علقمة بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء
فاتى بماء فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحيح عن
سالم بن ابى الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضا
منها واقبل الناس نحوه وقالوا له يا رسول الله ليس عندنا
ماء الا ما فى ركوتك فوضع النبى صلى الله عليه وسلم
يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون
وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة
مائة وروى مثله عن انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية
وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه فى حديث
مسلم الطويل فى ذكر غزوة بواط قال قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء وذكر الحديث

بطوله

بطوله وانه لم يجد الا قطرة فى عزلاء شجب فاتى به النبى
صلى الله عليه وسلم فمزه وتكلم بشئ لا ادرى ما هو
وقال نادبجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه
وذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم بسط يديه فى الجفنة
وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرايت
الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت
حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا
فقلت هل بقى احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يده من الجفنة وهى ملأى وعن الشعبى ان النبى
صلى الله عليه وسلم باداوة ماء فى بعض اسفاره وقيل
ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها فى ركوة ووضع اصبعه
وسطها وغمسها فى الماء وجعل الناس يجيشون ويتوضؤن
ثم يقومون قال الترمذى وفى الباب عن عمران بن حصين
ومثل هذا فى هذه المواطن الحفيله والجموع الكثيره لا تتطرق
التهمه الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شئ الى تكذيبه لما جبلت
عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل
فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير
له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم
فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له فصل
ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير الماء ببركته وانبعاثه
بمسه ودعوته مما روى مالك فى الموطأ عن معاذ بن جبل
فى قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهى تبض بشئ
من ماء مثل الشراك ففرقوا من العين بايديهم حتى اجتمع فى شئ

ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث
ابن اسحاق فاخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال
يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما ها هنا قد ملئ
جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم
في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروى
خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتى بدلو منها
فبصق ودعا وقال سلمة انما دعا واما بصق فيها فجاشت
فاروا انفسهم وركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه
القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما
من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى
ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا
بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث
فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملؤا كل اناء معهم
فخيل لي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا
وروى مثله عمران حصين وذكر الطبري حديث ابي قتادة
على غير ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم ممدا لاهل موتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر
حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه
وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث
الميضاة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم انه قال

لابي قتادة

لابي قتادة احفظ على ميضأتك فانه سيكون لها نبأ وذكر
نحوه ومن ذلك حديث عمران ابن حصين حين اصاب
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في بعض
اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان
امرأة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها
واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من
مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في
المزادتين ثم مجت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى
لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران ويخيل الي انهما لم يزدادا
الا امتلاء ثم امر مجمع للمراة من الازواد حتى ملأوا ثوبها وقال
اذهبي فانا لم نأخذ من مائك شيئا لكن الله سقانا الحديث
بطوله وعن سلمة ابن الاكوع قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها
في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة
وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم منا لعطش
حتى ان الرجل ليخر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر
الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم يجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب ان اباطالب قال النبي صلى الله عليه وسلم
وهو رديفه بذ المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي
صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال
اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء
الاستسقاء وما جاء نسه فصل ومن معجزاته صلى الله

عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمة الله حدثنا العذري حدثنا الرازي
حدثنا الجلودي حدثنا ابو سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج
حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا الحسن بن اعين حدثنا معقل
عن ابي الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال ياكل منه وامراته
وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال اولم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث
ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين
او سبعين رجلا من اقراص من شعير اتى بها انس تحت يده
اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول
وحديث جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
الف رجل من صاع شعير وعناق قال جابر فاقسم بالله لاكلوا
حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مصورا في العجين والبرمة
وبارك رواه عن جابر سعيد بن مينا وابن وعن ثابت مثله
عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمها وقال وجئ بمثل الكف
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الاناء
ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار
وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم
لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الانام وحديث
ابي ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر
من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

ادع ثلاثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه
ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا
حتى تركوا وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع ابو ايوب فاكل
من طعامي مائة وثمانون رجلا وعمرة بن جندب قال النبي
صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة
حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث
عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام
وصنعت شاة فشوى سواد بطنها قال وايم الله ما من
الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل
منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين
فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي
عمرة الانصاري عن ابيه ومثله لسلمة الاكوع وابي
هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اصابت الناس
مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية
الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك واعلاهم
الذي اتى بالصاع من التمر فجعله على بطع قال سلمة فخزرته
كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش
وعاء الا ملؤه وبقي منه وعن ابي هريرة قال امرني النبي
صلى الله عليه وسلم ان ادعو اهل الصفة فتتبعتهم
حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما شئنا
وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا انه فيها اثر الاصابع
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله

عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم يأكلون
الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا
حتى شبعوا وبقى كما هو ثم دعا بعس فشربوا منه حتى رووا
وبقى كانه لم يشرب وقال انس ان النبى صلى الله عليه وسلم
حين اتينا بزينب امر ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت
حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم اليهم تورا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وعمس ثلاث اصابعه
وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقى التور بحواً مما كان
وكان القوم احدا واثنين وسبعين وفى رواية اخرى
فى هذه القصة ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وانهم اكلوا
حتى شبعوا وقال لى ارفع فلا ادرى حين وضعت كانت
اكثر ام حين رفعت وفى حديث جعفر بن محمد عن ابيه
عن على ان فاطمة طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا النبى
صلى الله عليه وسلم ليتغدا معها فاخرها فغرفت منها
لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له ولعلى ثم لها ثم رفعت
القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها ما شاء الله واخر
عمر بن الخطاب ان يزود اربعمائة راكب من احمس فقال
رسول الله ما هى الا اصوع قال اذهب فذهب فزودهم
منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقى بحاله من
رواية دكين الاحمسى ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربعمائة راكب من مزينة
ومن ذلك حديث جابر فى دين ابيه بعد موته وقد كان
بذل الغرماء ابيه اصل ماله فلم يقبلوه ولم يكن فى تمرها

سنتين

سنتين فكاه دينهم فجاء ه النبى صلى الله عليه وسلم بعد
ان امره بجذها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا
او في منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجذون كل سنة
وفي رواية مثل ما اعطاهم وقال وكان الغرماء يهود فعجبوا
من ذلك وقال ابو هريرة رضى الله عنه اصاب الناس مخمصة
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ قلت نعم
شئ من التمر في المزود قال فأتني به فادخل يده فاخرج قبضة
فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فاكلوا حتى شبعوا
ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال خذها
جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر
مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب
وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في
سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر
كان بضع عشرة تمرة ومثله ايضا حديث ابي هريرة حين
اصابه الجوع فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم فوجد
لبنا في قدح فاهدى اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال
فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة
اتقوى بها فدعوتهم وامرني ان اسقيهم فجعلت اعطي الرجل
فيشرب حتى يروى ثم ياخذ الاخر حتى روى جميعهم قال
فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا
وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقول لها
اشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق لا اجد له مسلكا

فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضله وفي حديث
خالد بن عبد العزى انه اجز النبي صلى الله عليه وسلم
شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله
عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاه
وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فبرز ذلك
لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي وفي حديث
الآجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة لعلي
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة
امداد او خمسة ويذبح جزورا لوليمتها قال فاتيته بذلك
فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون
منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها
الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي حديث
انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلغت
ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلانا
وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته
وذكر انهم كانوا زهاء ثلاثمائة حتى ملؤا الصفة وحجرة
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة ووضع
النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال
ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال له ارفع
فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت واكثر
احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع
على معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رواه

اضعافهم

اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في
قصص مشهورة ومجامع مشهورة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق
ولا يسكت الحاضر لها على ما انكر فصل في كلام الشجر
وشهادتها بالنبوة واجابتها دعوته حدثنا احمد بن محمد بن
غلبون الشيخ الصالح فيما اجاز نيه عن ابي عمر الطلمنكي
عن ابي بكر بن المهندس عن ابي القاسم البغوي حدثنا احمد بن
عمران الاخنسي حدثنا ابو حيان التيمي وكان صدوقا عن
مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فدنا منه اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي
قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك
على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي
فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض
حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما
قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة سال اعرابي النبي
صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها
مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها
فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع
فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي ان اسجد لك قال لو امرت
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها قال

فأذن لي اقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح في حديث
جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به فاذا بشجرتين في
شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى احديهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي
باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع
قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك حتى اذا كان بالمنصف
بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا وفي رواية اخرى
فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت
فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت احضر
وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما
على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة
فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد
نحوه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس
فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات
قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن ان تأتين لمخرج
رسول الله وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي
بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن
والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى

حاجته

حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرايتهن
والجحارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن
سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر
نحوا من هذين الحديثين وذكر فامر وديتين فانضمتا
وفي رواية اشاءتين وعن ابن مسعود مثله في غزاة
حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر
اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انها استاذنت ان تسلم على وفي حديث
عبد الله بن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد عن ابن مسعود
في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك قال هذه
الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر
مثل الحديث الاول ونحوه قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن
مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب
وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها
ومعناها وقد رواها عنهم من التابعين اضعافهم
فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك
انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطائف ليلا
وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى
جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا وهي هناك معروفة
معظمة ومن ذلك حديث انس ان جبريل قال للنبي

صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادى فقال ادع
تلك الشجرة فجاءت تمشى حتى قامت بين يديه قال امرها
فلترجع فعادت الى مكانها وعن على نحوه ولم يذكر فيها
جبريل قال اللهم ارنى اية لا ابالى من كذبنى بعدها شجرة
وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه و
طلبه الاية لهم لا له وذكر ابن اسحاق ان النبى صلى الله
عليه وسلم اراى وكانه مثل هذه الاية فى شجرة دعاها
فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت
وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم شكى الى ربه من قومه
وانهم يخوفونه وسأله اية يعلم بها ان لا مخافة عليه
فاوحى الله اليه ان ائت وادى كذا فيه شجرة فادع غصنا
منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب
بين يديه فجلسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت
فرجع فقال يا رب علمت الا مخافة على وبنحو منه عن عمر قال
فيه ارنى اية لا ابالى من كذبنى بعدها فذكر نحوه وعن
ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابى رأيت ان
دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتؤمن بانى رسول الله
قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه
وخرجه الترمذى وقال هذا حديث صحيح فصل
فى قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث
انين الجذع وهو فى نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر
خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم
ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن

ورواه حزيم التميمى الى قوله اية
فاراهم منظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ح

عمر

عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري
وبريدة وام سلمة والمطلب ابن ابي وداعة كلهم يحدث
بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح قال
جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها
فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار
وفي رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل
وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب وابى حتى
تصدع وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع
يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده
لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر به نبي الله صلى الله عليه وسلم
فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد
واسحق عن انس وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه ابي
فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر
الاسفرايني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه
فجاء يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي
حديث بريدة فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت
اردك الى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة
فيأكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم

صح
وفي بعض الروايات عن سهل
فبعث تحت منبره او بعلت
في السقف

يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني
اولياء الله واكون في مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه
فقال ابتني صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال اختار
دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث بهذا بكى
وقال يا عباد الله الخشية نحن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه
ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب
وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحاق بن
ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة
وابو الوداك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن ابن عباس
وابو حازم وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن
زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن
ابي عن ابيه قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فهذا
حديث كما تراه خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن
دون هذا العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله
المثبت على الصواب فصل ومثل هذا في سائر الجمادات
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي حدثنا
القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط حدثنا المهلب ابو القاسم
حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا المروزي حدثنا الفربري
حدثنا البخاري حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو احمد الزبيري
حدثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله

قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي غير هذه الرواية عن ابن مسعود
وكنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه وقال اخذ النبي صلى الله عليه وسلم
كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم في يدينا
فما سبحن وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف
عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخرج الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل
الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن
سمرة عنه صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم علي قبل انا لاعرفه الحجر الاسود وعن عائشة لما استقبلني
جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي
حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وبنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كسترة اياهم بملاءته
فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وعن
جعفر بن محمد عن ابيه مرض النبي صلى الله عليه وسلم
فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله
عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما
عليك نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة

في حراء وزاد ومعه علي وطلحة والزبير وقال فانما عليك
نبي او صديق او شهيد والخبر ايضا عن عثمان قال ومعه
عشرة من الصحابة انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا قال
ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله
وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روى انه حين طلبته قريش
قال له ثبيرا هبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله وروى
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قراء على المنبر وما قدروا
الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار
انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن
ابن عباس كان حول البيت ستون وثلاثمائة صنم مثبتة الا
رجل بالرصاص في الحجارة وفلما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا
يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فما اشار الى وجه صنم
الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم
ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه
مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب
لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله
رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك
فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا
لنبي وذكر القصة ثم قال واقبل صلى الله عليه وسلم

وعليه غمامة

وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه الى
في الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه فصل في الايات
في ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين
الحافظ حدثنا ابي حدثنا القاضي يونس حدثنا ابو الفضل
الصقلي حدثنا ثابت بن قاسم عن ابيه وجد قال الا حدثنا
ابو العلاء احمد بن عمران حدثنا محمد بن فضيل حدثنا
يونس بن عمرو حدثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا
داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت
مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد
ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله قال واللات والعزى لا امنت
بك ولا يؤمن بك هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم
جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد
قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله
وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول
رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب
من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب
المشهورة عن ابي سعيد الخدري بينا راع يرعى غنما له عرض
الذئب لشاة منها فاخذها الراعي فاقعى الذئب وقال
للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين رزق قال الراعي العجب
من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك بالعجب
من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بانباء

حاه وذهب وروى عمر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما قد سبق فاتى الراعى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال
صدق والحديث قصة وفيه طول وروى حديث الذئب
عن ابى هريرة وفى بعض الطرق عن ابى هريرة فقال الذئب
انت اعجب واقفا على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا
قط اعظم منه عندة قدرا قد فتحت له ابواب الجنة واشرف
اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا
الشعب فتصير فى جنود الله قال الراعى من لى بغنمى قال
الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى
وذكر قصته واسلامه ووجوده النبى صلى الله عليه وسلم
يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك
تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح الذئب منها شاة
وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة والمحدث
بها والمكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان
صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث
ابى سعيد وروى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابى سفيان ابن
حرب وصفوان بن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل
الظبى الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب
اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة
وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن
ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر
وانه جرى لابى جهل واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وانشاده الشعر الذى ذكر فيه النبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب
من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب
اسلامه وعن جابر بن عبد الله عن رجل اتى النبى صلى الله
عليه وسلم وامن به وهو على بعض خصوص خيبر وكان فى غنم
يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم فقال احصب
وجوهها فان الله سيؤدى عنك مانتك ويرد ها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة منها حتى دخلت الى اهلها وعن
انس دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائط انصارى
وابو بكر وعمر ورجل من الانصار وفى الحائط غنم فسجدت له
فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن
ابى هريرة دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء
بعير فسجد له وذكر مثله ومثله فى الجمل عن ثعلبة بن مالك
وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله ابن جعفر قال
وكان لابد احد الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل النبى
صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره فى الارض وبرك
بين يديه فحظمه وقال ما بين السماء والارض شئ الا يعلم انى
رسول الله الا عاصى الجن والانس ومثله عن عبد الله بن
ابى اوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله عليه
وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم اراد وا ذبحه وفى رواية
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة
العلف وفى رواية انه شكى الى انكم اردتم ذبحه بعد ان
استعملتموه فى شاقا لعمل من صغره فقالوا نعم وقد روى

في قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم
وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها والرعي وتجنب
الوحوش لها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب
بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفرايني وروى ابن وهب
ان حمام مكة اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها
فدعالها بالبركة وروى عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة ابن
شعبة قال امر الله ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله
عليه وسلم فسترته وامر حمامتين فوقفتا بفمه وفي حديث
اخر ان العنكبوت نسجت على بابه اتى الطالبون له وراوا
ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي
صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله
ابن قرط قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات
خمسا وستا وسبع ليخرها يوم عيد فازدلفن اليه بايهن
يبدا وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء
فنادته ظبيه يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني
هذا الاعرابي ولخشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى
اذهب فارضعهما وارجع قال او تفعلين قالت نعم فاطلقها
فذهبت ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول
الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت
تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله ومن هذا الباب ما روى من تسخير الاسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ
باليمن فلقي الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتحنى عن الطريق وذكر في
منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة
تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد فقلت انا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبيه
حتى اقامني على الطريق واخذ عليه الصلاة والسلام
باذناة لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها
فصار ذلك ميسما فيها وبقي ذلك الاثر فيها وفي نسلها
بعد وما روى عن ابرهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار
الذي اصابه بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه
الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم
وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر
جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند
النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما اسرقها وانها
ملكه وفي العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء
ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى
الجند ثم قال لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها
قد انطلقت رواه ابن قانع وغيره وفيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها
وقال صلى الله عليه وسلم لفرسه وقد قام الى الصلاة
في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من
صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى الله

عليه وسلم ويلتحق بهذا ما رواه الواقدى ان النبى صلى الله
عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم
فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم
الذين بعثه اليهم والحديث فى هذا الباب كثير وقد جئنا
بالمشهور من ذلك وما وقع منه فى كتب الائمة فصل
فى احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم
له صلى الله عليه وسلم بالنبوة حدثنا ابو الوليد هشام بن
احمد الفقيه بقراءتى عليه والقاضى ابو الوليد محمد بن
رشد والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى وغير
واحد سماعا واذنا قالوا حدثنا ابو على الحافظ حدثنا
ابو عمر الحافظ حدثنا ابو ذر عبد الرحمن بن يحيى حدثنا
احمد بن سعيد حدثنا ابن الاعرابى حدثنا ابو داود حدثنا
وهب بن بقيه عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن
ابى سلمة عن ابى هريرة ان يهودية اهدت للنبى صلى الله
عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم
فانها اخبرتنى انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال
لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك
ما صنعت وان كنت ملكا اريح الناس منك قال فامر بها
فقتلت وقد روى هذا الحديث عن انس وفيه قالت اردت
قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها
قال لا وكذلك روى عن ابى هريرة من رواية غير وهب
قال فما عرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه

اخبرتنى به

اخبرتنى به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفى رواية الحسن
ان فخذها تكلمنى انها مسمومة وفى رواية ابى سلمة ابن عبد
الرحمن قالت انى مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق
وقال فيه فتجاوز عنها وفى الحديث الاخر عن انس انه قال
فما زلت اعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فى وجعه الذى مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودنى
فالان اوان قطعت ابهرى وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون
يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية
التى سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات فى ذلك عن ابى هريرة
وانس وجابر وفى رواية ابن عباس انه دفعها الاولياء ببشر بن
البراء فقتلوها وكذلك اختلفوا فى قتله للذى سحره قال
الواقدى وعفوه عنه اثبت عندنا وروى عنه انه قتله
وروى الحديث البزار عن ابى سعد فذكر مثله الا انه قال
فى آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكر اسم الله
فلم يضرنا احدا قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه
وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه
الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر
فى هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى
فى الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها
الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيأتها

وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر واخرون
ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكى
هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذا
لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا
يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت
عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها
اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا للجبائي من بين
سائر متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف
والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق
بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصا والجذع والذراع
وقال ان الله تعالى خلق فيها حياة وحرفها فما ولسانا
والة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به
اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من
اهل السير والروايات شيئا من ذلك فدل على سقوط
دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق
وروى وكيع رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله
عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال
رسول الله وروى عن معرض بن معيقب رايت من النبي
صلى الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله
وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة
اسم راوية وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد حتى
شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة

بمكة فى حجة الوداع وعن الحسن انى رجل النبى صلى الله عليه
وسلم فذكر له انه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق معه
الى الوادى وناداها باسمها يا فلانة اجيبى باذن الله فخرجت
وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما
فان احببت ان اردك عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله
خيرا لى منهما وعن انس ان شابا من الانصار توفى وله ام عجوز
عمياء فنبجيناه وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم فقالت
اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعينى
على كل شدة فلا تحملن على هذه المصيبة فما برحنا ان كشف
عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله
الانصارى كنت فيمن دفن ثابت بن قيس وكان قتل باليمامة
فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق
عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن
النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا فى بعض ازقة المدينة
فرفع وسجى اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله
يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله
النبى الامى وخاتم النبيين كان ذلك فى الكتاب الاول ثم قال
صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام
عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان

فصل فى ابراء المرضى وذوى العاهات اخبرنا ابو الحسن
على بن مشرف فيما اجاز لنيه وقرأته على غيره قال حدثنا
ابو اسحاق الحبال حدثنا ابو محمد ابن النحاس حدثنا ابن الورد
عن البرقى عن ابن هشام عن زياد البكاءى عن محمد بن اسحاق

حدثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتاده وجماعة ذكرهم
بقضية احد بطولها قال قالوا قال سعد بن ابى وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينا ولنى السهم الذى
لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيبت يومئذ
عين قتادة يعنى ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه
وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض
بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدرى عن قتادة
وبصق على اثر سهم فى وجه ابى قتادة فى يوم ذى قرد قال
فما ضرب علىّ ولا قاح وروى النساءى عن عثمان ابن حنيف
ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لى عن بصرى
قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قل اللهم انى اسألك
واتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى اتوجه بك
الى ربك ان يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى قال فرجع
وقد كشف عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة
اصابه استسقاء فبعث الى النبى صلى الله عليه وسلم
فاخذ بيده حشوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها
رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو
على شفا فشفاه الله وذكر العقيلى عن حبيب بن فديك
ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما
شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينه
فابصر فرايته يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين ورمى

مسربها

كلثوم بن

الحصين يوم احد فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد
وتفل فى عينى على يوم خيبر وكان رمدا فاصح بارئا
ونفث على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرأت
وفى رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى الكعب
حين قتل ابن الاشرف فبرأت وعلى ساق على بن الحكم يوم
الخندق اذا انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى
على بن ابى طالب فجعل يدعو فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اللهم اشفه او عافه ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع
بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء
يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا
ان خبيب بن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه
فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
واتته امراة من خثعم معها صبى به بلاء لا يتكلم فاتى بماء
فمضمض فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه
ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس
وعن ابن عباس جاءت امراة بابن لها به جنون فمسح صدره
فثغ ثغة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود فشفى وانكفأت
القدر على زراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه
ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت فى كف شرحبيل
الجعفى سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة

فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه
حتى رفعها ولم يبق لها اثر وسالته جارية طعاما وهو
ياكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت
انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله
عليه وسلم يسال شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها القى
عليها من الحياء ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حياء منها
فصل في اجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا
باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم
لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة
وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده
حدثنا ابو محمد العتابي بقرائتي عليه حدثنا ابو القاسم
خاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي حدثنا ابو زيد
المروزي حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا
عبد الله ابن ابي الاسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن
قتادة عن انس قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس
ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما
اتيته ومن رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان
ولدي وولد ولدي ليعدون اليوم على نحو المائة وفي رواية
وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت
بيدي هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد
ومنه دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن
فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفضة الله عليه

ومات فخلف الذهب من تركته بالفؤس حتى مجلت فيه
الايدى واخذت كل زوجة ثمانين الفاً وكن اربعاً
وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه
على نيف وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته
الكثيرة فى حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا
وتصدق مرة بعير فيها سبع مائة بعير وردت عليه تحمل
من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وباقتابها واحلاسها
ودعا لمعوية بالتمكن فى البلاد فنال الخلافة ولسعد بن
ابى وقاص ان يجيب الله دعوته فما رد على احد الا استجيب له
ودعا بعز الاسلام بعمر او ابى جهل فاستجيب له فى عمر قال
ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
فى بعض مغازيه عطش فساله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة
فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا فى الاستسقاء فسقوا
ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا ودعا لابى قتادة افلح وجهك
اللهم بارك له فى شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة
وكانه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك
فما سقطت له سن وفى رواية فكان احسن الناس ثغرا
اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة
وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم فقهه فى الدين
وعلمه التاويل فسمى بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا
لعبد الله بن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه فما اشترى شيئاً
الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكان عنده غرائر من المال
ودعا بمثله لعروة بن ابى الجعد قال فلقد كنت اقوم

بالكناسة فما ارجع حتى ربح اربعين الفا وقال البخارى
فى حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مثل
هذا الغرقدة ايضا وندت له ناقة فدعا فجاء بها اعصار
ربح حتى ردها عليه ودعا لام ابى هريرة فاسلمت ودعا
لعلى ان يكفى الحر والقر فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصيف
وفى الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا
لفاطمة ابنته الله ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد
وسأله الطفيل بن عمرو اية لقومه فقال اللهم نور له
فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا
مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضئ فى الليلة المظلمة
فسمى ذا النور ودعا على مضر فاقحطوا حتى استعطفته
قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه
ان يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس
رياسة فى اقطار الدنيا ودعا على صبى قطع عليه
الصلاة ان يقطع الله اثره فاقعد وقال لرجل راه ياكل
بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا استطعت
فلم يرفعها الى فيه وقال لعتبة بن ابى لهب اللهم سلطه
عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقال لامراة اكلك
الاسد فاكلها وحديثه المشهور عن عبد الله بن مسعود
فى دعائه على قريش حين وضعوا السلى على رقبته وهو
ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رايتهم قتلوا
يوم بدر ودعا على الحكم بن ابى العاصى وكان يختلج بوجهه
ويغمز عند النبى صلى الله عليه وسلم اى لافراه فقال

كن كذلك

كن كذلك فلم يزل يختلج الى ان مات ودعا على محلم بن جثامة
فمات لسبع فلفظته الارض ثم وورى فلفظته مرات
فالقوه بين صدفين ورضموا عليه الحجارة الصدجانب
الوادى وجده رجل يبيع فرس وهى التى شهد فيها خزيمة
للنبى صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبى صلى الله
عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له
فيها فاصبحت شاصيه برجلها اى رافعة وهذا الباب
اكثر من ان يحاط به فصل فى كراماته وبركاته
وانقلاب الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله عليه وسلم
اخبرنا احمد بن محمد حدثنا ابو ذر الهروى اجازة وحدثنا
القاضى حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو
الهيثم حدثنا الفربرى حدثنا البخارى حدثنا يزيد بن
زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل
المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرسا لابى طلحة كان يقطف او به فطاف وقال غيره يبطأ
فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونحن
جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه
وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعى خففها بخفقه
معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من بطنها
باثنى عشر الفا وركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده
هملاجا لا يساير وكانت شعرات من شعره فى قلنسوة
خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق النصر وفى
الصحيح عن اسماء بنت ابى بكر انها اخرجت جبة طيالسة

ابو على سماعه من القاضى
ابو عبد الله محمد بن عبد
الرحمن وغيرهما فالواحد ثنا
ابو الوليد القاضى ح

وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها
فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها وحدثنا القاضى
ابو على عن شيخه ابى القاسم بن المأمون قال كانت عندنا
قصعة من قصاع النبى صلى الله عليه وسلم فكنا
نجعل فيها الماء للمرضى فيشتشفون بها واخذ جهجاه الغفارى
القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس
به فاخذته فيها الاكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب
من فضل وضوئه فى بئر قباء فما نزفت بعد وبزق
فى بئر كانت فى دار انس فلم يكن بالمدينة اعذب منها
ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح
فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى بدلو من ماء
زمزم فمج فيه فبقى طيبا من المسك واعطى الحسن والحسين
لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك
عكة تهدى فيها للنبى صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها
النبى صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها اليها
فاذا هى مملوءة سمنا فاتيها بنوها يسالونها الادم وليس
عندها شئ فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تضيم
ادمها حتى عصرتها وكان يمسح فى افواه الصبيان المراضع
فيجرئهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده فيما لمسه
وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية
يغرسها لهم كلها يعلق ويطعم وعلى اربعين اوقية من
ذهب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها له
بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك الواحدة

فقلعها

فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت
وفي كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها
واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها
على لسانه فوزن منها لموالية اربعين اوقية وبقي عنده مثل
ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت
اخرها فلم ازل اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت
وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء
في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضئ لك
من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك
فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق
فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه
حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل خطب وقال
اضرب به حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا
صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل
عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة
وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش
يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا
ومنه بركته في دروالشياه الحوائل باللبن الكثير
كقصة شاة ام معبد واعنز معوية ابن ثور وشاة انس
وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود
وكانت لم ينزعليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويد

اصحابه سقاء ماء بعدان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة فى فمه
من رواية حماد بن سلمة ومسح على راس عمير ابن سعد وبرك
فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل هذه القصص
عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان
يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره
وسلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو كان جرح يوم حنين
ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس بن
زيد الجذامى ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض
وموضع كف النبى صلى الله عليه وسلم وما مرت يده
عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروى مثل
هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهنى ومسح وجه آخر
فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان
لوجهه بريق حتى كان ينظر فى وجهه كما ينظر فى المرآة
ووضع يده على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه
فكان حنظلة يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة
قد ورم ضرعها فيوضع على موضع كف النبى صلى الله
عليه وسلم فيذهب الورم ونضح فى وجه زينب بنت
ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان فى وجه امراة
من الجمال ما بها ومسح على راس صبى به عاهة فبرئ
واستوى شعره ومثله روى فى خبر المطلب بن قبالة
وعلى غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين فبرؤا واتاه

رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عس مج فيها ففعل
فبرأ وعن طاووس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم
باحد به مس فصك في صدره الا ذهب المس والمس الجنون
ومج في دلو من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك
واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار
وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذى عن اعينهم
وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت
على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن
زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له بالبركة ففزع
الرجال طولا وتماما وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط
ثوبه وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد
فصل ومن ذلك ما اطلع عليه صلى الله عليه وسلم
من الغيوب وما يكون والاحاديث في هذا الباب مما لا يدرك
قعره ولا ينزف غمره وهذا المعجز من جملة معجزاته المعلومة
على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها
واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر
محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة عليه قال ابو بكر
حدثنا ابو علي التستري حدثنا ابو عمر الهاشمي حدثنا اللؤلؤي
حدثنا ابو داود حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا جرير عن
الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه
ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه

فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا راه
عرفه ثم قال حذيفة ما ادرى انسى اصحابى ام تناسوه
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد
فتنة الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا
الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابوذر
لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر
جناحيه فى السماء الا ذكر لنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح
والائمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم
به من الظهور على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس والشام
واليمن والعراق وظهوره الامن حتى تظعن المراة من الحيرة
الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى وتفتح خيبر
على يدى على فى غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا
ويؤتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث
بينهم من الفتون والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل
من قبلهم وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة الناجية
منها واحدة وانهم ستكون لهم انماط ويغدو احدهم فى حلة
ويروح فى اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى
ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال فى اخر الحديث
وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانتم اذا مشوا المطيطاء
وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم
وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر والروم
وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده
وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات

قرون الى

قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل من الناس
وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال
ويل للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امته ما زوى له منها فكذلك
كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى
المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة
من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقوله
لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة
ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم المختصون بالشق
بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب وقد
ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث آخر من
رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي على الحق قاهرين
لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله وابن هم
قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معوية
ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس
بالرايات السود وملكهم اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي
وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وان اشقاها
الذي يخضب هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل
اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج
والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال
يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى ان يلبسه
قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله
فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبحاربة

الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت فينبحت على عائشة عند خروجها الى البصرة وان عماراً تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قرمان وقد بلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخركم موتا في النار فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة اخرهم موتاً هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال في حنطلة الغسيل سلوا زوجه عنه فاني رأيت الملائكة تغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد ووجدنا رأسه يقطر ماءً وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقاً به وانذر بالردة وان الخلافة بعده ثلاثون ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتواً وجبرية وفساداً في الامة واخبر بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلاة عن وقتها وسيكون في امتي ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث اخر ثلاثون دجالا كذاباً اخرهم الدجال الاكذب كلهم يكذب على الله تعالى ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم فيأكلون افياءكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة

حتى يسوق الناس

حتى يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال خيركم قرنى
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتى بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه وقال
هلاك امتى على يدى اغيلمة من قريش قال ابو هريرة رواية
لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية
والرافضة وسبأ خرهذه الامة اولها وقلة الانصار حتى
يكونوا كالملح فى الطعام فلم يزالوا هم يتبدد حتى لم تتوطم جماعة
وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر بشأن الخوارج وصفتهم
والمخدج الذى فيهم وان سيماهم التحليق ويرى دعاء الشاء
رؤس الناس والعراة الحفاة يتباارون فى البنيان وان تلد الامة
ربتها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم
واخبر بالموتان الذى يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد
من سكنى البصرة وانهم يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة
وان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس
وهاجت ريح فى غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما
رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس
احدكم فى النار اعظم من احد قال ابو هريرة فذهب القوم
يعنى ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم
بالذى خرزا من خرز يهود فوجدت فى رجله وبالذى غل الشملة
وجبث هى باقته حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها
وبشأن كتابه حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير مع صفوان
حين ساره وشارطه على قتل النبى صلى الله عليه وسلم

فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصداً لقتله واطلعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر
بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي
بن خلف وفي عتبة ابن ابي لهب انه ياكله كلب من كلاب الله
وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني
هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف
حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون واخبر بقتل
اهل موتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد وبموت
النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد عليه
بموت كسرى ذلك اليوم فلما تحقق فيروز القصة اسلم
واخبر اباذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال
له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا
اخرجت منه الحديث وبعيشه وحده وموته وحده واخبر
ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن يدا فكانت زينب لطول
يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج
بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال في زيد ابن صوحان
يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد
وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي
وصديق وشهيد فقتل عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير
وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري
كسرى فلما اتي بهما لعمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي
سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين

رسولا من كسرى

رجلة ودجيل وقطربل والصراة يجيى اليها خزائن الارض
يخسف بها يعنى بغداذ وقال سيكون فى هذه الامة رجل
يقال له الوليد هو شر من فرعون لقومه وقال لا تقوم
الساعة حتى يقتتل فئتان دعواهما واحدة وقال لعمر
فى سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان
كذلك قام بمكة مقام ابى بكر يوم بلغه موت النبى صلى الله
عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم
وقال لخالد حين وجهه لاكيدران تجده يصيد البقر فوجدت
هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته كما قاله صلى الله
عليه وسلم الى ما اخبر به جلساءه من اسرارهم وبواطنهم
واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفى المؤمنين
حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن
عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة
السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم ركونه فى مشط ومشاقة
فى جف طلع نخلة ذكر وانه التى فى بئر ذروان فكان كما قال
ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما فى
صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم
وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه
لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء ونعته
اياه نعت من عرفه واعلامهم بغيرهم التى مر عليها فى طريقه
وانذارهم بوقت وصولها فكان ذلك كله كما قال الى ما اخبر به
من الحوادث التى تكون ولم تات بعد منها ما ظهرت مقدماتها
كقوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب

خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطنية ومن اشراط
الساعة وايات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار
والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة وبحسب هذا
الفصل ان يكون ديوانا مفردا ويشتمل على اجزاء وحده
وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية
واكثرها في الصحيح وعند الائمة فصل في عصمة الله
تعالى له صلى الله عليه وسلم من الناس وكفايته من اذاه
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال فاصبر لحكم ربك
فانك باعيننا وقال اليس الله بكاف عبده قيل بكاف محمدا
صلى الله عليه وسلم اعداءه المشركين وقيل غير هذا
وقال انا كفيناك المستهزئين وقال اذ يمكر بك الذين كفروا
الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي
عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المغافري
قالا حدثنا ابو الحسين الصيرفي قال ابو علي البغدادي
حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابو العباس المروزي حدثنا
ابو عيسى الحافظ حدثنا عبد بن حميد حدثنا مسلم بن
ابراهيم حدثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن
عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان النبي صلى الله
عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك
من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه
من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي
عز وجل وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل
منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي

فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك منى فقال الله فارعدت
يد الاعرابى وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى
سال دماغه فنزلت الاية وقد رويت هذه القصة فى الصحيح
وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبى
صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس وقد حكى مثل هذه الحكاية وانها جرت
له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه
رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها
فى غزوة غطفان بذى امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث
وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه به وكان
سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت تقول وقد مكنك
قال انى نظرت الى رجل ابيض طويل دفع فى صدرى فوقعت
لظهرى وسقط السيف من يدى فعرفت انه ملك واسلمت
قيل وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفى رواية الخطابى
ان غورث بن الحارث الخطابى اراد ان يقتك بالنبى صلى الله
عليه وسلم فلم يشعر به الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه
فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب لوجهه من زلخة زلخها
بين كتفيه الزلخة وجع الظهر وندر سيفه من يده وقيل
فى قصته غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان
النبى صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه
الاية استلق وقال من شاء فليخذلنى وذكر عبد بن حميد

قال كانت حمالة الحطب تضع الغضاة وهي جمرة على طريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يطؤها كثيبا اهيل
وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر
وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر الا ابا بكر
واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت
يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته
لضربت بهذا الفهر فاه وعن الحكم بن العاص تواعدنا على
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رايناه سمعنا صوتا
خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا
فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رايناه جاءت الصفا والمروة
فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهل ابن
حذيفة ليلة على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجئنا منزله فسمعنا اليه فافتتح وقراء الحاقة الى فهل ترى لهم
من باقية فضرب ابو جهل على عضو عمر وقال انج وفراها بين
فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه
العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش
واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم
من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم
وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم
في الغار بما هيأ الله له من الايات ومن العنكبوت الذي

نسج عليه حتى قال امية ابن خلف حين قالوا ندخل الغار
ما اردكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما اراه قبل ان يولد
محمد صلى الله عليه وسلم ووقفت حمامتان على فم الغار
فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته
مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش
فيه وفي ابي بكر الجعائل فاندب به فركب فرسه واتبعه حتى
قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت
قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره
ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم
اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانيه الى ركبتيها
وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم
بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم اما ناكتب ابن فهيرة
وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم
الا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا
وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه
ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف
خبرهما فخرج يشتد ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه
فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه
رجاءه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره ابو جهل يصخ وهو ساجد
وقريش ينظرون ليطرحها عليه فذرقت بيده ويبست يداه
الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم ساله ان يدعو له
ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك

وخلف لئن راه ليدمغنه فسألوه عن شانه فذكر انه عرض له
دونه فحل ما رايت مثله قط هم لجان يأكلني فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لودنا لاخذه وذكر
السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم يرا النبي
صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم
حتى نادوه وذكر ان في هاتين القصتين نزلت انا اعطيناك
في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ذكره ابن اسحاق
وفي قصته اذ خرج الى بني قريظة في الصحابة فجلس الى جدار
بعض اطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح
عليه رحا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف
الى المدينة واعلمهم بقضيتهم وقد قيل ان قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى
بني النضير يستعين في عقل الكلابيتين الذين قتلهما
عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم
حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى الله
عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله
فاعلم جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام
كانه يريد حاجة حتى دخل المدينة وذكر اهل التفسير
معنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا
لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي
صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه

ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال
لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء ناراً كدت اهوى
فيه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملات الارض
فقال عليه الصلاة والسلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته
عضوا عضوا ثم انزل على النبى صلى الله عليه وسلم كلا
ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى اخر السورة ويروى
ان شيبة بن عثمان الحجبى ادركه يوم حنين وكان حمزة
قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثارى من محمد فلما
اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه
عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الى شواظ من نار اسرع
من البرق فوليت هاربا واحس بى النبى صلى الله عليه وسلم
فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى فما رفعها
الا وهو احب الخلق الى وقال لى ادن فقاتل فتقدمت
امامه اضرب بسيفى واقيه بنفسى ولو لقيت ابى تلك
الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير اردت
قتل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف
بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت
تحدث به نفسك قلت لا شى فضحك واستغفر لى ووضع
يده على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله
شيا احب الى منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل
وارد بن قيس حين وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم
وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت
فلم ير فعل شيا فلما كلمه فى ذلك قال له والله ما هممت

ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته
تعالى له ان كثيرا من اليهود والكهنة اندروا به وعيّنوه
لقريش واخبروهم ببسطوته بهم وحضّوهم على قتله ؛
فعصمه الله عزّ وجلّ حتّى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره
بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم
فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى
له من العلوم والمعارف وخصّه به من الاطلاع على جميع
مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرائعه وقوانين
دينه وسياسه عباده ومصالح امّته وما كان في الامم
قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية
من لدن ادم الى زمنه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعى
سيرهم وسرد انبيائهم وايام الله فيهم وصفات اعيانهم
واختلاف ازمانهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم حكمائهم
ومحاجّة كلّ امّة من الكفرة ومعارضة كلّ فرقة من الكتا
بيين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبّآت علومها
واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيّروه الى الاحتواء على
لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني
اشعارها والتخصيص بجوامع كلام العرب الى المعرفة بضرب
الامثال الصحيحة والحكم البيّنة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض
فيه ولا تخازل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق
ومحامد الاداب وكلّ شئ مستحسن مفضّل لم ينكر منه

محمد ذو عقل سليم

ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له
وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه
دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم
عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم
من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا
مما لا يعلم ولا يقوم به وبعضه الا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومناقشة بعض هذا الى الاحتواء على ضروب العلوم
وفنون المعارف كالطب والعبادة والفرائض والحساب
والنسب وغير ذلك من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف
كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واصولا فى علمهم
كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر وهى على رجل
طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها المرء
نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة
وما روى عنه فى حديث ابى هريرة من قوله المعدة حوض
البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا
لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطنى
وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى
وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين
وفى العود الهندى سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن آدم
وعاء شرا من بطن فان كان ولا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سباء ارجل
هو او امرأة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة

وتشاءم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه فى نسب
قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب
سواله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب
ونابها ومذحج هامتها وغلصمها والازد كاهلها وجمجمتها
وهمدان عاريها وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله فى الحوض
زوايا ه سواء وقوله فى حديث الذكر وان الحسنة بعشر
فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة فى الميزان
وقوله وهو فى موضع نعم موضع الحمام هذ وقوله ما بين
المشرق والمغرب قبله وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس
بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للمملى
هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتى
علم كل شئ حتى قد وردت اثار بمعرفته حروف الحظ وحسن
تصويرها كقوله لامدّ بسم الله الرحمن الرحيم رواه
ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله فى الحديث الاخر
الذى يروى عن معوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله
عليه وسلم فقال له القِ الدواة حرّف القلم واقم الباء
وفرّق السين ولا تعور الميم وحسن الله مدّ الرحمن
وجوّد الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه
الصلاة والسلام كتب فلا يعبد ان يرزق علم هذا ويمنع
الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات
العرب وحفظه معانى اشعارها فامر مشهور قد نبهنا
على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم

كقوله

كقوله فى الحديث سنه سنه وهى حسنه بالحبشية وقوله
ويكثر الهرج وهو القتل بها وقوله فى حديث ابى هريرة
اشكنب درداى وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك
مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس
الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو
صلى الله عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى امى لم يكتب ولم يقرأ
ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم
ولا قراءة لشئ هذه الامور ولا عرف هو قبل بشئ منها قال
الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون انما كانت غاية معارف العرب النسب
واخبارا وايلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم
بعد التقرع لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله
عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم
ولا سبيل الى جحد الملحد لشئ مما ذكرناه ولا وجد الكفرة
حيلة فى دفع ما قصصناه الا قولهم اساطير الاولين
وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله لسان الذى يلحدون
اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة
العيان فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد
الرومى وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من القرآن
وظهور ما لا يعد من الايات واما الرومى فكان اسلم وكان
يقرأ على النبى صلى الله عليه وسلم واختلف فى اسمه وقيل
بل كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة
وكلاهما اعجمى اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن

وقد عجزوا عن معارضة ما اوتي به والاتيان بمثله
بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف
يا عجمي الكن نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او بعيش
او جبر او يسار على اختلاف فهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونه
مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شئ من مثل ما كان
يجئ به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم
بمعرفة شئ من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة
عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى هذا
فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به
على شغبه كفعل النضر بن الحارث بما كان يخرق به من
اخبار كتبه ولاغاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولاكثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتب فيقال انه استمد
منهم بل يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة
ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة تين لم يطل
فيها مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير
بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب
عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف
الى حبر او قس او منجم او كاهن بل كان هذا بعد كله لكان مجئ
ما اتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل
حجة ومجيبا لكل امر فصل ومن خصائصه صلى الله
عليه وسلم وكراماته وباهر اياته ابناؤه مع الملائكة والجن
وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورويه كثير من
اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه

وجبريل

وجبريل وصالح المؤمنين الاية وقال اذ يوحى ربك
الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين امنوا وقال اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم الايتين وقال واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الاية حدثنا سفيان
بن العاصى الفقيه بسماعى عليه حدثنا ابو الليث السمرقندى
حدثنا عبد الغافر الفارسى حدثنا ابو احمد الجلودى
حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا عبيد الله بن معاذ
حدثنا ابى حدثنا شعبة عن سليمان الشيبانى سمع زر بن
جيش عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال
راى جبريل فى صورته له ستمائة جناح والخبر فى محادثته
مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملائكة وما شاهد
من كثرتهم وعظم صورهم مشهور وقد راهم بحضرته جماعة
من اصحابه فى مواطن مختلفة فراى اصحابه جبريل عليه
السلام فى صورة رجل يساله عن الاسلام والايمان
وراى ابن عباس واسامة وغيرهما عند جبريل فى صورة
دحية وراى سعد عن يمينه ويساره جبريل وميكائل
فى صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد
وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم
راى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب وراى
ابو سفيان ابن الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق
بين السماء والارض ما يقوم لها شئ وقد كانت الملائكة
تصافح عمران بن الحصين وراى النبى صلى الله عليه وسلم
لحمزة جبريل فى الكعبة فخر مغشيا عليه وراى

عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم
وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير
لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له
الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد
من المصنفين عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم اذا قبل شيخ بيده عصا
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال
نغمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقس بن ابليس
فذكر انه لقي نوحا عليه السلام ومن بعده في حديث
طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن
وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي
خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له تلك العزى وقال صلى الله
عليه وسلم ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع على صلاتي
فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
الاية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع

فصل

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلامات رسالته
ما تراددت به الاخبار عن الرهبان والاخبار وعلماء اهل
الكتاب من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر
الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار

الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن
لؤى وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف
بن يزن وغيرهم وما عرف به من امر زيد بن عمرو بن نفيل
وورقة بن نوفل وعثكلان الحميرى وعلماء يهود وشامول
عالمهم صاحب تبع من صفته وخبره وما القى من ذلك
فى التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه ونقله
عنهم ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وبنى سعية وابن
يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود
وبحيراء ونسطور الحبشة وصاحب بصرى واسقف
الشام وضغاطر والجارود وسلمان وتميم والنجاشى ونصارى
الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى
وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى
ورئيساهم ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا
وابن اخطب واخوه وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم
من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء
على الشقاء والاخبار فى هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع
اليهود والنصارى بما ذكر انه من كتبهم من صفته وصفة
اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم
وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره
ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر
عن معارضته وابدى ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو
وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس
والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم

قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى انذرية الكهان
مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر
وافعى نجران وجذل بن جذل الكندى وابن خاصة الدوسى
وسعد بن بنت كبر وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة
الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته
وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف
الصور وما وجد من اسم النبى صلى الله عليه وسلم مكتوبا
على الحجارة والقبور بالخط القديم والشهادة له بالرسالة
ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم
مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات عند مولده
وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه رافعا
راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما رأته
من النور الذى خرج معه عند ولادته وما رأته اذ ذاك
ام عثمان بن ابى العاصى من تدلى النجوم وظهور النور
عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن
ابن عوف لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدى واستهل
سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لى ما بين المشرق
والمغرب حتى نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة و
زوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب
غنمها وسرعة شبابه وحسن نشأته وما جرى من العجائب
ليلة مولده من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته
وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام
لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابى طالب واله وهو صغير

شبعوا

شبعوا فاذا غاب عنهم فاكلوا فى غيبته لم يشبعوا وكان
سائر ولد ابى طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم
صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته صلى
الله عليه وسلم شكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا
ومن ذلك حراسة السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين
ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بعض الاصنام
والعفة عن امور الجاهلية وما خصته الله به من ذلك
وحماه حتى فى ستره فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ
ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط
الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال انى
نهيت عن التعرى ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام فى
سفره وفى رواية ان خديجة ونساءها راينه لما قدم و
ملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه راى ذلك
منذ خرج معه فى سفره وروى ان حليمة رات غمامة تظله
وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن
ذلك انه صلى الله عليه وسلم نزل فى بعض اسفاره قبل
مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت
هى فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بمخضر من راه وميل
فى الشجرة اليه فى الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر من انه لا ظل
لشخصه فى مشمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان
لا يقع على جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى
اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره فى المدينة
وفى بيته وان بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة

وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة
من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده
على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه
ولم يستأذن على غيره قبله ونداؤهم الذي سمعوه ٧
ان لا ينزعوا القميص عنه عند غسله وما روى
من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى
ما ظهر على اصحابه من كرامته وبركته في حياته وموته
كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته صلى الله
عليه وسلم فصل قال القاضي ابو الفضل رحمة الله
قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل
من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية
وتركنا الكثير سوى ما ذكرناه واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وقصد المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها
على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير
الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار
وبحسب هذا الباب لو تقصينا ان يكون ديوانا جامعا
يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه
وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين احدهما
كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها
او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتأمل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف
على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن
كله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين
سورة انا اعطيناك الكوثر او اية بقدرها وذهب بعضهم

الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد بعضهم الى ان كل جملة
منتظمة منه معجز وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه
اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به
مع ما يظهر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا
ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف
على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر
عشر كلمات فمجموع القرآن على نسبة انا اعطيناك الكوثر
ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه
ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه
فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد
من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم
الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة
الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها معجز بنفسه فيتضاعف
العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب
التضعيف هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته
ولا يحوي الحصر باهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار
الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب
وعن ما دل على امر مما اشرنا الى جملة يبلغ نحوا من هذا
الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان
معجزات الرسل كانت بقدر هم اهل زمانهم وبحسب
الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى غاية علم اهله
السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدر تهم
عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم

وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى اعنى ماكان الطب اوفر
ماكان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم مالم يحتسبوه
من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولاطب
وهكذا سائر معجزات الانبيا عليهم الصلاة والسلام ثم
ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وجملة معارف
العرب وعلومها وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر
والكهانة فانزل الله عز وجل عليه القرآن الخارق لهذه
الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب
الذى لم يهتدوا فى المنظوم الى طريقه ولا علموا فى اساليب
الكلام منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ماكانت ويعترف المخبر عنها
بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة
التى تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب
ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة و
انباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية مايعجز
من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التى بسطناها
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه
الوجوه الى الفصول الاخر التى ذكرناها فى معجزات القرآن
ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تأتى لا تخفى
وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى ما اخبر
من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا
ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان

ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان والمشاهدة زيادة فى
اليقين والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم
اليقين وان كان كل عندها حقاً وسائر معجزات الرسل
انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وايانه يتجدد وتضمحل
ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما حدثناه القاضى
الشهيد ابو على حدثنا القاضى ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا
ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا حدثنا الفربرى حدثنا
البخارى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث
عن سعيد عن ابيه عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال ما من الانبياء نبى الا اعطى من الايات ما مثله امن عليه
البشر وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى فارجو انى
اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم
وهو الظاهر والصحيح ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء
فى تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
الى معنى اخر من ظهورها بكونها وحيا لا يمكن التخيل فيه
ولا التحيل عليه والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل
قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا فى التخييل بها على الضعفاء
كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله
الساحر ويتخيل فيه والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر
ولا للتخيل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره
من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا
او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول اخلص

وارضى وفى هذا التأويل الثانى ما يغمض الجفن عليه ويغض
ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضه
كانت فى مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبى
اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن
لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم
وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان
بما فى مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم
والجلاء والسباء والاذل وتغيير الحال وسلب النفوس
والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد
بين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته
وانهم منعوا عن شى هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب
الامام ابو المعالى الجوينى وغيره قال وهذا عندنا ابلغ
من خرق العادة بالافعال البديعة فى نفسها كقلب العصا حية
ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدا ان ذلك
من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة فى ذلك الفن
وفضل علم الحان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدى للخلائق
والمبثين من التسين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله
فلم يأتوا فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم عدمها
الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال نبى ايتان يمنع
الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر
اية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء
وجه ظهور ايته صلى الله عليه وسلم على سائر ايات الانبياء

حتى احتاج

حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء
آلبابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم
وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل
وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة
الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم
السامري ذلك في العجل بعد ايمانهم وعبد المسيح مع اجماعهم
على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم
من الايات الظاهرة البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم
مما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي
هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف
بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم
من امن بالله ووحده من قبل الرسول بدليل عقله وصفاء
لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا
بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا
كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم
واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا
بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق
لكنا قد منا من بيان معجزة نبينا وظهورها ما يغني عن ركوب
بطون هذه المسالك وظهورها وبالله استعين القسم الثاني
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام
وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه
اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته

ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة والسلام
عليه وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم الباب الاول
فى فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله
عليه وسلم اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته
وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فامنوا
بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقال تعالى انا ارسلناك
شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الاية فالايمان بالنبى
صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمان الا به ولا صح
اسلام الا معه قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيراً حدثنا ابو محمد الحشنى الفقيه
بقراءتى عليه حدثنا الامام ابو على الطبرى حدثنا
عبد الغافر الفارسى حدثنا ابن عمرويه حدثنا ابن سفيان
حدثنا ابو الحسين حدثنا امية بن بسطام حدثنا يزيد
ابن زريع حدثنا روح عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب
عن ابيه عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله
ويؤمنوا بى وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا منى
دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضى
ابو الفضل رضى الله عنه والايمان به صلى الله عليه وسلم
هو تصديق نبوته ورسالته له وتصديقه فى جميع
ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك
شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به

صلى الله

صلى الله عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة بذلك
باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد فى هذا الحديث
نفسه من رواية عبد الله ابن عمر امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده
وضوحا فى حديث جبريل عليه السلام اذ قال اخبرنى عن
الاسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله
عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان
والاسلام به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة
التامة واما الحال المذمومة فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون اى كاذبون فى قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق
ذلك ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم
فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم فى الاخرة حكمه اذ لم يكن
معهم ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار وبقى
عليهم حكم الاسلام باظهار شهادة اللسان فى احكام الدنيا
المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر
بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر
ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبى صلى الله عليه وسلم
عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق

بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة
من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان
اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يحترم
قبل اتساع وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط
بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم
مؤمنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر
سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط
بترك غيره وهذا هو الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق
بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهاده فلم ينطق بها
جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف فيه
ايضا فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال
فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده
شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة
مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح
وهذه نبذة تفضي الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان
وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع
على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما زاد
عليه من عمل وقد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين
حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام
حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض التاليف
وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى فصل
وما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم فاذا وجب الايمان

وتصديقه

وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال
قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقال اطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله
فجعل تعالى طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد
على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجبا متثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة
طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم لما جاء به وقالوا
وما ارسل الله من رسول الا فرض الله طاعته على من ارسله اليه
وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل
سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول
فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول
في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم
ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة
له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه حدثنا
خاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف حدثنا
محمد ابن احمد حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا
عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني
ابو سلمة ابن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني

فقد عصى الله ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصى
اميرى فقد عصانى فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله
امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له
وقد حكى الله عن الكفار فى دركات جهنم يوم تقلب وجوههم
فى النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول ٦
فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمنى وقال صلى الله
عليه وسلم اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم
بامر فأتوا منه ما استطتم وفى حديث ابى هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى
قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وفى الحديث
الاخر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل ما بعثنى
الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم انى رأيت الجيش بعينى
وانى انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه
فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم
فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى
وكذب ما جئت به من الحق وفى الحديث الاخر فى مثله
كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن
اجاب الداعى دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى
لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعى محمد
صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى
محمدا فقد عصى الله ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس
فصل واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم

وامتثال سنته

وامتثال سنّته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبّون الله فاتّبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال
فامنوا بالله ورسوله النّبىّ الامّىّ الّذى يؤمن بالله وكلماته
واتّبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربّك لا يؤمنون حتّى
يحكّموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اى ينقادون لحكمك
يقال سلّم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم فى رسول
الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر الاية قال
محمد ابن على الترمذى الاسوة فى الرّسول الاقتداء به والاتباع
لسنّته وترك مخالفته فى قول او فعل وقال غير واحد من المفسّرين
بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل فى قوله تعالى
صراط الّذين انعمت عليهم قال بمتابعة السّنة فامرهم الله
تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتّباعه لانّ الله ارسله
بالهدى ودين الحقّ ليزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم ووعدهم محبّته تعالى فى الاية الاخرى
ومغفرته اذا اتّبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم
وانّ صحّة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض
عليه وروى عن الحسن انّ اقواما قالوا يا رسول الله انا نحبّ ربّنا
فانزل الله قل ان كنتم تحبّون الله فاتّبعونى يحببكم الله الاية
وروى انّ الاية نزلت فى كعب بن الاشرف وغيره وانّهم قالوا
نحن ابناء الله واحبّاؤه ونحن اشدّ حبّا لله فانزل الاية وقال
الزّجّاج معناه ان كنتم تحبّون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا
ما امركم به اذ محبّة العبد لله والرّسول طاعته لهما ورضاه
بما امرا ومحبّة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته

يقال ان المحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة كما
قال القائل تعصى الاله وانت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس
بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع
ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله
رحمته له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه
قال القشيرى فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان
من صفات الذات وسيأتى بعد فى ذكر محبة العبد غير هذا
بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه
حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل ح وحدثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراءتى عليه قالا حدثنا حاتم بن
محمد حدثنا ابو حفص الجهنى حدثنا ابو بكر الاجرى حدثنا
ابراهيم بن موسى الجوزى حدثنا داود بن رشيد حدثنا
الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن
عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر الكلاعى عن العرباض بن سارية
فى حديثه فى موعظة النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل
محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد فى حديث جابر
بعناه وكل ضلالة فى النار وفى حديث ابى رافع عنه
صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكأ على اريكته يأتيه
الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى
ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه وفى عائشة صنع رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم

فبلغه ذلك

فبلغه ذلك فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشئ
اصنعه فو الله انى لاعلمهم بالله واشدهم خشيه وروى
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثى فهما وحفظه
جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثى خسر الدنيا
والآخرة امرت امتى ان يأخذوا بقولى ويطيعوا امرى
ويتبعوا سنتى فمن رضى بقولى فقد رضى بالقرآن قال
الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بى فهو منى ومن
رغب عن سنتى فليس منى وعن ابى هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال احسن الحديث كتاب الله وخير
الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن
عمرو بن العاصى قال النبى صلى الله عليه وسلم العلم
ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة وعن الحسن ابن ابى الحسن عنه عليه
الصلاة والسلام قال عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير
فى بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة
بالسنة تمسك بها وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم
قال للتمسك بسنتى عند فساد امتى له اجر مائة شهيد
وقال صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل افترقوا على اثنتين
وسبعين ملة وان امتى تفترق على ثلاث وسبعين كلها
فى النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذى انا
عليه اليوم واصحابى وعن انس قال صلى الله عليه وسلم

من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن
عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث
من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان له من الاجر
مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله كان عليه مثل اثام
من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا فصل
واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء
بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن
ابن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال حدثنا ابو عمر الحافظ
حدثنا سعيد بن نصر حدثنا قاسم ابن اصبغ ووهب بن مسرة
قالا حدثنا محمد بن وضاح حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا مالك
عن ابن شهاب عن رجل من ال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن
عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر
في القرآن ولا نجد صلاة المسافر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله
بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل
كما رأيناه يفعل وقال سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله و
استعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها
ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها واتبع غير سبيل
المؤمنين والاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا
وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير
في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم
قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب

بتعلم السنة

بتعلم السنة والفرائض واللحن اى اللغة وقال ان ناسا
يجادلونكم يعنى بالقرآن فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن
اعلم بكتاب الله وفى خبره حين صلى بذى الحليفة ركعتين
فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
وعن على حين قرن فقال له عثمان ترانى انهى الناس عنه
وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقول احد من الناس وعنه الا انى لست بنبى ولا يوحى الى
ولكنى اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد فى السنة
خير من الاجتهاد فى البدعة وقال ابن عمر صلاة السفر ركعتان
من خالف السنة كفر وقال ابى بن كعب عليكم بالسبيل والسنة
فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من
عبد على السبيل والسنة ذكر الله فى نفسه فاقشعر جلده
من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهى
كذلك اذا صابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله
عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا فى سبيل
وسنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة وانظروا ان يكون
عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان يكون على منهاج الانبياء
وسننهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز الى عمر بحال بلده
وكثرة لصوصه هل يأخذهم بالظنة او يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت
عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله

وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اى الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود والله انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي عبد الله بن عمر بير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري من اقر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن اقر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة بتجرد واودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولما تجردت رأيت تلك الليلة قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة امره صلى الله عليه وسلم وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله تعالى عليها بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له

الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا
ابو محمد عبد الله بن ابى جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتى
عليهما قالا حدثنا ابو القاسم خاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
القابسى حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا
احمد بن ابى سليمان حدثنا سحنون بن سعيد حدثنا ابن القاسم
حدثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر
الحديث فى صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضى كما
يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال
انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى
انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتى
فليس منى وقال من ادخل فى امرنا ما ليس منه فهو رد وروى
ابن ابى رافع عن ابيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
لا الفين احدكم متكأ على اريكته ياتيه الامر من امرى
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادرى ما وجدنا
فى كتاب الله اتبعنه زاد المقدام الا وانما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله
عليه وسلم وجئ بكتاب فى كنف كنى بقوم حمقا او قال ضلالا
ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم
فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية
وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتطعون وقال ابو بكر
الصديق لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعمل به الا عملت به انى اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثانى فى لزوم محبته صلى الله عليه وسلم
قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا
وتنبيها ودلالة وحجة على لزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم
اذ قرع تعالى من مكان ماله وولده واهله احب اليه
من الله ورسوله واوعدهم بقوله فتربصوا حتى يأتى الله
بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده
الله حدثنا ابو على الغسانى الحافظ فيما اجازنيه وهو
مما قرأته على غير واحد حدثنا سراج بن عبد الله القاضى
حدثنا ابو محمد الاصيلى حدثنا المروزى حدثنا ابو عبد الله
محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل حدثنا يعقوب بن ابراهيم
حدثنا ابن عُلَيَّة عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن
ابى هريرة نحوه وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله
احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار وعن عمر بن
الخطاب انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لانت احب
الى من كل شئ الا نفسى التى بين جنبى فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه فقال عمر والذى انزل عليك الكتاب

لانت احب

لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى
صلى الله عليه وسلم الان يا عمر وقال سهل من لم ير ولاية
الرسول صلى الله عليه وسلم عليه فى جميع الاحوال وير
نفسه فى ملكه عليه الصلاة والسلام لا يذوق حلاوة
سنته لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث فصل فى ثواب
محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى
عليه حدثنا ابو القاسم خاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن
على بن خلف حدثنا ابو زيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف
حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا عبدان حدثنا ابى حدثنا
شعبه عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابى الجعد عن انس
ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة
يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير
صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى احب الله ورسوله قال
انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت
الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله
ناولنى يدك ابايعك فناولنى يده فقلت يا رسول الله
انى احبك فقال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ عن
النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى
وانس وعن ابى ذر بمعناه وعن على ان النبى صلى الله
عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين فقال من احبنى واحب
هذين وابا هما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة
وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال

يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك
فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان
دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث اخر كان رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال
ما بالك قال ابي انت وامي اتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيمة
رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث انس
ومن احبني كان معي في الجنة فصل فيما روي عن السلف
والائمة من محبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له
حدثنا القاضي الشهيد حدثنا العذري حدثنا الرازي
حدثنا الجلودي حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم حدثنا
قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهل عن ابيه عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد
امتي لي حبا ناس يكون بعدي يود احدهم لو رآني باهله وماله
ومثله عن ابي ذر وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة
في مثله وعن عمرو بن العاصي ما كان احد احب الي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن
معدان قالت ما كان خالد باوى الى فراش الا وهو يذكر من
شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه

من المهاجرين

من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم اصلي وفصلي و
اليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربّ قبضي اليك حتى
يغلبه النوم وروى عن ابي بكر رضي الله عنه انّه قال للنبيّ
صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب
كان اقرّ لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك انّ اسلام
ابي طالب كان اقرّ لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب قاله للعباس
ان تسلم احبّ اليّ من ان يسلم الخطاب لانّ ذلك احبّ الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحاق انّ امرأة من الانصار
قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبّ بن قالت ادنيه انظر اليه فلمّا رأته
قالت كلّ مصيبة بعدك جلل وسُئل علي بن ابي طالب كيف كان
حبّكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان احبّ الينا من اموالنا
واولادنا وابائنا وامّهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ وعن
زيد بن اسلم خرج عمر ليلة بحرس فراى مصباحاً في بيت
واذا عجوز تنفش صوفاً وتقول على محمد صلاة الابرار صلى
عليه الطيّبون الاخيار قد كنت قواماً بكاً بالاسحار
يا ليت شعري والمنايا اطوار هل بجمعني وحبيبي الدار تعني
النبيّ صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول
وروى ان عبد الله بن عمر حذرت رجله فقيل له اذكر
احبّ النّاس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت
ولمّا احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غداً
القى الاحبّة محمداً وحزبه وروى ان امرأة قالت لعائشة

اكشفي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها
فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له ابو سفيان ابن حرب انشدك الله يا زيد احبت
ان محمداً الان عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك
فقال زيد والله ما احب ان محمداً الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة وانى جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت
من الناس احداً يحب احداً كحب اصحاب محمد محمداً صلى الله
عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله
عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بعض زوج ولا رغبة
بارض وما خرجت الا حباً لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن
الزبير بعد قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواماً
قواماً تحباً لله ورسوله فصل في علامة محبته صلى الله
عليه وسلم اعلم ان احب شيئاً اثره واثر موافقته والا لم يكن
صادقاً في حبه وكان مدعياً فالصادق في حب النبي صلى الله
عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به
واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه والتادب بادابه في عسره ويسره و
منشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى
نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ٭
ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضى الله حدثنا

القاضي

القاضى ابو على الحافظ حدثنا ابو الحسن الصيرفى وابو الفضل
ابن خيرون قالا حدثنا ابو على البغدادى حدثنا ابو على السنجى
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا مسلم بن خاتم
حدثنا محمد بن عبد الله الانصارى عن ابيه عن على بن زيد
عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا بنى ان قدرت ان تصبح وتمسى ليس
فى قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لى يا بنى وذلك من سنتى
ومن احيى سنتى فقد احبنى ومن احبنى كان معى فى الجنة فمن
اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن
خالفها فى بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن
اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذى حد فى
الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى
الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن
علامات محبة النبى صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له
فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل
حبيب يحب لقاء حبيبه وفى حديث الاشعريين عند
قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة
محمدا وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله
وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة
ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه قال اسحاق التجيبى كان اصحاب النبى صلى الله
عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم
وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له

وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها
محبته لمن احب النبى صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه
من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة
من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب
من يحبه وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين
اللهم انى احبهما فاحبهما وفى رواية فى الحسن فاحب
من يحبه وقال من احبها فقد احبنى ومن احبنى فقد
احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضنى ومن ابغضنى فقد
ابغض الله وقال الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا
بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى
ابغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله
ومن اذى الله يوشك ان يأخذه وقال فى فاطمة رضى الله عنها
انها بضعة منى يغضبنى ما اغضبها وقال لعائشة
رضى الله عنها فى اسامة ابن زيد احبيه فانى احبه وقال
اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم وفى
حديث ابن عمر من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغضهم
فببغضى ابغضهم قال المؤلف رحمة الله تعالى فبالحقيقه
من احب شيئا احب كل شئ يحبه وهذه سيرة السلف
حتى فى المباحات وشهوات النفس وقد قال انس حين
رأى النبى صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالى
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا
الحسن بن على وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى
وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية
ويصبغ بالصفرة اذ راى النبى صلى الله عليه وسلم يفعل
نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من
عاداة ومجانبة من خالف سنته وابتدع فى دينه واستثقال
كل امرى يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء
اصحابه رضى الله عنهم قد قتلوا احباءهم وقاتلوا اباءهم
وابناءهم فى مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله بن ابى لو شئت
لاتيتك براسه يعنى اباه ومنها ان يحب القران الذى اتى به
صلى الله عليه وسلم وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت
عائشة كان خلقه القران وحبه للقران تلاوته وتفهمه و
العمل به ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله
علامة حب الله حب القران وعلامة حب الله وحب القران
حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبى صلى الله
عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة و
علامة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر
منها الا زادا وبلغة الى الاخرة وقال ابن مسعود لا يسال احد
عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله
ومن علامة حبه للنبى صلى الله عليه وسلم شفقته على امته
ونصحه لهم وسعيه فى مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان
صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن علامة تمام
محبته صلى الله عليه وسلم زهد مدعيها فى الدنيا وايثاره
الفقر وانصافه به وقد قال صلى الله عليه وسلم لابى سعيد

الخدري ان الفقر الى من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلا
الوادي والجبل الى اسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل
قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني احبك
فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات قال
ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد
بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله تعالى ومحبة
النبي صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك
وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها
اختلاف احوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال بعضهم محبة الرسول
صلى الله عليه وسلم اعتقاد نصرته والذب عن سنته و
الانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام
ذكر المحبوب وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق
الى المحبوب وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب
يحب ما احب ويكره ما كره وقال اخر المحبة ميل القلب
الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة
دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان
وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة
واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او
لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة

شريفه

شريفة كحب الصالحين والعلماء واهل المعروف والمأثور
عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان
مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم
لقوم والتشيع من امة فى اخرين ما يؤدى الى الجلاء عن الاوطان
وهتك الحرم واختزام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له
من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت النفوس
على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت الى هذه الاسباب
كلها فى حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه صلى الله عليه وسلم
جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة
والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما ذكر
من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه
على امته فكذلك قد مر منه فى اوصافه الله تعالى له من رأفته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم
به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
ويتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم فاى احسان اجل قدرا واعظم
خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين واى افضال اعم منفعة
واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم
الى الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم الى الفلاح والكرامة
ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم
والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك
انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية

شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه
انفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان
يحب من منحه فى دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه
من هلكة او مضرة مدة التاذى بها قليل منقطع فمن منحه
ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يعنى من عذاب الجحيم اولى بالحب
واذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر
من قوام طريقته او قاض بعيد الدار لما يشاد من عمله او كرم
شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال احق
بالحب واولى بالميل وقد قال على رضى الله عنه فى صفته
صلى الله عليه وسلم من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة
احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه كان لا يصرف بصره
عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم فصل فى وجوب
منا صحته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم قال
اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين فى السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد
بقراءتى عليه حدثنا حسين بن محمد حدثنا يوسف بن
عبد الله حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا ابو بكر التمار حدثنا
ابو داود حدثنا احمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا
سهيل ابن ابى صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله

قال لله

قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال
ايمتنا رحمهم الله النصيحة لله ورسوله وايمة المسلمين
وعامتهم واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحه
كلمة يعبّر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن
ان يعبّر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة
الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه
وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح فعل الشيء الذي به
الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي
يخاط به الثوب وقال ابو الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى
صحة الاعتقاد له بالوحدانيّة ووصفه بما هو اهله
وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابّه والبعد عن
مساخطه والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان
به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له
وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تاويل الغالين
وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم
التصدق بنبوّته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قاله
ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته ونصرته وحمايته حيا
وميتا واحياء سنّته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق
باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي
نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به
والاعتصام بسنّته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله
والى كتابه والى رسوله واليها والى العمل بها وقال احمد بن محمد
من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ابو بكر الاجرى وغيره النصح له يقتضى نصحين
نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر
والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له
وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون
الله ورسوله الاية واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته
فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على
تعلم سنته والتفقه فى شريعته ومحبة آل بيته واصحابه
ومجانبة من رغب عن سنته والحرف عنها وبغضه والتحذير منه
والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه وسيره وادابه
والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى
ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام
ابو القاسم القشيرى ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان
ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رؤى فى النوم فقيل له
ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا فقال صعدت ذروة
جبل يوما فاشرفت على جنودى فاعجبتنى كثرتهم فتمنيت
انى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته
فشكر الله لى ذلك وغفر لى واما النصح لائمة المسلمين ٦
فطاعتهم فى الحق ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه
على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه وكتم عنهم
من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس
وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم
الى مصالحهم ومعونتهم فى امر دينهم ودنياهم بالقول

والفعل

والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم
وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم
الباب الثالث فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله
ويا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الايات
الثلاث وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه
قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد يعزروه يبالغوا فى
تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبرى تعينونه
وقرئ تعزروه بزائين ونهى عن التقدم بين يديه بالقول
وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو
اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول
واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل
بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشئ فى ذلك من قال
اوغيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول
الحسن ومجاهد والضحاك والسدى والثورى ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم
قال الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم وقال السلمى اتقوا الله
فى اهمال حقه وتضييع حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم
ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر
بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى بعضهم بعضا باسمه

قال ابو محمد المحلى لا تسابقوه بالكلام وتخاطبوه بالخطاب ولا تناجوه باسمه ع

نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه وناجوه باشرف ما يجب ان ينادى به يا رسول الله يا نبى الله وهذا كقوله فى الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التأويلين وقال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله عز وجل بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية فى وفد بنى تميم وقيل فى غيرهم اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى فى محاورة كانت بين ابى بكر وعمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبى صلى الله عليه وسلم فى مفاخرة بنى تميم وكان اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام فى منزله وخشى ان يكون حبط عمله ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله لقد خشيت ان اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروى ان ابا بكر لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخى السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخى السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه فانزل الله تعالى فيهما ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله فاولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل

نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فى غير بنى تميم نادوه
باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبى صلى الله عليه وسلم
فى سفر اذ ناداه اعرابى بصوت له جهورى يا محمد يا محمد فقلنا له
اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال
الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين
هى لغة كانت فى الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبى صلى الله
عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك فنهوا عن قولها
اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى
على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبى صلى الله عليه وسلم
بالرعونة فنهى المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه
بهم فى قولها لمشاركة اللفظ وقيل غير هذا فصل فى عادة الصحابة
فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره واجلاله حدثنا القاضى
ابو على الصدفى وابو بحر الاسدى بسماعى عليهما فى اخرين
قالوا حدثنا احمد بن عمر حدثنا احمد بن الحسن حدثنا محمد بن
عيسى حدثنا ابراهيم بن سفيان حدثنا مسلم حدثنا محمد بن
مثنى وابو معن الرقاشى واسحاق بن منصور قالوا حدثنا
الضحاك ابن مخلد حدثنا حيوة بن شريح حدثنى يزيد بن ابى
حبيب عن ابن شماسة المهرى قال حضرنا عمرو بن العاصى
فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الى
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل فى عينى منه وما كنت
اطيق ان املأ عينى منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما
اطقت لانى لم اكن املاء عينى منه وروى الترمذى عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه

من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع
احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه
وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى
اسامة بن شريك قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
حوله كانما على رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم
اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود
حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وراى من تعظيم اصحابه له ما رآى وانه لا يتوضأ
الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا
ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم
واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم
بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش
اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه
واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه
وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم
محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس
لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
وقد اطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد
رجل ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت
حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
الي وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه
وكانوا يهابونه ويوقرونه فساله فاعرض عنه اذ طلع طلحة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما
وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت
اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاوخره
سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال
حيوته وذلك عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه
وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم
اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن
متى ذكره او ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن
من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه
لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي
ابو الفضل رحمة الله وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح
وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم
وغير واحد فيما اجازونيه قالوا انبأنا ابو العباس احمد بن
عمر بن دلهاث حدثنا ابو الحسن علي بن فهر حدثنا ابو بكر
محمد بن احمد بن الفرج حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب
حدثنا يعقوب ابن اسحق بن ابي اسرائيل حدثنا ابن حميد

قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لاترفع
صوتك فى هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال
لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الاية ومدح قوما فقال
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا
كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله
استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك
ووسيلة ابيك آدم عليه الصلوة والسلام الى الله تعالى
يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال
الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقال مالك
وقد سئل عن ايوب السختيانى ما احدثكم عن احد الا وايوب
افضل منه قال وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه
غير انه كان اذا ذكر النبى صلى الله وسلم بكى حتى ارحمه فلما
رأيت واجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال
مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم
يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما
فى ذلك فقال لو رأيتم ما رأيت لما انكرتم على ما ترون لقد كنت
ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث
ابدا الا يبكى حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد وكان
كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبى صلى الله
عليه وسلم اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت
راه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقراء
القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين
يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر
النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه الدم
وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد كنت اتى عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت
الزهري وكان من اهناء الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت
اتى صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه
ويتركوه وروى عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه
العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستملياً
يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين
ربما يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم
خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله
عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي ويتأول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب
عند سماع قوله صلى الله عليه وسلم تسليما **فصل** في سيرة
السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسنته **حدثنا** حسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو الفضل

بن خيرون حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن
الدارقطني حدثنا علي بن مبشر حدثنا احمد بن سنان القطان
حدثنا يزيد بن هارون حدثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته
يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما
فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله
او فوق ذا او ما دون ذا او قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه
وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ابراهيم بن
عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس
على ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا
اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسئله عن حديث
وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن
فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا مضطجع وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك
فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال
ابو مصعب كان مالك ابن انس لا يحدث بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى
ذلك مالك عن جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان
مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضأ وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل
عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال

وقال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية
فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان
قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل فاغتسله
واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم
ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها
وعليه الخشوع ولا يزال يتخبر بالعود حتى يفرغ من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يجلس على تلك
المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة
متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم او وهو
مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء
ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا احب ان يحدث وهو على
غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة قال
عبد الله المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب
ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق
الناس عنه قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا
قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن
حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وساله

جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم فامر بحبسه
فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن
غازي سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا
ثم اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني
سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث
لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ
احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث
الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء
تيمم فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بآله
وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما خص عليه صلى الله
عليه وسلم وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله
تبارك وتعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا وقال تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا
الشيخ ابو محمد ابن احمد العدل من كتابه وكتبت من اصله حدثنا
ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم ابنة الشيخ ابي بكر
الخفاف قالت حدثني ابي حدثنا حاتم هو ابن عقيل حدثنا يحيى
هو ابن اسماعيل حدثنا يحيى هو الحماني حدثنا وكيع عن ابيه
عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي
ثلثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل
وآل العباس وقال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان
اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف
تخلفوني فيهما وقال صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد

براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد
امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم بذلك عرف
وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر ابن ابى سلمة لما نزلت
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وذلك
فى بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم كساء
وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابى وقاص لما نزلت آية المباهلة
دعا النبى صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا
وفاطمة رضى الله عنهم وقال اللهم هؤلاء اهلى وقال
النبى صلى الله عليه وسلم فى على من كنت مولاه فعلى مولاه
اللهم وال والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن
ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل
قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله ومن اذى عمى فقد
اذانى وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد على يا عم
مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا عمى وصنوابى
وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار كستر ايا هم فامنت اسكفة
الباب وحوايط البيت امين امين وكان ياخذ بيد اسامة
بن زيد والحسن ويقول اللهم انى احبهما فاحبهما وقال
ابو بكر رضى الله عنه ارقبوا محمدا فى اهل بيته وقال ايضا والذى
نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الله
من احب حسنا وقال من احبنى واحب هذين واشار الى الحسن
وحسين وابا هما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيمة
وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال

وحسينا

قدّموا قريشا ولا تقدّموها وقال صلى الله عليه وسلم
لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحرث رأيت
ابا بكر رضى الله عنه وجعل الحسن رضى الله عنه على
عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي
يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت
عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة
فارسل الي واكتب الي فاني استحيي من الله ان اراك على بابي
وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له
بغلته ليركبها فجاءه ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد
خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء
فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت
نبينا وراى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا غلامي
فقيل له هو محمد بن اسامة نطأطأ ابن عمر رأسه وتقرر بيده
الارض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولاها
يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها
بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه
وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض
عمر بن الخطاب رضى الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف
ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف وخمس مائة قال عبد الله
لابيه لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له لان
زيدا كان احب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك

واسامة احبّ اليه منك فاثرت حبّ رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم على حبّي وبلغ معاوية انّ كابس بن ربيعة يشبّه
برسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلمّا دخل عليه من باب الدّار
قام عن سريره وتلقّاه وقبّل بين عينيه واقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وروى انّ مالكا
رحمة الله لمّا ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل
مغشيّا عليه دخل عليه النّاس فافاق فقال اشهدكم انّي
جعلت ضاربي في حلّ فسئل بعد ذلك فقال خفت ان اموت
فالقى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فاستحيي منه ان يدخل بعض آله
النّار بسببي وقيل انّ المنصور اقاده من جعفر فقال له اعوذ بالله
والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته لقرابته
من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وقال ابو بكر ابن عيّاش
لو اتاني ابو بكر وعمر وعليّ لبدأت بحاجة عليّ قبلهما لقرابته
من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولانّ اخرّ من السّماء الى الارض
احبّ اليّ من ان اقدّمه عليهما وقيل لابن عبّاس مات فلانة
لبعض ازواج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فسجد فقيل له اتسجد
هذه السّاعة فقال ليس قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
اذا رأيتم آية فاسجدوا واىّ آية اعظم من ذهاب ازواج النّبيّ
صلّى الله عليه وسلّم وكان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران
امّ ايمن مولاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويقولان كان النّبيّ
صلّى الله عليه وسلّم يزورها ولمّا وردت حليمة السّعديّة
النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بسط لها رداءه وقضى حاجتها
فلمّا توفّي صلّى الله عليه وسلّم وفدت على ابي بكر وعمر

فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره صلى الله عليه
وسلم وبره توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء
بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين
وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في
احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان
بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج
اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه
امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي
فامسكوا وقال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي ابو علي حدثنا
ابو الحسين ابو الفضل حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا الترمذي حدثنا الحسن
بن الصباح حدثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن
عبد الملك بن عمير عن ربعي ابن حراش عن حذيفة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من
بعدي ابي بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح

الطعام

الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى
لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم
فببغضى ابغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد
اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال لا تسبوا اصحابى
فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
وقال من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابى فامسكوا
وقال فى حديث جابر ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين
سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم اربعة ابا بكر وعمر
وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى وفى اصحابى كلهم خير
وقال من احب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى
وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له
فى فئ المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم
الاية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى
ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من
كانتا فيه نجا الصدق وجب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
قال ايوب السختيانى من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب
عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله
ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء
على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق
ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم
جميعا ويكون قلبه سليما وفى حديث خالد بن سعيد

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر
فارضوا له ذلك ايها الناس اني راض عمر وعن علي وعن عثمان
وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
فارضوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية
يا ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطا
لبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا
وقال رجل للعافي بن عمران ابن عمر بن عبد العزيز من معاوية
فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
احد معوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله
واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه
وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم
في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال
احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم
حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلا الله
منه ومن تخلا الله منه يوشك ان يأخذه وعنه صلى الله
عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة
وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني
في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك
هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به
وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم
ويستغفر كالموجع لهم وبذلك امر الله تعالى وامر النبي
صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم
وروى عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له
يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول
عليه الصلاة والسلام من لم يوقر اصحابه ولم يعزر اوامره فصل
ومن اعظامه واكباره صلى الله عليه وسلم اعظام جميع
اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة و
معاهده وما لمسه عليه الصلاة والسلام او عرف به
صلى الله عليه وسلم وروى عن صفية بنت بحدة قالت
كان لابي محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها
اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها
وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت
في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم
فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر
عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها
فقال لم افعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى
الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها وتقع في ايدي المشركين
وروى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم
من المنبر ثم وضعها على وجهه وفي معناه انشدوا وما حب
الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا ولهذا كان مالك
رحمة الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطأ
تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروى
عنه انه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي
امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد
الرحمن السلمي عن احمد بن فضلوية الزاهد وكان من الغزاة الرماة

انه قال ما مسست القوس بيدى الا على طهارة منذ بلغنى ان
النبى صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك
فيمن قال تربة المدينة رديئة بضرب ثلاثين درة وامر بحبسه
وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها
النبى صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفى الصحيح انه
صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة من احدث فيها حدثا
او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وحكى ان جهجاها الغفارى
اخذ قضيب النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله
عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته
الاكلة فى ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله
عليه وسلم من خلف على منبرى كاذبا فليتبوأ مقعده
من النار وحدث ان ابا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة
زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشأ يقول متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظرى ... قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطى بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك فقال
العبد الابق لا يأتى بيت مولاه راكبا لو قدرت ان امشى على رأسى

ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وجدير
لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل • وتردد بها جبريل وميكائيل
وعرجت منها الملائكة والروح • وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر • وانتشر عنها من دين الله و
سنة رسوله ما انتشر • مدارس ايات • ومساجد صلوات • ومشاهد
الفضائل والخيرات • ومعاهد البراهين والمعجزات • ومناسك الدين
ومشاعر المسلمين • ومواقف سيد المرسلين • ومتبرء خاتم النبيين
حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها • ومواطن مهبط الرسالة واول
ارض مس جلد المصطفى ترابها • ان تعظم عرصاتها • وتتنسم نفحاتها
وتقبل ربوعها وجدرانها والتثم

يا دار خير المرسلين ومن به هدى الانام وخص بالايات
عندي لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهد ان ملأت محاجري من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من خفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية قال ابن عباس
معناه ان الله وملائكته يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم
على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلاة الترحم

فهي من الله رحمة والملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى
وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس
ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال
بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي
صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة مكرمة وقال ابو العالية
صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ
البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به
عباده فقال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي
صلى الله عليه وسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على النبي
صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي
معنى السلام عليه ثلاثة اوجه احدها السلامة لك ومعك
ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام
على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام
اسم الله تعالى الثالث ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد
كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

فصل اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة
عليه وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه
وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده على الندب

والدعي فيه

والمدعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب الذى
يسقط الحج وما ثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة
وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعا
اهله قال القاضى ابو الحسن ابن القصار المشهور عن اصحابنا
ان ذلك واجب فى الجملة على الانسان وفرض عليه ان يأتى به مرة
من دهره مع القدرة على ذلك وقال ابو بكر بن بكير افترض الله
عز وجل على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما
ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها
ولا يغفل عنها وقال القاضى ابو محمد ابن نصر المالكى الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة فى الجملة قال القاضى
ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم
من اهل العلم ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين فى الصلاة وان من صلى
عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب
الشافعى الفرض منها الذى امر الله سبحانه به وسوله صلى الله
عليه وسلم هو فى الصلاة وقالوا اما فى غيرها فلا خلاف
انها غير واجبة واما فى الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر
الطبرى والطحاوى وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين
من علماء الائمة على ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
فى التشهد غير واجبة وشذ الشافعى فى ذلك فقال من
لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد
الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل
ذلك لم يجزه ولا سلف له فى هذا القول ولا سنة يتبعها

وقد بالغ فى انكار هذه المسألة عليه لما لفته فيها من
تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهما الطبرى
والقشيرى وغيرواحد وقال ابو بكر ابن المنذر رحمة الله
تعالى يستحب ان لا يصلى احد صلاة الا صلى فيها على النبى
صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزئة
فى مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثورى واهل
الكوفة من اصحاب الرأى وغيرهم وهو قول جل اهل العلم
وحكى عن مالك وسفيان انها فى التشهد الاخير مستحبة
وان تاركها فى التشهد مسئ وشذ الشافعى فاوجب على تاركها
فى الصلاة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها
دون النسيان وحكى ابو محمد ابن ابى زيد عن محمد بن المواز
ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فريضة قال
ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة وقال محمد بن عبد الحكم
وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان محمد ابن المواز
يراها فريضة فى الصلاة كقول الشافعى وحكى ابو يعلى العبدى
المالكى عن المذهب فيها ثلاثة اقوال فى الصلاة الوجوب والسنة
والندب وقد خالف الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره
الشافعى فى هذه المسألة قال الخطابى وليست بواجبة
فى الصلاة وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعى ولا اعلم له
فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلاة عمل
السلف الصالح قبل الشافعى واجماعهم عليه وقد
شنع الناس عليه فى هذه المسئلة جدا وهذا تشهد
ابن مسعود الذى اختاره الشافعى وهو الذى علمه النبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم
كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري
وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير لم يذكروا فيه صلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان
النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة
من القرآن ونحوه عن ابي سعيد وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا
التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل على
قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل على مرة في عمره
وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي
حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه
قال الدارقطني الصواب انه من قول ابي جعفر محمد بن علي بن
الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبي صلى الله
عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم فصل
في المواطن التي تستحب فيها الصلاة والتسليم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة
كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي
ابو علي بقراءتي عليه حدثنا الامام ابو القاسم البلخي حدثنا
الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي عيسى الحافظ
حدثنا محمود ابن غيلان حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ
حدثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن

مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبي
صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل
هذا ثم دعاه [illegible] فليبدأ بتحميد الله
والثناء [illegible] ي صلى الله عليه وسلم ثم
ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله
وهو اصح وعن عمر بن الخطاب الدعاء والصلاة معلق
بين السماء والارض لا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم بمعناه وقال وعلى ال محمد وروى ان الدعاء محجوب
حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود
اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيئا فليبدأ بمدحه والثناء
عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يسأل فانه احدران ينجح وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب
يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب
شربه او الوضوء توضأ والا هراقه ولكن اجعلوني في اول
الدعاء واوسطه واخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان
واجنحة واسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق
اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق
اسبابه الخ فاركانه حضور القلب والرقة والاستكانة
والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب
واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة

على محمد

على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين
الصلاتين على لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب
دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء وفي
دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب
دعائي ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت
على احد من خلقك اجمعين آمين ومن مواطن الصلاة
عند ذكره او سماع اسمه او كتابته او عند الاذان وقد قال
صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وذكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال
لا يصلى عليه الا على سبيل الاحتساب وطلب الثواب
وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله النبيحة
والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال
بعد ذكر الله صلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله
وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان يجعل الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن
اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة
عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد
قال ابو اسحاق ابن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله
ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك

وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله تعا
فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت
احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال
النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام على رسول الله و
اذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد
ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج
ابن شعبان لما ذكر بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا
دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام
والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف
في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة
على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن
الصلاة التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة
على النبي واله صلى الله عليه وسلم في الرسائل ومايكتب
بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث عند
ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم
من يختم به ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى
علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم

تشهد الصلاة

تشهد الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابرهيم المقرئ
الخطيب وغيره قال حدثتنى كريمة بنت احمد قالت حدثنا
ابو الهيثم حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل
حدثنا ابو نعيم حدثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن
عبد الله ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال
اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات
السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل
عبد صالح فى السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه
وسنته اولا التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان
يقول ذلك اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب
مالك فى المبسوط ان يسلم بمثل ذلك قبل السلام قال
محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما كانا
يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبى ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام
عليكم واستحب اهل العلم ان ينوى الانسان حين سلامه كل
عبد صالح فى السماء والارض من الملائكة وبنى آدم والجن
قال مالك فى المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول
السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين السلام عليكم فصل

فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والتسليم

حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن جعفر الفقيه بقراتى عليه حدثنا
القاضى ابو الاصبغ حدثنا ابو عبد الله ابن عتاب حدثنا

ابو بكر ابن واقد وغيره قالوا حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله
حدثنا مالك عن عبد الله بن ابى بكر ابن حزم عن ابيه عن
عمرو بن سليم الزرقى انه قال اخبرنى ابو حميد الساعدى
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على ال ابراهيم
وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم
انك حميد مجيد وفى رواية مالك عن ابى مسعود الانصارى
قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما صليت على آل
ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابراهيم فى العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفى رواية كعب بن
عجرة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك
على محمد وال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن
عقبة بن عمرو فى حديثه اللهم صل على محمد النبى الامى
وعلى ال محمد وفى رواية ابى سعيد الخدرى اللهم صل
على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضى
ابو عبد الله التميمى سماعا عليه وابو على الحسن بن طريف
النحوى بقراءتى عليه قالا حدثنا ابو عبد الله ابن سعدون
الفقيه حدثنا ابو بكر المطوعى حدثنا ابو عبد الله الحاكم
عن ابى بكر ابن دارم الحافظ عن على بن احمد العجلى عن حرب بن
الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد بن
على بن الحسين عن ابيه على عن ابيه الحسين عن ابيه على بن
ابى طالب قال عدهن فى يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عدهن فى يدى جبريل وقال هكذا نزلت من عند

دب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى
ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وترحم على محمد وعلى ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى
ال محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وسلم على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت فليقل اللهم صل على النبي وازواجه امهات
المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك
حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال
صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم بارك على
محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن
سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل
شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على محمد
عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن
الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع
بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا
لقابس الاء الله تصل باهله اسبابه هديت القلوب

بعد خوضات الفتن والاثم وانهج موضحات الاعلام وناثرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن
علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم افسح له فى عدنك وآجزه مضاعفات
الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك
المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء البناء
بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره وآجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضى المقالة ذا منطق
عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا فى الصلاة
على النبى صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون
على النبى الاية لبيك اللهم ربى وسعديك صلوات الله
البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وما سبح لك من شئ يا رب العالمين
على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام
المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى
اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله
بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد
عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل
على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصرى

يقول

يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده و
ازواجه وذريته واهل بيته وانصاره واشياعه
ومحبيه وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين
وعن طاووس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل
شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وانه سؤله فى الاخرة
والاولى كما اتيت ابرهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان
يقول فى دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه
واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا
افضل ما انت مسئول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه
كان يقول اذا صليتم على النبى صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا
اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير
وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابرهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد
ومايوثر فى تطويل الصلاة وتكثير الثناء عن اهل البيت
وغيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم
فى التشهد من قوله عليه الصلاة والسلام السلام عليك
ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وفى تشهد على رضى الله عنه السلام على نبى الله

السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام
على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات
من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا ورحمهما
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن
على الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلاة عليه عنه
ايضا قبل الدعاء له بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة
ولم يات في غيره من الاحاديث المرفوعة وقد ذهب ابو عمر بن
عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرحمة وانما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى
لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن ابي زيد في
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم
محمدا وال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم ولم يات
في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك
ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل في فضيلة
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه
والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه
حدثنا القاضي يونس بن مغيث حدثنا ابو بكر ابن
معوية حدثنا النسائي حدثنا سويد بن نصر حدثنا
عبد الله عن حياة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة
انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الرحمن بن

عمر

عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فانه
من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا لي الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو
ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وروى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط
عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب
له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم
ان جبريل ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله
عليه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن
بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال لي
اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن
صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة و
مالك بن اوس بن الحدثان وعبد الله بن ابي طلحة وعن
زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب عندك
يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود اولى الناس
يوم القيمة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت
عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك او ليكثر

وعن ابى بن كعب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله جاءت
الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه فقال ابى بن كعب
يا رسول الله انى اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك من
صلاتى قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت
فهو خير لك قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل
صلاتى كلها لك قال اذن تكفى ويغفر ذنبك وعن ابى طلحة
دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره
وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعنى وقد
خرج جبريل آنفا فاتانى ببشارة من ربى جاء الله تعالى
بعثنى اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلى عليك
الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر بن
عبد الله قال قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال حين
يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما
محمودا الذى وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة
وعن سعد بن ابى وقاص من قال حين يسمع المؤذن
وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا
عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام
دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة وفى بعض الآثار

ليردن على

ليردن على اقوام لا اعرفهم الا بكثرة صلاتهم على صلاة
وعن ابي بكر رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم احق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام
عليه افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم
يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وائمه حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي رحمة الله حدثنا ابو الفضل ابن خيرون
وابو الحسن الصيرفي قالا حدثنا ابو يعلى حدثنا السنجي
حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى حدثنا احمد بن
ابراهيم الدورقي حدثنا ربعي بن ابراهيم عن عبد الرحمن
بن اسحاق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان
ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر
فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال احدهما
وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر
فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك
فقال ان جبريل اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم
يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين
فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فمات
مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات
مثله وعن علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن
محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ طريق الجنة وعن
علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان البخيل
كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة
قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا
مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله
عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء
غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلاة علي نسي طريق
الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء
ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه صلى الله
عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عنه على غير صلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح
الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله
عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون
من الثواب وحكى ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم
قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس
اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس فصل في تخصيصه
عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه
او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
حدثنا الحسين بن محمد حدثنا ابو عمر الحافظ حدثنا
ابن عبد المؤمن حدثنا ابن داسة حدثنا ابو داود وحدثنا
ابن عوف حدثنا المقري حدثنا حيوة عن صخر حميد بن زياد
عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله
علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن
مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي
السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام
على نبيكم كل جمعة فانه يوتى به منكم في كل جمعة وفي رواية
فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها
وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا
علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس ليس احد من امة محمد
صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر
بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم
عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا
علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم وفي حديث
اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة
علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسئلون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن شهاب
بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة
علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم
وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي

الا حملها ملك حتى يؤديها الى ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا
يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلاة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم
السلام قال القاضي ابو الفضل وفقه الله عامة اهل العلم
متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم
وروى عن ابن عباس انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وروى عنه لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين
وقال سفيان يكره ان يصلي الا على نبي ووجدت بخط بعض
شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من
الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا غير معروف
من مذهبه وقد قال مالك في المبسوط ليحيى بن اسحق
اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا
به قال يحيى بن يحيى لست اخذ بقوله ولا بأس بالصلاة
على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء
في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه
وفيه وعلى ازواجه وعلى اله وقد وجدت معلقا عن ابي
عمران الفاسي روى عن ابن عباس كراهة الصلاة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول ولم تكن ٦
تستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله
ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن
عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم
والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح

اواجماع وقد قال تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته وقال
خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الاية
وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبى
صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى وكان اذا اتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفى حديث الصلاة
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفى آخر وعلى ال محمد
قبل اتباعه وقبل امته وقبل آل بيته وقبل الاتباع والزهط
والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه وقيل اهله الذين
حرمت عليهم الصدقة وفى رواية انس سئل النبى صلى الله
عليه وسلم من ال محمد قال كل تقى ويجئ على مذهب الحسن
ان المراد بال محمد محمد نفسه فانه كان يقول فى صلاته على النبى
صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل
احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتى بالنفل لان
الفرض الذى امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل
قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتى مزمارا من مزامير آل داود
يريد من مزامير داود وفى حديث ابى حميد الساعدى فى الصلاة
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفى حديث ابن عمر
انه كان يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر
ذكره مالك فى الموطاء من رواية يحيى الاندلسى والصحيح من رواية
غيره ويدعو لابى بكر وعمر وروى ابن وهب عن انس بن مالك
قال كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك
على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار قال المؤلف والذى ذهب اليه المحققون واميل اليه

ما قاله مالك وسفيان وروى عن ابن عباس واختاره غير
واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء
عند ذكرهم بل هو شئ يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيرا
كما يختص الله تعالى عند ذكره والتنزيه بالتقديس والتعظيم
ولا يشاركه فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبى صلى الله عليه
وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم
كما امر الله تعالى به لقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر
من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين
اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا
فى الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة
والمتشيعة فى بعض الائمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة
وساووهم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وايضا فان التشبه
باهل البدع منهى عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك
وذكر الصلاة على الال والازواج مع النبى صلى الله عليه وسلم
بحكم التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبى
صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء والمواجهة
ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب ان يكون
الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا اختيار
الامام ابى المظفر الاسفرايينى من شيوخنا وبه قال ابو عمر ابن
عبد البر فصل فى حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام
وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة

قبره

قبره عليه الصلاة والسلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها
وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه
وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا القاضي
ابو علي حدثنا ابو الفضل ابن خيرون حدثنا ابو الحسن
علي بن عمر الدارقطني حدثنا القاضي المحاملي حدثنا محمد بن
عبد الرزاق حدثنا موسى ابن هلال عن عبيد الله بن عمر
عن نافع عن ابن عمر فذكره وعن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كنت له في جواري
وكنت له شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي
فكأنما زارني في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة
الاسم لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور
وهذا بردة قوله نهيتم عن زيارة القبور فزوروها وقوله من
زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر
افضل من المزور وهذا ايضا ليس بشئ اذ ليس كل زائر بهذه
الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم جل وعز ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى والاولى
عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم وانه لو قال زرنا النبي لم يكرهه لقوله
صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا
للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن ابراهيم

الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد
الى الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك
برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه و
مواطئ قدميه والعمود الذى كان يستند اليه وينزل جبريل
بالوحى فيه عليه ومن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين
والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابى فديك سمعت بعض من ادركت
يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم
فتلى هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبى ثم قال
صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك
صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن
ابى سعيد المهرى قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته
قال لى اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله
عليه وسلم فاقرئه منى السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد
من الشام قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله
عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة
فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك
فى رواية ابن وهب اذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم
ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم
ولا يمس القبر بيده وقال فى المبسوط لا ارى ان يقف عند
قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضى
قال ابن ابى مليكة من اجبان يقوم وجاه النبى صلى الله عليه
فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على راسه وقال
نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر يجئ

الى القبر

الى القبر فيقول السلام على النبى السلام على ابى بكر السلام
على ابى حفص ثم ينصرف وفى الموطاء من رواية يحيى بن يحيى
الليثى انه كان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيصلى
على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر وعند ابن القاسم
والقعنبى ويدعو لابى بكر وعمر قال مالك فى رواية ابن وهب
يقول المسلم السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته قال
فى المبسوط ويسلم على ابى بكر وعمر قال القاضى ابو الوليد الباجى
وعندى انه يدعو للنبى صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة
ولابى بكر وعمر كما فى حديث ابن عمر من الخلاف وقال ابن حبيب
ويقول اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله
وسلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام السلام علينا
من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى
وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك واحفظنى من الشيطان الرجيم
ثم اقصد الى الروضة وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين
قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه
والعون عليه وان كانت ركعتاك فى غير الروضة اجزأتاك
وفى الروضة افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى
ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على ترعة من ترع
الجنة ثم يقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلى عليه وتثنى
بما يحضرك وتسلم على ابى بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من
الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار
ولا تدع ان تاتى مسجد قبا وقبور الشهداء قال مالك فى كتاب
محمد ويسلم على النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج

يعني في المدينه وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل اخر عهده
الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافراً وروى ابن وهب
عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصلي على النبي صلى الله
عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك
واذا خرجت فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فيسلم
مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسالك من
فضلك وفي اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم
وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد
صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا
يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضاً كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد
وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله
وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله
وفي رواية بسم الله والسلام على رسول الله وعن غيرها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم
افتح لي ابواب رحمتك ويسرلها ابواب رزقك وعن ابي هريرة
اذا دخل احدكم المسجد فليصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من
دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر
وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضاً لا بأس لمن قدم من سفر

او خرج

او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم
فيصلى عليه ويدعو له ولابى بكر وعمر فقيل له فان ناسا
من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك
فى اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا يا الجمعة او فى الايام المرة و
المرتين او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغنى
هذا عن احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح اخر
هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول هذه الامة
وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده
قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوا
اتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيى قال الباجى ففرق بين
اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة
مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم وقال صلى الله
عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله
على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبرى
عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر لا يلصق
به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفى العتبية يبدأ بالركوع
قبل السلام فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم واحب مواضع
التنفل فيه مصلى النبى صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق
واما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب
الى من التنفل فى البيوت فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبى
صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه وفضله
وفضل الصلاة فيه وفى مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى

من اول يوم احق ان تقوم فيه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
سئل اى مسجد هو قال مسجدى هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن
ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم وعن ابن عباس انه
مسجد قباء حدثنا هشام بن احمد الفقيه بقراءتى عليه حدثنا
الحسين بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر النمرى حدثنا ابو محمد ابن
عبد المؤمن حدثنا ابو بكر ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا
مسدد حدثنا سفيان عن الزهرى عن سعيد المسيب عن ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة
مساجد مسجد الحرام ومسجدى هذا ومسجد الاقصى وقد
تقدمت الاثار فى الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه
وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصى
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ
بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان
الرجيم وقال مالك رحمة الله سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه
صوتا فى المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف
قال لو كنت من هاتين القريتين لاوجعتك بالدرة انا مسجدنا
لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغى لاحد ان يعتمد
المسجد برفع الصوت ولا بشئ من الاذى وان ينزه عما يكره
قال المؤلف رحمة الله حكى ذلك كله القاضى اسماعيل فى مبسوطه
فى باب فضل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم
متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضى اسماعيل
وقال محمد بن مسلمة ويكره فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلاتهم وليس

مما يخص به

مما يخص به المساجد رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية
في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجدنا قال ابو هريرة عنه
صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة
فيما سواه الا المسجد الحرام قال المؤلف رحمه الله اختلف الناس
في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة
والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع
صاحبه وجماعة اصحابه ان معنى الحديث ان الصلاة في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة في سائر المساجد
بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف واحتجوا
بما روى عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام خير من مائة
صلاة فيما سواه فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل المدينة على
مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك واكثر المدنيين
وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول عطاء
وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن
الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان
الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا الحديث عبد الله بن
الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة
وفيه وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي
هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة
في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد بمائة الف
ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض قال القاضي

ابو الوليد الباجى الذى يقتضيه الحديث مخالفة حكم مكة
لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب
الطحاوى الى ان هذا التفضيل انما هو فى صلاة الفرض وذهب
مطرف من اصحابنا الى ان ذلك فى النافلة ايضا قال وجمعة خير
من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق
فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال
صلى الله عليه وسلم ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض
الجنة ومثله عن ابى هريرة وابى سعيد وزاد او منبرى على حوضى
وفى حديث آخر منبرى على ترعة من ترع الجنة قال الطبرى
فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر
مع انه روى ما بين بيتى بين حجرتى ومنبرى والثانى ان البيت
هنا القبر وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث كما روى
بين قبرى ومنبرى قال الطبرى واذا كان قبره فى بيته
اتفقت معانى الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره فى حجرته
وهو بيته وقوله ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه منبره
بعينه الذى كان فى الدنيا وهو اظهر والثانى ان يكون له هناك
منبر والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى
وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه
موجب لذلك وان الدعاء والصلاة فيه تستحق ذلك
من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثانى
ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله
الداودى وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها
احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال فيمن تحمل
عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال انما المدينة
كالكير تنفي خبثها ويصفو طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة
رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروى عنه صلى الله
عليه وسلم من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه
الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر
بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن عمر عنه صلى الله
عليه وسلم من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها
فاني اشفع لمن يموت بها وقال الله تعالى ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار
وقيل كان يأمن من التطلب من احدث حدثا ويلجأ اليه في
الجاهلية وهذا مثل قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس
وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني
بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج
ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه
ومن حج ثانية داين ربه فينادى غدا ملك من عند الله
من كان عند الله دين فليقم ومن حج ثلاث حجج حرم الله
شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله
عند الركن الاسود الا استجاب له وكذلك عند الميزاب

وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من
الامنين قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمة الله حدثك
ابو العباس العذري حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد
الهروي حدثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسن محمد بن
الحسن بن رآشد سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي
قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار
قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما دعى احد بشئ في هذا الملتزم الا
استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشئ في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا دعوت الله بشئ في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال
سفيان وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما دعوت الله
بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي
وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم
منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن
محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشئ في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة
وما اذكر الحسن ابن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله
بشئ في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق
الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من امر الاخرة

قال القاضي ابو الفضل

قال العذرى وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على وانا فقد
دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى بعضها وارجو من
سعة فضله ان يستجيب لى بقيتها قال المؤلف رحمة الله
ذكرنا بذا من هذه النكت فى هذا الفصل وان لم تكن من الباب
لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا على تمام الفائدة
والله الموفق للصواب برحمته القسم الثالث
فيما يجب للنبى صلى الله عليه وسلم وما يستحيل فى حقه
او يجوز عليه وما يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف
اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
افان مات او قتل الاية وقال ما المسيح ابن مريم الا رسول
قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام
وقال وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام
ويمشون فى الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الاية
فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام
من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس مقاومتهم
والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا اى لما كان الا فى صورة البشر الذين يمكنكم
مخاطبتهم اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
اذا كان على صورته وقال قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا الاية اى لا يمكن
فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله
واصطفاه وقواه على مقاومته كالانبياء والرسل فالانبياء

والرسل وسائط بين الله تعالى وبين خلقه يبلغونهم اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره
وخلقه وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم
واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ عليها
ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء
ونعوت الانسانية وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من
اوصاف البشر متعلقه بالملاء الاعلى متشبهة بصفات
الملائكة سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية
كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم
ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر
لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول
الله تعالى فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر
ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذاً من امتي خليلاً لاتخذت ابا بكر
خليلاً ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم خليل الرحمن
وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني
اظل عند ربي يطعمني ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الافات
مطهرة من النقائص والاعتلالات وهذه جملة لن يكتفي
بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل
على ما يأتي بعد في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة

نبينا عليه الصلاة والسلام وسائر الانبياء صلوات الله
عليهم اجمعين قال القاضي ابو الفضل رحمة الله اعلم ان الطوارئ
من التغيرات والافات على احاد البشر لا تخلوا ان تطرا على جسمه
او على خواسه بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او
تطرا بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى
رسم المشائخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول
باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرا عليهم الافات
والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها
والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت
كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات
التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء
الله فيما نأتي به من التفاصيل فصل في حكم عقد
قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله
واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله
وصفاته والايمان به وبما اوحى اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشئ من ذلك والشك
او الريب فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين
هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة
ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول
ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك
ابراهيم عليه السلام في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى
ولكن اراد طمانينة القلب وترك المنازعة بمشاهدة الاحياء

فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثانى بكيفيته
ومشاهدته الوجه الثانى انّ ابراهيم عليه السلام انّما اراد
اختيار منزلته عند ربّه وعلم اجابة دعوته بسؤال ذلك
من ربّه ويكون قوله تعالى اولم تؤمن اى الم تصدق بمنزلتك
منّى وخلّتك واصطفائك الوجه الثالث انّه سأل زيادة
يقين وقوة طمأنينة وان لم يكن فى الاول شكّ اذ العلوم
الضرورية والنظرية قد تتفاضل فى قوتها وطريان التشكك
على الضروريات ممتنع ومجوّز فى النظريات فاراد الانتقال من النظر
او الخبر الى المشاهدة والترقى من علم اليقين الى عين اليقين
فليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال سهل بن عبد الله سألت كشف
غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكّنا فى حاله الوجه الرابع
انّه لمّا احتجّ على المشركين بان ربّه يحيى ويميت طلب ذلك
من ربّه ليصحّ احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم
هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرنى على احياء الموتى وقوله
ليطمئنّ قلبى عن هذه الامنية الوجه السادس انّه ارى نفسه
الشكّ وما شكّ لكن ليجاوب فيزداد قربه وقول نبيّنا
صلّى الله عليه وسلّم نحن احقّ بالشكّ من ابراهيم نفى لان ابراهيم
شكّ وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظنّ هذا بابراهيم اى نحن
موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شكّ ابراهيم لكنّا اولى
بالشكّ منه امّا على طريق الادب او ان يريد امّته الذين
يجوز عليهم الشكّ او على طريق التواضع والاشفاق ان حملت
قصّة ابراهيم على اختيار حاله او زيادة يقينه فان قلت
فما معنى قوله تعالى فان كنت فى شكّ مما انزلنا اليك

فسأل الذين

فسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين فاحذر ثبت الله
قلبك ان يخطر ببالك ماذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس
اوغيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحى
اليه وانه من البشر فمثل هذا لايجوز عليه جمله بل قد قال
ابن عباس وغيره لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يسأل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين
على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد قل يا محمد للشاك
ان كنت في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها ما يدل على
هذا التأويل قوله تعالى قل يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله
عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له
والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره
كثير كما قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب
فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على
ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن
فاسئل به خبيرا المامور ها هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم
يسأل النبي والنبي عليه الصلوة والسلام هو الخبير المسؤل
لا المستخبر السائل وقال ان هذا الشك الذي امر غير النبي
بسؤال الذين يقرؤن الكتاب انما هو فيما قصه الله تعالى
من اخبار الامم لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ومثل
هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا الاية

المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه
وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا فحذف
الخافض وثم الكلام ثم ابتدأ اجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون على طريق الانكار اى ما جعلنا حكاه مكي وقيل
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء
عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى السؤال فروى
انه قال لا اسأل قد كفيت قاله ابن زيد وقيل اسئل امم
من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد
والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه
صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل وانه تعالى لم يأذن
لاحد في عبادة غيره ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك قوله تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اى في علمهم بانك رسول الله وان لم
يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد
يكون ايضا على مثل ما تقدم اى قل لمن امتري يا محمد في ذلك
لا تكونن من الممترين بدليل قوله في اول الاية افغير الله
ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب
بذلك غيره وقيل تقرير كقوله انت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك
فاسال تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك وقيل ان كنت
تشك فيما شرفناك وعظمناك به فاسالهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضائلك وحكى عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك

من غيره

من غيرك فيما انزلناه فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيأس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى
فى ذلك ما قالته عائشة معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها
وانما معنى ذلك الرسل لما استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر
من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل الضمير
فى ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل وهو قول
ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة من العلماء وبهذا المعنى
قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه
مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد فى
حديث السيرة ومبتداء الوحى من قوله صلى الله عليه وسلم
لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما اتاه الله
بعد رؤية الملك ولكن لعله خشى ان لا تحتمل قوته مقاومة
الملك واعباء الوحى فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد
فى الصحيح انه قال بعد لقائه للملك ويكون قبل لقياه الملك
واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب
وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روى
فى بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا فى المنام ثم ترى
فى اليقظة مثل ذلك تأنيسا له صلى الله عليه وسلم لئلا يفجاه
الامر مشاهدة ومشافهة فلا تحتمله لاول حالة بنية البشرية
وفى الصحيح عن عائشة اول ما بدئ به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه
الخلاء وقالت الى ان جاءه الحق وهو فى غار حراء الحديث وعن
ابن عباس مكث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة

يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثماني
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني
وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث عائشة
في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك الذي قال فانصرف
عني وهببت من نومي كأنما صورت في قلبي ولم يكن ابغض
الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث عني قريش بهذا ابدا
لاعمدن الى الخالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلاقتلنها
فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت منادي ينادي من السماء يا محمد
انت رسول الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على صورة
رجل وذكر الحديث فقد بين لك في هذا ان قوله لما قال
وقصده ما قصد انما كان قبل لقائه جبريل عليهما السلام
وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره واصطفائه له
بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرجيل انه صلى الله
عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء
وقد خشيت والله ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن
سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع
صوتا واراى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول
لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون
والفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان
كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله تعالى له
انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا صح طرقها واما
بعد اعلام الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب

ولا يجوز

ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى ابن اسحق عن شيوخه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة من العين
قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه ما كان يصيبه
فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال اما الآن فلا
وحديث خديجة واحتبارها امر جبريل بكشف رأسها الحديث
انما ذلك في حق خديجة لتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك وينزل الشك عنها لانها
فعلت ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ليختبر هو حاله بذلك
بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة
عن هشام عن ابيه عن عائشة ان ورقه امر خديجة ان
تختبر الامر بذلك وفي حديث اسماعيل ابن ابي حكيم انها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان
تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها
فقالت له أجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت
ما هذا شيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به
فهذا يدل على انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة
لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في فترة الوحي
فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا به مرارا كي
يتردى من رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل
لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من
حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف
مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم على انه قد يحمل
على انه كان في اول الامر كما ذكرناه وانه فعل ذلك لما اخرجه

من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً ويصح معنى هذا
التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل
عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
للتشاور في شأن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم
على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه
وتدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر
اوخاف ان الفترة لامر اوسبب منه فخشي ان تكون عقوبة
من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك
فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية
تكذيب قومه له لما اوعدهم به من العذاب وقول الله تعالى
في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه
قال مكي طمع في رحمة الله تعالى وان لا يضيق عليه مسلكة
في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة
وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد
وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه قال ابن زيد معناه افظن
ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي
ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضباً
الصحيح مغاضباً لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك
وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله
كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم السلام وقيل
مستحيياً من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد
في الخبر وقيل مغاضباً لبعض الملوك فيما امره به من التوجه

الى امرامر

الى ما امره الله به على لسان نبيّ اخر فقال له يونس غيرى اقوى
عليه منّى فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روى عن
ابن عبّاس انّ ارسال يونس و نبوّته انّما كان بعد ان نبذه
الحوت واستدلّ من الاية بقوله فنبذناه بالعرآء وهو سقيم
وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الاية ويستدلّ
ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وذكر القصّة
ثمّ قال فاجتباه ربّه فجعله من الصّالحين فتكون هذه القصّة
اذا قبل نبوّته فان قيل فما معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم
انّه ليغان على قلبى فاستغفر الله كلّ يوم مائة مرّة وفى طريق
فى اليوم اكثر من سبعين مرّة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون
هذا الغين وسوسة او ريبا وقع فى قلبه صلّى الله عليه وسلّم
بل اصل الغين فى هذا ما يتغشّى القلب ويغطيه قاله ابو عبيد
واصله من غين السّماء وهو اطباق الغيم عليها وقال غيره
والغين شئ يغشى القلب ولا يغطّيه كلّ التّغطية كالغيم
الرّقيق الّذى يعرض فى الهواء فلا يمنع ضوء الشّمس وكذلك
لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرّة او اكثر
من سبعين فى اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الّذى ذكرناه
وهو اكثر الرّوايات وانّما هذا عدد للاستغفار لا للغين
فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات
نفسه وسهوها عن مداومة الذّكر ومشاهدة الحقّ بما كان
صلّى الله عليه وسلّم دفع اليه من مقاسات البشر وسياسة
الامّة ومعاناة الاهل ومقاومة الولىّ والعدوّ ومصلحة
النّفس وكلّفه من اعباء اداء الرّسالة وجمل الامانة وهو

فى كل هذا فى طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن لما كان صلى الله
عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة
واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه
وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك ارفع
حاليه راى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها وشغله
بسواها غضا من على حاله وخفضا من رفيع مقامه ٭
فاستغفر الله تعالى من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام
حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا
للمستفيد محياه وهو مبنى على جواز الفترات والغفلات
والسهو فى طريق البلاغ على ما سياتى وذهبت طائفة من
ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبى
صلى الله عليه وسلم عن هذا جمله واجله ان يجوز عليه
فى حال سهو وفترة الى ان معنى الحديث ما يهجم خاطره ويغم
فكره من امر امته عليه الصلاة والتسليم لاهتمامه بهم وكثرة
شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا
على قلبه السكينة التى تغشاه لقوله تعالى فانزل سكينة
عليه ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها اظهارا
للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره وفعله
هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار وقال غيره و
يستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان يكون
هذه الاغانة حاله خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر
حينئذ شكرا لله تعالى وملازمة للعبودية كما قال

فى ملازمة العبادة

فى ملازمة العبادة افلا اكون عبداً شكوراً وعلى هذه الوجوه
الاخيرة يحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث عنه صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة
فاستغفر الله فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله
عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من
الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسئلنى ما ليس لك به علم
انى اعظك ان تكون من الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك
الى قول من قال فى اية نبينا صلى الله عليه وسلم لا تكونن
ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفى اية نوح لا تكونن
ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اثبات
الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء
والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم بسمات الجاهلين
كما قال تعالى انى اعظك وليس فى اية منها دليل على كونهم على
تلك الصفة التى نهاهم عن الكون عليها فكيف واية نوح
قبلها فلا تسألنى ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها
اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز اباحة السؤال
ابتداء فنهاه الله تعالى ان يسئله عما طوى عنه علمه واكنه
من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله تعالى
نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح حكى معناه مكى كذلك امر نبينا عليه الصلاة
والسلام فى الاية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض قومه
ولا يخرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه
ابو بكر ابن فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم

اى لا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكى وقال مثله فى القران
كثير فهذا الفصل يوجب القول بعصمة الانبياء منه بعد
النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله
تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره
منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع
من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحيوة الاية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع
اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشاء الله
يختم على قلبك وقوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله
يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم
وفقنا الله واياك انه عليه الصلاة والسلام لا يصح ولا يجوز
عليه ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا يتقول
على الله ما لا يجب او يفترى عليه او يضل او يختم على قلبه
او يطيع الكافرين لكن الله تعالى يسر امره بالمكاشفة والبيان
فى البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل
فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك
من الناس كما قال لموسى وهرون لا تخافا انني معكما لتشتد بصائرهم
فى الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو والضعف
للنفس واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية
وقوله اذا لاذقناك ضعف الحيوة فمعناه ان هذا وجزاؤك
لو كنت ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله
وكذلك قوله تعالى وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك

عن سبيل الله

عن سبيل الله فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية
وقوله فان يشاء الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن
عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك
والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله سبحانه ينهاه
عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم الاية وما كان صلى الله عليه وسلم طردهم ولا كان من الظالمين
فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس
فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل
بالله تعالى وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت
الاخبار والاثار عن الانبياء عليهم السلام بتنزيههم عن
هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان
بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما
نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا ولم ينقل
احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفى ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل
بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول
ان قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته
وغير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلفته مما نص الله
عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه الهته وتقريعه بذلك بترك ما كان قد جا معهم
عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين ويتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان بعيد قبل افظع

واقطع فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم لهتهم وماكان
يعبد اباؤهم من قبل فى اطباقهم على الاعراض عنه دليل
على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا
عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى
كانوا عليها حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضى
القشيرى على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا
من النبيين ميثاقهم ومنك الاية وبقوله تعالى واذ اخذ الله
ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله
بالميثاق وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ
ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور
ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا لا يجوزه الاملحد
هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل وشق
قلبه صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان
منك ثم غسله وملأه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار
المبدأ ولا يشبه عليك بقول ابراهيم فى الكوكب والقمر والشمس
هذا ربى فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وابتداء النظر
والاستدلال وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق
من العلماء والمفسرين الى انه قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا
عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد
افهذا ربى قال الزجاج قوله هذا ربى اى على قولكم كما قال ابن
شركائى اى عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك
قط بالله عز وجل طرفة عين قول الله تعالى عنه واذ قال لابيه
وقومه ما تعبدون ثم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم

واباؤكم

واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه
بقلب سليم اى من الشرك وقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام
فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم
الضالين قيل انه ان لم يؤيدنى بمعونته اكن مثلكم فى ضلالكم
وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم
فى الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله تعالى وقال الذين
كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا ثم قال
بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها فلا تشكل عليك لفظة العود وانها تقتضى
انهم انما يعودون لما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتى هذه اللفظة
فى كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء
فى حديث الجهنميين عادوا حما ولم يكونوا قبل ذلك كذلك
ومثله قول الشاعر شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك
فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس
هو من الضلال الذى هو الكفر قبل ضالا عن النبوة فهداك
اليها قاله الطبرى وقيل وجدك بين اهل ضلال فعصمك
من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدى
وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها فهداك اليها
والضلال هاهنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو
بغار حراء فى طلب ما يتوجه به الى ربه ويشرع به حتى هداه الله
تعالى الى الاسلام قال معناه القشيرى وقيل لا تعرف الحق
فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم قاله
على بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية

وقيل هدى اى بيّن امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين
مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل المعنى وجدك فهدايك
ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتك فى الازل
اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرأ الحسن بن على ووجدك
ضال فهدى اى اهتدابك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا
اى محبا لمعرفتى والضال المحب كما قال تعالى انك لفى ضلالك
القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا فى الدين اذلوا
ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله عند هذا قوله انا لنراها فى ضلال
مبين اى محبة بيّنة وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان
ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية
وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك الله فهدايك
السعداء ولا اعلم احدا قال من المفسرين فيها لا عن الايمان
وكذلك فى قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا
من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد قاله ابن
عرفة وقال الازهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك
فى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى
ان تضل احداهما فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت
ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندى قال معناه
ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق
الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو
الفرائض والاحكام قال فكان صلى الله عليه وسلم قبل مؤمنا
بتوحيد الله ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فزاد
بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت فما معنى

قوله تعا

قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى
قوله تعالى والذين هم عن اياتنا غافلون بل حكى ابو عبيد الهروى
ان معنا لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا
وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان بن ابى شيبة بسنده عن جابر
ان النبى صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه
اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده
باستلام الاصنام فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره
احمد بن حنبل جدا وقال هو موضع او يشبه بالموضع وقال
الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث بالجملة
منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى
صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت
الى الاصنام وقوله فى الحديث الاخر الذى رويته ام ايمن حين
كلمه عمه واله فى حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد
كراهته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت
منها من صنم تمثل لى شخص ابيض طويل يصيح بى وراءك
لا تمسه فما شهدهم بعد عبدا وقوله فى قصة بحيراء حين
استحلفه النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه
بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات
النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
لا تسألنى بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط يغضهما فقال
له بحيراء فبالله الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه فقال سل عما
بدا لك وكذلك المعروف من سيرته صلى الله عليه وسلم

وتوفيق الله تعالى له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم
صلوات الله عليهما وسلامه **فصل** قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء عليهم
السلام في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك
على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها
انها مملوءة علماً ويقيناً على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة
والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار
واعتنى بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب الرابع اول قسم
من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه **الا** ان احوالهم في هذه
المعارف تختلف **فاما** تعلق منها بامر الدنيا فلا تشترط
في حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها
على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ همهم متعلقة
بالاخرة وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضادها
بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من الحيوة
الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبينه هذا في الباب
الثاني ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئاً
من امر الدنيا فان ذلك يؤدي الى الغفلة والبله وهم المنزهون
عنه بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهداية
تهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون
مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء
عليهم السلام وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم

بذلك

بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد فيما يتعلق
بالدين فلا يصح من النبي الا العلم به ولا يجوز عليه جهله
جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل ذلك عنده عن وحي من الله
فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل
له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه
فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول
المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة انما اقضي بينكم
برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصه اسرى بلد
والاذن للمتخلفين على رأى بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقد
مما يثمره اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت
الى خلاف من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطأ في الاجتهاد ان
لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو
الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في طرف
واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطاء في الاجتهاد
في الشرعيات ولان القول في تخطئة المجتهدين انما هو بعد
استقرار الشرع ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم ينزل
عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي
صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من
امر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها الا الا ما علمه الله
شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله تعالى
او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي
في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استقر علم جميعها عنده صلى
الله عليه وسلم وتقررت معارفها لديه على التحقيق

ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه
الجهل بشئ من تفاصيل الشرع الذى امر بالدعوة اليه
اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والارض وخلق الله تعالى وتعيين اسمائه الحسنى
وايات الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة واحوال السعداء
والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما لم يعلمه الا بوحى فعلى ما تقدم
من انه صلى الله عليه وسلم معصوم فيه لا ياخذ فيما اعلمنه
شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه لا تشترط
له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم ذلك
ما ليس عند جميع البشر لقوله صلى الله عليه وسلم انى لا اعلم
الا ما علمنى ربى ولقوله صلى الله عليه وسلم ولا خطر عليه بشر
فلا تعلم نفس ما اخفوا لهم من قرة اعين وقول موسى لخضر هل اتبعك
على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم
اسئلك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسئلك
بكل اسم سميت به نفسك او استاثرت به فى علم الغيب عندك
وقد قال الله تعالى وفوق كل ذى علم عليم قال زيد بن اسلم
وغيره حتى ينتهى العلم الى الله تعالى وهذا مما لا خفاء به اذ
معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهاها هذا حكم عقد النبى
صلى الله عليه وسلم فى التوحيد والشرع والمعارف والامور
الدينية فصل واعلم ان الامة مجتمعة على عصمة النبى
صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا فى جسمه
بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضى
الحافظ ابو على رحمة الله حدثنا ابو الفضل بن خيرون

العدل

العدل حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره حدثنا ابو الحسن الدار
قطني حدثنا اسماعيل الصفار حدثنا عباس الترقفي حدثنا
محمد بن يوسف عن سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن
مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن
وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن
الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني
الا بخير وعن عائشة بمعناه وروى فاسلم بضم الميم اي فاسلم
انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروى فاسلم
يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر
الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم
شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من بني آدم فكيف بمن
بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت
الآثار بتصيد الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره
وماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا
خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم
فاسر ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي
يقطع علي الصلاة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان
اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
الاية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه

صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاءنى بشهاب من نار
ليجعله فى وجهى والنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة
وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه
وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك
فى حديثه فى الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه
جبريل عليه السلام ما يتعوذ به منه ذكره فى الموطاء
ولما لم يقدر على اذاه بما شرته تسبب بالتوسط الى عداه
كقضيته مع قريش فى الايثار بقتل النبى صلى الله عليه وسلم
وتصوره فى صورة الشيخ النجدى ومرة اخرى فى غزوة يوم
بدر فى صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين
لهم الشيطان اعمالهم الاية ومرة ينذر بشأنه عند بيعة
العقبة وكل هذا فقد كفاه الله تعالى امره وعصمه من ضره
وشره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيسى عليه السلام
كفى من لمسه فجاء ليطعن بيده فى خاصرته حين ولد فطعن
فى الحجاب وقال صلى الله عليه وسلم حين لدغ فى وضه وقيل
له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان
ولم يكن الله ليسلطه على فان قيل فما معنى قوله تعالى
وما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد
قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين
ثم قال وامّا ينزغنك اى يستخفنك غضب يحملك على ترك
الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد
كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى
وقيل ينزغنك بغريك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة

فاحرص الله

فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام
الشيطان من اغرائه به وخواطر دنى وساوسه ما لم يجعل له
سبيلا اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره وتكون سبب تمام
عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له
قدرة عليه وقد قيل فى هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح
ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس عليه لا فى
اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد فى ذلك ذليل المعجزة
بل لا يشك النبى صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضرورى يخلقه الله تعالى له
او ببرهان يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل
لكلماته فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته
الاية فاعلم ان للناس فى معنى هذه الاية اقاويل منها السهل
والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه
الجمهور من المفسرين ان التمنى ها هنا التلاوة والقاء الشيطان
فيها شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالى حتى يدخل
عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك على افهام
السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله تعالى
وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسيأتى الكلام على هذه
الاية بعد باشبع من هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندى
انكار قول من قال يتسلط الشيطان على ملك سليمان عليه
السلام وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة
سليمان مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذى ولد له

وقال ابو محمد مكّيّ في قصّة ايّوب عليه السّلام وقوله انّي مسّني الشّيطان بنصب وعذاب انّه لا يجوز لاحد ان يتأوّل انّ الشّيطان هو الّذي امرضه والقى الضّرّ في بدنه ولا يكون ذلك الّا بفعل الله عزّ وجلّ وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكّيّ وقد قيل ان الّذي اصابه من الشّيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الّا الشّيطان وقوله عن يوسف فانساه الشّيطان ذكر ربّه وقوله نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم حين نام عن الصّلاة يوم الوادي انّ هذا وادٍ به شيطان وقول موسى صلّى الله عليه وسلّم في وكزته هذا من عمل الشّيطان فاعلم انّ هذا الكلام قدير في جميع هذا على مورد مستمرّ كلام العرب في وصفهم كلّ قبيح من شخص او فعل بالشّيطان او فعله كما قال تعالى طلعها كانّه رؤوس الشّياطين وقال صلّى الله عليه وسلّم فليقاتله فانّما هو شيطان وايضا فانّ قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت مع موسى عليه السّلام نبوّة قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمرويّ انّه انّما نبّئ بعد موت موسى وقيل قبل موته وقول موسى كان قبل نبوّته بدليل القرآن وقصّة قد ذكر انّها كانت كلّها قبل نبوّته وقد قال المفسّرون في قوله تعالى فانساه الشّيطان قولين احدهما انّ الّذي انساه الشّيطان ذكر ربّه احد صاحبي السّجن وربّه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف وايضا فانّ مثل هذا من فعل الشّيطان ليس فيه تسلّط على يوسف ويوشع بوسواس ونزغ وانّما

هو بشغل

هو بشغل خواطرهما باموراخر وتذكيرهما ما ينسيهما اما نسيا
واما قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا وادٍ به شيطان فليس
فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى
ظاهره فقد بيّن امر ذلك الشيطان بقوله انّ الشيطان
اتى بلالاً فلم يزل يهدّئه كما يهدّئ الصبيّ حتى نام فاعلم
انّ تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال الموكل
بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم انّ هذا
وادٍ به شيطان تنبيهاً على سبب النوم عن الصلاة واما ان
جعلناه تنبيهاً على سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك
الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعترض
به فى هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله
صلى الله عليه وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة
على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه صلى
الله عليه وسلم معصوم فيه من الاخبار عن شئ منها بخلاف
ما هو به لا قصداً وعمداً ولا سهواً او غلطاً اما تعمد الخلف
فى ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى
صدق فيما قال اتفاقاً وباطباق اهل الملة اجماعاً واما
وقوعه فى الغلط فى ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ
ابى اسحق الاسفرايينى ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع
فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى
ابى بكر الباقلانى ومن وافقه لاختلاف بينهم فى مقتضى
دليل المعجزة لا نطوّل بذكره فنخرج عن غرض الكتاب

فلتعمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه صلى
الله عليه وسلم خلف في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام
بما اخبر عن ربه تعالى وبما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه
العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضى والسخط والصحة والمرض
وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أكتب
كلما اسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فاني
لا اقول في ذلك كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة
عليه بيانا فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه صلى الله عليه
وسلم وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله تعالى الا صدقا
وان المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدقت فيما تذكره
عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم ما ارسلت به
اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في
هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولا اختلط الحق بالباطل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص
فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله واجب
برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل وقد توجهت
هاهنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روى ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال فرأيتم اللات
والعزى ومنات الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق
العلا وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية

ان شفاعتها

ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفى اخرى
والغرنقة العلا تلك للشفاعة ترتجى فلما ختم السورة
سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم
وما وقع فى بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه
وان النبى صلى الله عليه وسلم كان تمنى لو نزل عليه شئ
يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى ان لا ينزل عليه
شئ ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل جاءه فعرض
عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين
الايتين فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله تعالى تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله
ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما
فى توهين اصله والثانى على تسليمه اما المأخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا
رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون
والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف
كل صحيح وسقيم وصدق القاضى بكر ابن العلاء المالكى حيث
قال لقد بلى الناس ببعض اهل الاهواء والتفسير وتعلق
بذلك الملحدون مع ضعف بعض نقلته واضطراب رواياته
وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه فى
الصلاة وآخر يقول قالها فى نادى قومه حين نزلت عليه
السورة واخر يقول قالها وقد اصابته سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه فسها وآخر يقول ان الشيطان قالها

على لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل
قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي
صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من اختلاف
الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين و
التابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب
واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه
حديث شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
فيما احسب الشك في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزاز هذا الحديث
لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل
يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد
وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله
انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف
ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به
ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية
عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزاز
رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ النجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن
والانس هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى
فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله
عليه وسلم وتزاهته عن مثل هذه الرذيلة قبل النبوة

اما من

اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح الهة غير الله
تعالى وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه
القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل
عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه الصلاة والسلام
او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه
عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا
بالبرهان والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان
الكفر على قلبه او لسانه عمدا ولا سهوا او ان يتشبه عليه
ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه
وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل وقال تعالى
اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الاية ووجه
ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا
الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام
ممتزج المدح بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي
صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد
المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى متامل
فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح
الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم من عبادة المنافقين
ومعاندي المشركين وضقفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه
وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم لفيئة

بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن اظهر الاسلام
لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه القصة شيئا سوى هذه
الرواية الضعيفة الاصل ولو كان ذلك لوجدت قريش
بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة
كما فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك
لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روى في قصة هذه القضية
ولافتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ولاتشعب
للعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روى
عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل
على بطلها واجتثاث اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين
الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به
على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية
ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان
ترد ان الخبر الذي رووه لان تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه
حتى يفتري وانه لولا ان ثبته الله لكاد يركن اليهم فمضمون
هذا ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفتري وثبته
حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم
الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال
عليه الصلاة والسلام افتريت على الله تعالى وقلت ما لم
يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف
ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى في الاية الاخرى ولولا فضل
الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون
الا انفسهم وما يضرونك من شيء وقد روى عن ابن عباس

كلما

كلما في القران كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب
بالابصار ولم تذهب وقال تعالى اكاد اخفيها ولم يفعل قال
القشيري القاضي ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر باصنامهم
ان يقبل بوجهه عليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل
ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول صلى الله
عليه وسلم ولا ركن وقد ذكرت في معنى الاية تفاسير اخر ما ذكرناه
من نصر الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله عليه وسلم يرد
سفسافها فلم يبق في الاية الا ان الله تعالى آمنه على رسوله صلى
الله تعالى عليه وسلم بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار
ورامو من فتنته وحرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته صلى الله
عليه وهو مفهوم الاية واما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح وقد اعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على ذلك
من حال فقد اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث
والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل ان النبي صلى الله
عليه وسلم اصابته سنة عند قرأته هذه السورة فجرى
هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم مثله في حالة من احواله ولا يخلقه الله
تعالى على لسانه ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة
لعصمته في هذا الباب صلى الله عليه وسلم من جميع العمد والسهو
وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه
فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن
عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان
وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه الصلاة والسلام لا سهوا

ولا قصداً ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي
صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ
للكفار كقوله ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا ربي على احد
التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان
الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا ممكن مع بيان
الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد
ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا ما روى انه كان
في الصلاة فقد كان الكلام فيها قبل غير ممنوع والذي يظهر
ويترجح في تأويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا
ويفصل الاى تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن
ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من
تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله
عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ
السورة قبل ذلك على انزلها الله تعالى وتحققهم من حال النبي
صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه
وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين
لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم
ويكون ما روى من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه
الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية فمعنى تمنى تلا
قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اى تلاوة وقوله

فينسخ الله

فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم
اياته وقيل معنى الاية هو ما يقع للنبى صلى الله عليه وسلم
من السهو فيتنبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبى فى الاية
انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اى حدث نفسه وفى رواية ابى
بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو فى القراءة انما يصح فيما ليس
طريقه تغيير المعانى وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن
بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه صلى الله عليه وسلم
لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره
فى حكم ما يجوز عليه من السهو ولا يجوز ومما يظهر فى تأويله
ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى
فان سلمنا القصة قلنا لا يعبد هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة
العلا وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا
فسر الكلبى الغرانقة انها الملائكة وذلك الكفار كانوا يعتقدون
الاوثان والملائكة بنات الله سبحانه كما حكى الله تعالى عنهم
وردّ عليهم فى هذه السورة بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى
فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة
صحيح فلما تأوله المشركون وزينه فى قلوبهم والقاء اليهم
نسخ الله ما القاه الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك
اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالباس
كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان فى انزال الله
تعالى لذلك حكمة وفى نسخه حكمة ليضل به من يشاء
ويهدى من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل
ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية

قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم
انه الحق من ربك فيؤمنون به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتي
بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا
في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم
وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب
هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم عليه واشاعوا ذلك واذاعوه
وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من كذبهم
وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك
الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن
واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ماروي من قصة
يونس عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا
كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا فذهب
مغاضبا فاعلم اكرمك الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة
في هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه
انه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه
من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا
فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال
الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية
وروي في الاخبار انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن
مسعود وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى

الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روى من ان عبد الله ابن
ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد
مشركا وصار الى قريش فقال لهم انى كنت اصرف محمدا حيث اريد
كان يملى على عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب
وفى حديث اخر فيقول له النبى صلى الله عليه وسلم اكتب
كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت وفى الصحيح
عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم
بعد ما اسلم ثم ارتد كافرا وكان يقول ما يدرى محمد
الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل
للشيطان فى تلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل
هذه الحكاية اولا لا توقع فى قلب مؤمن ريبا اذ هى حكاية
عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف
بكافر قد افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم
من هذا والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره
وصدرت من عدو كافر مبغض للذين مفتر على الله ورسوله
ولم ترد عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد
ما قاله وافتراه على نبى الله عليه الصلاة والسلام وانما
يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله وما وقع من
ذكرها فى حديث انس وظاهر حكايته لها فليس فيه ما يدل
انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه
ذلك وقال رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد
عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال
القاضى رضى الله عنه ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح

حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن
رفيع عن انس الذى خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه
عن انس قول شئ من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته
عن المرتد النصرانى ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح ولا توهم
للنبى صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه ولا جواز للنسيان
والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن فى نظم القرآن
وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب قال له
عليم حكيم او كتبه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كذلك
هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول
قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول
عليه الصلاة والسلام يدل عليها ويقتضى وقوعها
بقوة قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه
وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق
الى قافيته او مبتداء الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق
ذلك فى جملة الكلام كما لا يتفق ذلك فى اية ولا سورة وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم ان صح كل صواب فقد يكون هذا
فيما كان فيه من مقاطيع الاى وجمان وقرآءتان انزلتا
جميعا على النبى صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل
الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى
فذكرها للنبى صلى الله عليه وسلم لها كما قدمنا فصوبها له
النبى صلى الله عليه وسلم ثم امكم الله فانك انت العزيز
الحكيم وهذه قرآءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت
الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات جاءت

على وجهين

على وجهين فى غير المقاطع قرأ بهما الجمهور وثبتتا فى المصحف
مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها ويقض الحق ويقضى الحق
وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسيب للنبى صلى الله عليه وسلم
غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه
عن النبى صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله
عز وجل ويسميه فى ذلك الكتاب كيف شاء **فصل**
هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ليس سبيله سبيل البلاغ
من الاخبار التى لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد
ولا تضاف الى وحى بل فى امور الدنيا واحوال نفسه فالذى يجب
اعتقاده تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره
فى شئ من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا
وانه معصوم من ذلك فى رضاه وفى حال سخطه وجده وهزله
وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه
وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى
تصديق جميع احواله والثقة بجميع اخباره فى اى باب
كانت وعن اى شئ وقعت وانه لم يكن لهم توقف ولا تردد
فى شئ منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع فيها
سهو ام لا **ولما** احتج ابن ابى الحقيق اليهودى على عمر رضى الله
عنه حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم واحتج عمر عليه بقول النبى صلى الله عليه وسلم كيف
بك اذا اخرجت من خيبر فقال له اليهودى كانت هزيلة
من ابى القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله **وايضا** فان
اخباره واثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى

تفاصيلها ولم يرد في شئ منها استدراكه عليه الصلاة
والسلام لغلط في قول قاله او اعترافه بوهم في شئ اخبر به
ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته صلى الله عليه وسلم
رجوعه عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل وكان ذلك
رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب
كقوله والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت
الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الى الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما
سنبين كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده
ان شاء الله مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف
من احد في شئ من الاخبار بخلاف ما هو على اي وجه كان
استريب بخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في النفوس
موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف
بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته
وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار
منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب
النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويشاع مما تخل
بصاحبها وتزري بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع
هذا الموقع فان عددناها من الصغائر فهل يجري على حكمها
في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله
وكثيره سهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ والاعلام
والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وتجويز شئ من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقص

للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على الانبياء خلف
في القول في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا يتكل
مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه
البلاغ نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا
الاستسام في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري
ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر
احوال اهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها
من الامم وسئولهم عن حاله في صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك
واعترفوا به مما عرف والتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله
عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الاثار فيه في الباب
الثاني اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه فصل
فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
السهو الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابرهيم بن جعفر
حدثنا القاضي ابو الاصبغ ابن سهل حدثنا خاتم بن محمد
حدثنا ابو عبد الله ابن الفخار حدثنا ابو عيسى حدثنا
عبيد الله حدثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن
ابي سفين مولى ابن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم
في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت
الصلاة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن وفي الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت
الحديث بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد
كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان بعض ذلك

يا رسول الله فاعلم وفقنا الله وايّاك انّ للعلماء فى ذلك اجوبة
بعضها بصدد الاتصاف ومنها ما هو بنيّة التعسف
والاعتساف وها انا اقول امّا على القول بتجويز آلوهم و
والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ وهو القول الّذى
فرّيفناه من آلقولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه
واما على مذهب من يمنع السّهو والنّسيان فى افعاله جملة
ويرى انّه فى مثل هذا عامد لصورة النّسيان ليس فهو
صادق فى خبره لانّه لم ينس ولا قصرت ولكنّه على هذا القول
تعمّد هذا الفعل فى هذه الصّورة ليسنه لمن اعتراه مثله
وهو قول ومرغوب عنه نذكره فى موضعه واما على احالة
السّهو عليه فى الاقوال وتجويز السّهو عليه فيما ليس طريقه
القول كما سنذكره ففيه اجوبة منها انّ النّبىّ صلّى الله
عليه وسلّم اخبر عن اعتقاده وضميره امّا انكار العصر
فحقّ وصدق ظاهرا وباطنا واما النّسيان فاخبر صلّى الله
عليه وسلّم عن اعتقاده وانّه لم ينس فى ظنّه فكانّه قصد
الخبر بهذا عن ظنّه وان لم ينطق به وهو صدق ايضا
ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السّلام اى انّى سلّمت
قصدا وسهوت عن العدد اى لم انسه فى نفس السّلام وهذا
محتمل وفيه بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب
اليه بعضهم وان احتمله اللّفظ من قوله كل ذلك لم يكن
اى لم يجتمع القصر والنّسيان بل كان احدهما ومفهوم اللّفظ
خلافه مع الرّواية الاخرى الصّحيحة وهو قوله ما قصرت
الصّلاة وما نسيت هذا ما رايت فيه لا يمتنا وكلّ من هذه

الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الاخر منها
قال القاضي ابو الفضل رحمة الله والذي اقول ويظهر لي
انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ
الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئس ما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض
روايات الحديث الاخر لست انسى ولكني انسى فلما قال
له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان
ونسيانه هو من قبل نفسه وانه اذ كان جرى شيء من ذلك
فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق انه نسي واجرى عليه ذلك
ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر او كل ذلك لم يكن صدق
وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه اخر
استشرته من كلام بعض المشائخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان
قال لان النسيان غفلة وافة والسهو انما هو شغل بال فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل عنها
وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها
لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله
ما قصرت وما نسيت خلف في قول ووجه اخر ان قوله ما قصرت
وما نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد
والله اعلم اني لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكني
نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والدليل على ذلك قوله
عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح اني لا انسى وانسى
لاسن واما قصة كلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام

المذكورة فى الحديث انها كذباته الثلاث المنصوصة فى
القرآن منها اثنتان قوله انى سقيم وبل فعله كبيرهم هذا
وقوله للملك عن زوجته انها اختى فاعلم اكرمك الله ان
هذه كلها خارجة عن الكذب لا فى القصد ولا فى غيره وهى
داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب
اما قوله انى سقيم فقال الحسن وغيره معناه ساسقم اى
ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج
معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر على من الموت
وقيل بل سقيم القلب بما شاهدته من كفركم وعنادكم وقيل
بل كانت الحمى تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتدّ
بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق
وقيل بل عرّض بسقم حجته عليه وضعف ما اراد بيانه لهم
من جهة النجوم التى كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره
فى ذلك وقيل استقامة حجته عليهم فى حال سقم ومرض
حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف
فى حال استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة
ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم
بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله سبحانه وقد منا بيانه
واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط
نطقه كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت
لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختى
فقد بين فى الحديث وقال انك اختى فى الاسلام فهو صدق
والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قد سمّاها كذبات وقال لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته
فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان
حقا في الباطن لاهذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها
خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام من مؤاخذته بها
واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة
ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما ستر لمقصده
لئلا يأخذوه خذره وكتم لوجه ذهابه بذكر السؤال عن
موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض بذكره لا انه يقول
تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده
فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت
فما معنى قول موسى عليه السلام وقد سئل اى الناس اعلم
فقال انا اعلم فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه الحديث
وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد
انبا الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه وقع في هذا الحديث
من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم احدا اعلم
منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف
فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده
كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك
فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا
لا خلف فيه وقد يرد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف
النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة
ويكون الخضر اعلم منه بامور آخر مما لا يعلمه احدا

لا باعلام الله تعالى من علوم غيبه كالقصص المذكورة فى
خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم
على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما وعتب الله تعالى ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار
هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة
لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك
والله اعلم لان لا يقتدى به فيه من لم يبلغ كماله فى تزكية
نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح
الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطى
والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء عليهم
السلام فغيرهم بمدرجة سيلها ودرك ليلها الا من عصمة الله
تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد اعلم به
انا سيد ولد آدم ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين
بنبوة الخضر لقوله فيه انه اعلم من موسى ولا يكون الولى
اعلم من النبى واما الانبياء عليهم السلام فيتفاضلون
فى المعارف وبقوله وما فعلته عن امرى فدل انه بوحى
ومن قال انه ليس بنبى قال يحتمل ان يكون انما فعله بامر نبى
آخر وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان فى زمن موسى عليه
السلام نبى غيره الا اخاه هرون وما نقل احد من اهل
الاخبار فى ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك
ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفى قضايا معينة
لم يحتج الى اثبات نبوة خضر ولهذا قال بعض الشيوخ

كان موسى

كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر اعلم فيما دفع
اليه موسى وقال اخرا انما الجئ موسى الى الخضر للتأديب لا
للتعليم فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا
يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذى وقع
فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد وما
قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة
الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور
فى ذلك الاجماع الذى ذكرناه وهو مذهب القاضى ابى بكر
ومنعها غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة
واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لاخلاف انهم معصومون
من كتمان الرسالة والتقصير فى التبليغ لان كل ذلك تقتضى
العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور
وقائل بانهم معصومون من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون
باختيارهم وكسبهم الاحسينا النجار فانه قال لا قوة لهم
على المعاصى اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف
وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره
من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا
به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل
وقوعها منهم ولم يأت فى الشرع قاطع باحد الوجهين
وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين
الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا الاختلاف
الناس فى الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك
وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة

فانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه و
مخالفة الباري عز وجل في اي امر كان يجب كونه كبيرة
قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله
تعالى صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر
ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها
فلا يحبطها شيء والمشية في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول
القاضي ابي بكر وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء
قال القاضي ابو الفضل رحمة الله وقال بعض ائمتنا ولا يجب
على القولين ان يختلف انهم معصومون من تكرار الصغائر
وكثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى
ازالة الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء والخسة
فهذا ايضا مما يعصم منه الانبياء اجماعا لان مثل هذا
يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب
عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان
من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن
اسم المباح الى الحظر وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من
مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض الائمة على
عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع
اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من
اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام
قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك
وحكى ابن خويز منداذ وابو الفرج عن مالك التزام ذلك
وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا

وقول

وقول اكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران
من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت
طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور
الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله
لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم
في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة
او الاباحة او الحظر او المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال
امر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول
اذا تعارضا من الاصوليين ونزيد هذا حجة بان نقول
من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا صلى الله عليه وسلم
مجمعون انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى رآى
شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف
يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه
وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل
واذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي
عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء
بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن
كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه
وخلعوا نعالهم حين خلع نعله واحتجاجهم برؤية ابن عمر
اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج
غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العبادة بقوله
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال صلى الله
عليه وسلم هلا خبريتها اني اقبل واناصائم وقالت عائشة

محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب عليه الصلاة والسلام على الذى اخبر بمثل هذا
عنه فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال انى لاخشاكم
لله واعلمكم بحدوده والاثار فى هذا اعظم من ان يحاط بها
لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة فى شئ منها لما انسق
هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه الصلاة
والسلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات
فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هى مأذون فيها
وايديهم كايدى غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به
من رفيع المنزلة وشرحت لهم صدورهم من انوار المعرفة
واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الاخرة لا يأخذون
من المباحات الا الضروريات مما يتقوون به على سلوك طريقهم
وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذه السبيل
التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا فى خصال نبينا صلى الله عليه وسلم فبان لك عظيم
فضل الله تعالى على نبينا وعلى سائر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن
وجه المخالفة ورسم المعصية فصل وقد اختلف
فى عصمتهم من المعاصى قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها
آخرون والصحيح ان شاء الله تعالى تنزيههم من كل عيب
وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة
تصورها كالممتنع فان المعاصى والنواهى انما تكون بعد

تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله
عليه وسلم قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا
فقال جماعة لم يكن متبعا لشئ وهو قول الجمهور فالمعاصي
على هذا القول غير موجوده ولا معتبرة في حقه حينئذ
اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي
وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة
عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الامة القاضي
ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق
السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من مهمة امره واولى ما اهتبل به من سيرته
ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يوثر شئ
من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا
لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على
التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك
الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة
اخرى بالوقف في امره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم
عليه بشئ في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبانة
عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت
فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا
هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه
واجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه
المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب
اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان
شئ من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم
فان عيسى آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعدها
اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام بل الصحيح
انه لم تكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم
ولا حجة ايضاً للاخرى في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفاً وللاخرين في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
فحمل هذه الاية على اتباعهم في التوحيد كقوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى فيهم
من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة
منهم في هذه الاية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها
فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله
تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال يمنع الاتباع هذا القول
في سائر الانبياء غير نبينا عليه الصلاة والسلام او يخالفون
بينهم اما من منع الاتباع فيطرد اصله في كل رسول بلا مرية
واما من مال الى النقل فانما تصور له ونقرر اتبعه ومن
قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله
يلتزمه بمساق حجته في كل نبي **فصل** هذا حكم ما تكون
المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية
ويدخل تحت التكليف **واما** ما يكون بغير قصد وتعمد
كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية مما تقرر الشرع

بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال
الانبياء في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع
انهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير
الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم
باتباعهم فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه
اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو في
القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك
في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه
قصداً وسهواً فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز
طروء المخالفة فيها لا عمداً ولا سهواً لانها بمعنى القول
من جهة التبليغ والاداء وطروء هذه العوارض عليها
يوجب التشكيك ويسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث
السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق
وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في
الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهواً وعن غير قصد منه
جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة وفرقوا
بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق
في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل و
غفلات القلب من سمات البشر كما قال صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بحالة
النسيان في السهو هنا في حقه عليه الصلاة والسلام سبب
افادة علم وتقرير شرع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لانسى

او انسى لا سنّ بل قد روى لست انسى ولكن انسى لا سنّ
وهذه الحالة زيادة له فى التبليغ وتمام عليه فى النعمة بعيدة
عن سمات النقص واعتراض الطعن فانّ القائلين بجوز ذلك
يشترطون انّ الرسل لا تقرّ على السهو والغلط بل ينبّهون
عليه ويعرّفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح
وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ
ولا بيان الاحكام من افعاله عليه الصلاة والسلام وما
يختصّ به من امور دينه واذكار قلبه مما لم يفعله ليتبع فيه
فالاكثر من طبقات علماء الامّة على جواز السهو والغلط
عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك
بما كلّفه من مقاسات الخلق وسياسات الامّة ومعاناة
الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار
ولا الاتصال بل على سبيل الندور كما قال صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبى فاستغفر الله وليس فى هذا شئ يحطّ من رتبته
وينافض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان
والغفلات والفترات فى حقّه صلى الله عليه وسلم
جملة وهو مذهب جماعة المتصوّفة واصحاب علم القلوب
والمقامات ولهم فى هذه الاحاديث مذاهب نذكرها
بعد هذا ان شاء الله تعالى فصل فى الكلام على الاحاديث
المذكور فيها السهو منه صلى الله عليه وسلم قد قدّمنا
فى الفصول قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو عليه الصلاة
والسلام وما يمتنع واحلناه فى الاخبار جملة وفى الاقوال
الدينيّة قطعا واجزنا وقوعه فى الافعال الدنيويّة على الوجه

الذى

الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد فى ذلك ونحن نبسط القول فيه
والصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه صلى الله عليه وسلم
فى الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذى اليدين فى
السلام من اثنتين الثانى حديث ابن بحينة فى القيام من
اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبى صلى الظهر
خمسا وهذه الاحاديث مبينة على السهو فى الفعل الذى قررناه
وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلا منه بالقول
وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على هذا السهو بل يشعر به
ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان
النسيان والسهو فى الفعل فى حقه صلى الله عليه وسلم
غير مضاد للمعجزة ولا قادح فى التصديق وقد قال صلى الله
عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى
وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله فلانا لقد اذكرنى كذا وكذا
آية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال صلى الله عليه وسلم
انى لانسى او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوى
وقد روى انى لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع
وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اى انسى
انا او ينسينى الله قال القاضى ابو الوليد الباجى يحتمل ما قالاه
ان يريد انى انسى فى اليقظة وانسى فى النوم او انسى على سبيل
عادة البشر من الذهول عن الشئ والسهو او انسى مع اقبالى
عليه وتفرغى له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان
بعض السبب فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر
وذهبت طائفة من اصحاب المعانى والكلام على الحديث

الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى
لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي صلى الله
عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان صلى الله عليه وسلم
يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة
شغلا به لا غفله عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى
اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا
ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان عمدا وقصدا ليسن وهذا
قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل
لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم
انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن لقوله اني لا انسى او انسى
فقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضه التعمد والقصد وقال
انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من
المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرتضه
غيره منهم ولا ارتضته ولا حجة لهاتين الطائفتين في
قوله اني لا انسى ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان
بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه كقوله بئسما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي ونفى الغفلة وقلة الاهتمام
بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها
ببعضها كما ترك الصلاة يوم الخندق حتى خرج وقتها
وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة
وقيل ان الذي تركه يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر
والمغرب والعشا وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة
في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب

الشافعيين

الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو
ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم
يوم الوادي عن الصلاة وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم
قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر منه
غير ذلك كما يندر من غيره خلاف عادته ويصح هذا التاويل
قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه ان الله قبض
ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت على نومة مثلها قط ولكن
مثل هذا انما يكون منه لامر يريد الله من اثبات حكم او تا
سيس سنة او اظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله
لايقظنا ولكن اراد ان تكون سنة لمن بعدكم الثاني ان قلبه
لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روى
انه كان محروسا وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه
ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس المذكور فيه وضوءه
عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن الاحتجاج
به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة اهله
او لحدث آخر فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى
سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا وقيل
لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة
الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل
القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله قبض
ارواحنا ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا فان قيل
فلو لا عادته من استغراق النوم لما قال بلال لكلانا الصبح

فقيل في الجواب انه كان من شانه صلى الله عليه وسلم
التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لاتصح ممن نامت عينه
اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة
اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن مراعاته
فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلاة والسلام عن قول
نسيت وقد قال صلى الله عليه وسلم انى انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا وكذا آية كنت
انسيتها فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ
اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ
حفظه من القرآن اى ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله
تعالى اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو
او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل
ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب
ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على طريق الجواز الاكتساب
العبد فيه واسقاطه صلى الله عليه وسلم لما اسقط
من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه
وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته او من قبل
نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبى صلى الله عليه وسلم
ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا
يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره
اياه ويستحيل دوام نسيانه تحفظ الله تعالى كتابه
وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من جاز عليهم

الصغائر

الصغائر والكلام على ما احتجوا به فى ذلك اعلم ان المجوزين
للصغائر على الانبياء عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين
ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها
افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول
به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون فى معناه
وتقابلت الاحتمالات فى مقتضاه وجاءت تاويل فيها للسلف
بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا
وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلائل على خطاء
قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن نأخذ
فى النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقوله
ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك وقوله عفا الله عنك
لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص
من قصص غيره من الانبياء كقوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما الاية
وقوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله تعالى عن يونس سبحانك
انى كنت من الظالمين وما ذكره من قصته وقصة داود وقوله
وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته
وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا

من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه
اللهم اغفر لي ما قدمت واخرت واسررت واعلنت
ونحوه من ادعيته عليه الصلاة والسلام وذكر الانبياء
في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة وقوله صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث
ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من
سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني
الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم
مغرقون وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا
سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر قال القاضي رحمة الله
فاما احتجاجهم بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد ما كان
قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم
يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر
عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته
صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة
وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم
لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله تعالى
واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة
النبي صلى الله عليه وسلم هاهنا هي مخاطبة لامته وقيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري

ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر الاية وبما آل المؤمنين في الاية
الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك مغفور لك
غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ها هنا تبرئة
من العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد
والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها
وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكاه معناه السمرقندي
وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي وقيل اراد حططنا عنك ثقل ايام
الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب
شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل
معناه خففنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ
عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل
ذلك قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور
فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا
وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع عصمة الله تعالى له
وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل
الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية و
اعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما
قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي
صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية
ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم

معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه
الله تعالى من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له
ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال
الله تعالى له فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله
تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا
وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ها هنا بمعنى غفر
بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم يجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه
للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف
كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا
قال الداودي روي انها كانت تكرمة قال المكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه
عافاك الله واما قوله في اساري بدر ما كان لنبي ان يكون
له اسرى الاية فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه
وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء
فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال صلى الله عليه وسلم
احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله
تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب من اراد ذلك
منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار
منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية
اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون
يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى

لولا كتاب من الله سبق واختلف المفسرون في معنى الاية فقيل
معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي
لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون اخر الاسرى معصية وقيل المعنى
لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم
به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا
وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم
ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل
لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا
كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص
قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان
قد خير عليه الصلاة والسلام في ذلك وقد روى عن
علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسرى
ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل
مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة
ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم
مال الى اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان
والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب
اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين نحو هذا
اشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية
لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا
من تصويب رايه ورأى من اخذ بما اخذ في اعزاز الدين
واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت

عذابا نجا منه عمره ومثله وعين عمر لانه اول من اشار
بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم فى ذلك عذابا احله لهم
فيما سبق وقال الدا ودى اخبر بهذا لم يثبت ولو ثبت
لما جاز ان يظن ان النبى صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص
فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر فيه اليه وقد نزهه
الله تعالى عن ذلك وقال القاضى بكر بن العلاء اخبر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الاية ان تاويله وافق
ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا
فادوا فى سرية عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى
بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله تعالى ذلك عليهم
وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل
النبى صلى الله عليه وسلم فى شان الاسارى كان على تاويل
وبصيرة على ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله تعالى عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظيم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم
اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه فى اللوح
المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
هذا معنى كلامه واما قوله تعالى عبس وتولى الايات
فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام بل اعلام
الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال على الاعمى
وفعل النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك
الكافر كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه واستئلافا له
كما شرعه الله تعالى لا معصية ومخالفة وما قصه الله

عليه

عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر
عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله تعالى وما عليك
الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر الذى كان مع النبى
صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه
السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما
الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه
فغوى اى جهل وقيل اخطأ فان الله تعالى قد اخبر بعذره
بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما
قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له وما عهد الله تعالى اليه
من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية قيل نسى
ذلك بما اظهرهما وقال ابن عباس انما سمى الانسان انسانا
لانه عهد اليه فنسى وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لاكلها
ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين
وتوهما ان احدا لا يحلف بالله تعالى حانثا وقد روى عذر
آدم بمثل هذا فى بعض الاثار وقال ابن جبير حلف بالله
لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة
فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة و
اكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان
عند كلمة سكران وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف
خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك
ان كان ملبسا عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسى
والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر ابن فورك

وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك
قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهدى كانا بعد العصيان
وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها
لانه تأول نهي الله تعالى عن شجرة مخصوصة لا على الجنس
ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تأول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل
فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه وقال فتاب
عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت
عن اكل الشجرة فعصيت فسيأتي الجواب عنه وعن اشباهه
مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس
فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس نص
على ذنب وانما فيها ابن وذهب مغاضبا وقد تكلمنا
عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه فارا من
نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله تعالى
عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا
يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء
الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس
فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله تعالى
ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت
من الظالمين فالظلم وضع الشئ في غير موضعه فهذا اعتراف
منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه
بغير اذن ربه تعالى ولضعفه عما حمله اولدعائه بالعذاب

على قومه

على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال
الواسطي في معناه نزّه ربّه تعالى عن الظلم واضاف الظلم
الى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ومثل هذا قول آدم وحوّاء
ربّنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي
انزلا فيه واخراجهما من الجنّة وانزالهما الى الارض واما
قصّة داود عليه السّلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطّره
فيها الاخباريون عن اهل الكتاب الّذين بدّلوا وغيّروا ونقله
بعض المفسّرين ولم ينصّ الله تعالى شيئ من ذلك ولا ورد في
حديث صحيح والّذي نصّ الله تعالى عليه قوله وظنّ داود
انّما فتنّاه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اوّاب فمعنى
فتنّاه اى اختبرناه واوّاب قال قتادة مطيع وهذا التّفسير
اولى قال ابن عبّاس وابن مسعود ما زاد داود على ان قال
للرّجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله تعالى
على ذلك ونبّهه عليه وانكر عليه شغله بالدّنيا وهو الّذي
ينبغي ان يقول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته
وقيل بل احبّ بقلبه ان يستشهد وحكى السّمرقندي انّ
ذنبه الّذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك
فظلّمه بقول خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود
من ذلك ذهب احمد بن نصر وابو تمّام وغيرهما من المحقّقين
وقال الدّاودي ليس في قصّة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن
بنبيّ محبّة قتل مسلم وقيل انّ الخصمين الّذين اختصما اليه
رجلان في نفاج غنم على ظاهر الاية واما قصّة يوسف
واخوته فليس على يوسف منها تعقّب واما اخوته فلم تثبت

وقيل انما خشيه على نفسه من الفتنة
بما بسط له من الملك والدنيا

نبوّتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدوهم في القرآن
عند ذكر الانبياء قال المفسّرون يريد من نبيّ من انبياء الاسباط
وقد قيل انّهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوا صغار
الاسنان ولهذا لم يميّزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا
قالوا ارسله معنا غدًا يرتع ونلعب فان ثبت لهم نبوّة
فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه ولقد همّت به
وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربّه فعلى طريق كثير من الفقهاء
والمحدّثين انّ هم النفس لا يؤاخذ به وليست بسيّئة لقوله
صلّى الله عليه وسلّم عن ربّه عزّ وجلّ اذا هم عبدي بسيّئة
فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همّ اذًا واما
على مذهب المحقّقين من الفقهاء والمتكلّمين فانّهم اذا اوطنت
عليه النفس سيّئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفوّ عنه وهذا هو الحقّ فيكون ان شاء الله هم
يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرّئ نفسي الاية اى ما ابرّئها
من هذا الهمّ ويكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكّى قبل وبرّى فكيف وقد حكى ابو حاتم
عن ابى عبيدة انّ يوسف لم يهمّ وانّ الكلام فيه تقديم
وتأخير اى ولقد همّت به ولولا ان رأى برهان ربّه بها وقد
قال تبارك وتعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقد قال تعالى كذلك لنصرف عنه السّوء والفحشاء وقال
وغلّقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انّه ربّي
احسن مثواى الاية قيل في ربّي الله تعالى وقيل الملك وقيل
همّ بها اى بزجرها ووعظها وقيل همّ بها اى غمّها امتناعه

عنها

غنها وقيل همّ بها اى نظر اليها وقيل همّ بضربها ودفعها وقيل
هذا كلّه كان قبل نبوّته وقد ذكر بعضهم ما زال النّساء يملن
الى يوسف ميل شهوة حتّى نبّاه الله تعالى فالقى عليه هيبة
النّبوّة فشغلت هيبته كلّ من رآه عن حسنه واما خبر
موسى عليه السّلام مع قتيله الّذى وكزه فقد نصّ الله تعالى
انّه من عدوّه قيل كان من القبط الّذين على دين فرعون ودليل
السّورة فى هذا كلّه انّه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه
بالعصا ولم يتعمّد قتله فعلى هذا لا معصية فى ذلك وقوله
هذا من عمل الشّيطان وقوله ظلمت نفسى فاغفر لى قال ابن
جريج قال ذلك من اجل انّه لا ينبغى لنبىّ ان يقتل حتّى يؤمر
وقال النّقّاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانّما وكزه وكزة
يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل انّ هذا كان قبل النّبوّة
وهو مقتضى التّلاوة وقوله تعالى فى قصّته وفتنّاك
فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل فى هذه القصّة
وما جرى له مع فرعون وقيل لقاؤه فى التّابوت واليتم وغير
ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد
من قولهم فتنت الفضّة فى النّار اذا خلّصتها واصل الفتنة
الاختبار واظهار ما بطن الّا انّه استعمل فى عرف الشّرع
فى اختبار يؤدّى الى ما يكره وكذلك ما روى فى الخبر
الصّحيح من انّ ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السّلام بالتعدّى وفعل
ما لا يجب اذ هو ظاهر الامر بيّن الوجه جائز الفعل لانّ موسى
دافع عن نفسه من اتاه لا تلافها وقد تصوّر له فى صورة

ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه
عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة
التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى له فلما جاءه
بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين
والمتاخرين عن هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي
وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله
قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة دفعا عين
حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
واما قصة سليمان عليه السلام وما حكي فيها اهل التفسير
من ذنبه وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه
وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن ياتين
بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله
فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل
قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق
هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي
عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا
وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق
لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض
نسائه ولا يصح ما قاله الاخباريون من تشبه الشيطان

به وتسلّط على ملكه وتصرّفه فى امّته بالجور فى حكمه لانّ
الشّياطين لا يسلّطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء
من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان فى القصّة المذكورة
ان شاء الله فعنه اجوبة اسدّها ما روى فى الحديث الصّحيح
انّه نسى ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثّانى انّه
لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله هب لى ملكا لا ينبغى لاحد
من بعدى لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدّنيا ولا نفاسة بها
ولكن مقصده فى ذلك على ذكره المفسّرون ان لا يسلّط عليه
احد كما سلّط عليه الشّيطان الّذى سلبه اياه مدّة امتحانه
على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان تكون له من الله تعالى
فضيلة وخاصّة يختصّ بها كاختصاص غيره من انبياء الله
ورسله بخواصّ منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجّة على نبوّته
كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمّد
صلّى الله عليه وسلّم بالشّفاعة ونحو هذا اللّفظ واما قصّة
نوح عليه السّلام فظاهرة العذر وانّه اخذ فيها بالتّاويل
وظاهر اللّفظ لقوله تعالى انّا منجوك واهلك فطلب مقتضى
هذا اللّفظ واراد علم ما طوى عنه من ذلك لانّه شكّ فى
وعد الله تعالى فبيّن الله تعالى علته انّه ليس من اهل الّذين
وعد بنجاتهم لكفره وعمله الّذى هو غير صالح وقد اعلمه
انّه مغرق الّذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ
بهذا التّاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربّه
بسؤاله ما لم يؤذن له فى السّؤال فيه وكان نوح عليه السّلام
فيما حكاه النّقّاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل فى الاية غير هذا

وكل هذا لا يقضى على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من
تأويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه ولا نهى عنه
وما روى في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل
فاوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة واحدة احرقت
امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضى ان هذا
الذى اتاه معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يؤذى
جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبى
كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها
مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله تعالى اليه
ما يوجب معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفى
كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله
انما كان لاجل انها آذته هو فى حاصته فكان انتقاما لنفسه
وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يأت
فى كل هذا امرا نهى عنه فيعصى به ولا نص فيما اوحى الله
اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان
قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام ما من احد الا انه
بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال عليه الصلاة وكملا
فالجواب عنه ما تقدم من ذنوب الانبياء التى وقعت عن غير
قصد وعن سهو وغفلة فصل فان قلت فاذا نفيت
عنهم صلوات الله عليهم وسلامه الذنوب والمعاصى
بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين فما معنى
قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر فى القرآن
والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم واستغفارهم

وبكائهم

ويكاثرهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب
ويستغفر من لا شئ فاعلم وفقنا الله تعالى واياك ان درجة
الانبياء عليهم السلام فى الرفعه والعلو والمعرفة بالله تعالى
وسنته فى عباده وعظيم سلطانه وقوته بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به
غيرهم وانهم فى تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها
ثم اخذوا عليها وعوتبوا بسببها اوخذروا من المؤاخذة بها
واتوها على وجه التأويل او السهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى على
منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها كذنوب
غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشئ الدنى الرذل
ومنه ذنب كل شئ اى اخره واذناب الناس رذالهم فكان هذا
ادنى افعالهم واسوأ ما يجرى من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر
الظاهر والخفى والخشية لله تعالى واعظامه فى السر والعلانية
وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش بما يكون بالاضافة
اليه هذه الهنات فى حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين اى يرونها بالاضافة الى على احوالهم كالسيئات
وكذلك العصيان ترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظة كيف
ما كانت من سهو وتاويل فهى مخالفة وترك وقوله غوى اى
جهل ان تلك الشجرة هى التى نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطأ
ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف
عليه السلام قد اوخذ بقوله لاحد صاحبى السجن اذكرنى

عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع
سنين قيل انسي يوسف ذكر الله تعالى وقيل انسي صاحبه
ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لو لا كلمة
يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك
يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك
فقال يا رب انسي قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء
بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويتجاوز عن سائر الخلق لقلة
مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال
المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء
يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان
وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا في هذا اسوأ حالا من غيرهم
فاعلم اكرمك الله تعالى انا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد
مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون
ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم
له سببا لمماتة رتبهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه
وهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى
تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة
سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى قوله وحسن مآب قال بعض
المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات
وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فليتنبه غيرهم من البشر
ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر و
يعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر
على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم

فكيف

فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين
قال ابن عطاء لم يكن ما نصّ الله تعالى من قصّة صاحب الحوت
نقصاً له ولكن استزادة من نبيّنا عليه الصلاة والسلام
وايضاً فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر
باجتناب الكبائر ولا خلاف بعصمة الانبياء عليهم السلام من
الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا
فما معنى المؤاخذة بها اذاً عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم منها
وهي مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة
بافعال السهو والتأويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبيّ
صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء عليهم السلام
على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير
شكراً لله تعالى على نعمه كما قال صلى الله عليه وسلم وقد امن من
المؤاخذة بما تقدم وتاخر افلا اكون عبداً شكوراً وقال انى
لاخشاكم لله واعلمكم بما اتقى قال الحرث بن اسد خوف الملائكة
والانبياء عليهم السلام خوف اعظام وتعبّد لله تعالى لانهم آمنون
وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم وتستنّ بهم امتهم كما قال
صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم
كثيراً وايضاً فانّ فى التوبة والاستغفار معنىً آخر لطيفاً
اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبّة الله تعالى قال
الله تعالى انّ الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهّرين فاحداث
الرسل والانبياء الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة
فى كلّ حين استدعاء لمحبّة الله تعالى والاستغفار فيه
معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام

بعد ان غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر لقد تاب الله على
النبيّ والمهاجرين والانصار وقال فسبّح بحمد ربّك واستغفره
انّه كان توّابا فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قرّرناه
ما هو الحقّ من عصمته عليه الصلاة والسلام عن الجهل بالله
تعالى وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشئ من ذلك كلّه
جملة بعد النبوّة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ولا بشئ ممّا قرّره
صلّى الله عليه وسلّم من امور الشرع وادّاه عن ربّه عزّ وجلّ
من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف
القول منذ نبّاه الله تعالى وارسله قصدا او غير قصد واستحالة
ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل
النبوّة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا
وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان
عليه فيما شرعه للامّة وعصمته في كلّ حالاته من رضا وغضب
وجدّ ومزح فيجب عليك ان تتلقّاه باليمين وتشدّ عليه
يد الضنين وتقدر هذه الفصول حقّ قدرها وتعلم عظيم
فائدتها وخطرها فانّ من يجهل ما يجب للنبيّ او يجوز
او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن ان يعتقد
في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف
اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوّة الدرك
الاسفل من النار اذ ظنّ الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه
يحلّ بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط صلّى الله عليه وسلّم
على الرجلين اللذين رآياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع
صفية فقال لهما انها صفية ثمّ قال لهما انّ الشيطان يجري

من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيأ
فتهلكا قال القاضي رضي الله عنه هذه اكرمك الله احدى
فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم
بجهله اذا سمع شيأ منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول
العلم وان السكوت اولا وقد استبان لك انه متعين للفائدة
التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه
وتبنى عليها مسائل لا تنعد من الفقه ويتخلص بها من
تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال
النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل
كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله
عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه
وعصمته من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم
في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسط بيانه
في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها
الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيأ
من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع
عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصنع في الفتيا في
ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما
ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع
حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف
ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة
عليهم السلام فصل في القول في عصمة الملائكة اجمع
المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين

ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا
عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم
كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت
طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعا
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله
وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن
المسبحون وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون الاية وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه
من التسميات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص
للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل
الاخبار والتفاسير نحن نذكرها بعد ونبين الوجه فيها
ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه ضبابهم
الرفيع عن جميع ما يحط من رتبهم ومنزلتهم عن جليل
مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة
بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان الكلام في ذلك
ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى
فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ها هنا
فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت
وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روى
عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله
تعالى ان هذه الاخبار لم يرو منها شئ لا سقيم ولا صحيح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيا يؤخذ

بقياس

بقياس والذى منه فى القرآن اختلف المفسرون فى معناه
وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما ستذكره وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافتراتهم كما نصه الله اول الايات
من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت
القصة على سنع عظيمه وها نحن نخبر فى ذلك ما يكشف غطاء
هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا فى هاروت
وماروت وهل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين
ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما فى قوله وما انزل
على الملكين وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين
ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان
علمه كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن
فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اى لا يقولان
لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه
ولا تحتالوا بكذا فانه سحر فلا تكفروا بفعلى هذا فعل الملكين طاعة
وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهى لغيرهما فتنة وروى
ابن وهب عن خالد بن ابى عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت
وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقراء بعضهم
وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على
جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر غيره انه
ما زوجهما فى تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وامتحان من الله
تعالى وابتلاء فكيف لا ننزههما عن كبائر المعاصى والكفر المذكورة
فى تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول
ابن عباس قال مكى وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد السحر

الذى افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم فى ذلك اليهود
وما انزل على الملكين قال مكى قيل هما جبريل وميكائيل ادعى
اليهود عليهما المجئ به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله تعالى
فى ذلك بقوله ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر
ببابل هاروت وماروت وقيل هما رجلان تعلماه قال الحسن
هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين
بكسر اللام وتكون ما ايجاباً على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن
بن ابزا بكسر اللام ولكنه قال الملكان هاهنا داود وسليمان
وتكون ما نفياً على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بنى اسرائيل
فمسخهما الله تعالى حكاه السمرقندى والقراءة بكسر اللام
شاذة فتحمل الاية على تقدير ابى محمد مكى حسن ينزه الملائكة
ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيراً وقد وصفهم الله تعالى
بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما
يذكرونه قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيساً فيهم
ومن خزان الجنة الى آخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة
بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضاً لم يتفق عليه بل الاكثرون
ينفون ذلك وانه ابو الجن ان آدم ابو الانس وهو قول الحسن
وقتادة ابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم
الملائكة فى الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس
شائع فى كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى مالهم به من علم
الا اتباع الظن ومما رووه فى الاخبار ان خلقاً من الملائكة
عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لآدم فابوا فحرقوا
ثم آخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله تعالى الا ابليس

في اخبار لا اصل لها ترد ها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها

الباب الثاني فيما يختصهم صلوات الله وسلامه عليهم
في الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية قد قدمنا
انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والرسل عليهم السلام
من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات
والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على
البشر وهذا كله ليس بنقيصة لان الشئ انما سمي ناقصا بالاضافة
الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله تعالى على اهل
هذه الدار فيها محيون وفيها تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع
البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه الصلاة والسلام واشتكى
واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط
فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقى السم وسحر تداوى
واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفى صلى الله عليه وسلم
ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه
سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء
عليهم السلام ما هو اعظم منها فقتلوا قتلا ورموا في النار
ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله تعالى ذلك في بعض الاوقات
ومنهم من عصمه كما عصم نبينا صلى الله عليه وسلم من
الناس فلئن لم يكف نبينا ربه يدا بن قميئة يوم احد ولا حجبه
عن عيون عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على
عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف عوذ ث
وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم

فلقد وقاه ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر الانبياء
مبتلى ومعافى وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم فى هذه
المقامات ويبين امرهم وتتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم
بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا
بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى ابن مريم
وليكون فى محنهم تسلية لامهم ووفور فى اجورهم عند ربهم
تماما على الذى احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ
والتغييرات المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود
بها مقاومة البشر ومعاناة بنى آدم لمشاكلة الجنس واما
بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة
بالملاء الاعلى والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحى منهم
قال وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام
قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى
وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بى فاخبر ان سره وباطنه
وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التى تحل ظاهره
من ضعف وجوع وسهو ونوم لا يحل شئ منها باطنه بخلاف
غيره من البشر فى حكم الباطن لان غيره اذا نام استغرق النوم
جسمه وقلبه وهو عليه الصلاة والسلام فى نومه حاضر
القلب كما هو فى يقظته حتى قد جاء فى بعض الاثار انه كان محروسا
من الحدث فى نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك
غيره اذا اجاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت
بالكلية جملته وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه
ذلك وانه بخلافهم لقوله انى لست كهيئتكم انى ابيت

يطعمنى ربى

يطعمني ربي ويسقيني وكذلك اقول انه في هذه الاحوال كلها
من وصب ومرض وسحر وغضب لم يجز على باطنه ما يخل به
ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعترى
غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه فصل فان قلت
فقد جاءت الاخبار الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم سحر كما
حدثنا الشيخ ابو محمد العتقاني بقراءتي عليه حدثنا حاتم ابن
محمد حدثنا ابو الحسن علي بن خلف حدثنا محمد بن احمد
حدثنا محمد بن يوسف حدثنا البخاري حدثنا عبيد بن اسمعيل
حدثنا ابو اسامة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه
انه فعل الشئ وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان يخيل اليه
انه ياتي النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس
الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك
وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله تعالى واياك
ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة و
تذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك
في الشرع وقد نزه الله تعالى الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم
عما يدخل في امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض وعارض
من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح
في نبوته واما ما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يخيل اليه
انه فعل الشئ ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة
في شئ من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل
والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه

فى امور دنياه التى لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها
وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل
اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم يجلى عنه كما كان ايضا
فقد فسر هذا الفضل الحديث الاخر من قوله حتى يخيل اليه
انه يأتى اهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا اشد ما يكون
من السحر ولم ير فى خبر منها انه نقل عنه فى ذلك قول يخالف
ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات
وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يخيل اليه الشئ انه فعله
وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه
لا يمتنا من الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى
كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع
لكنه قد ظهر لى فى الحديث تاويل اجلى وابعد من مطاعن
ذوى الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق
قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة ابن الزبير
وقال عنهما سحر يهود بنى زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعلوه فى بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر
بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه
عن الواقدى وعن عبد الرحمن ابن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن
عطاء الخراسانى عن يحيى بن يعمر جنس رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد
احدهما عند رأسه والاخر عند رجليه الحديث وقال
عبد الرزاق جنس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة

حاشية سنة

حاصة سنة حتى انكر بصره وروى البيهقي عن محمد بن سعيد
عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس
عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر
القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر
انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله
وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطئ نسائه وطعامه وضعف
جسمه ومرضه ويكون معنى قوله يخيل اليه انه يأتي اهله
ولا يأتيهن اي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة
على النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن
كما يعترى من اخذوا عترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان
بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة
في الرواية الاخرى انه يخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله
من باب ما اختل من بصره وكما ذكر في الحديث فيظن انه رأى
شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن
على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشئ اطرأ
عليه في ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له
وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا
فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا
فنحن نسبرها على اسلوبنا المتقدم بالعقد والقول والفعل
اما العقد منها فقد يعتقد في امور الدنيا الشئ على وجه
ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن بخلاف امور الشرع
كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي وغيره واحد سماعا وقراءة
قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس

الرّازى حدّثنا احمد بن عمرويه حدّثنا ابن سفيان حدّثنا
مسلم حدّثنا عبد الله ابن الرّومىّ وعبّاس العنبرىّ واحمد
المعقرىّ قالوا حدّثنا النّضر بن محمّد قال حدّثنى عكرمة
حدّثنا ابو النّجاشىّ حدّثنا رافع بن خديج قال قدم رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة وهم يأبرون النخل فقال
عليه الصّلاة والسّلام ما تصنعون قالوا كنّا نصنعه قال
لعلّكم لو لم تفعلوا كان خيرًا فتركوه فنقصت فذكروا ذلك
له فقال انّما انا بشر اذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا امرتكم
بشئ من رأيى فانّما انا بشر وفى رواية انتم اعلم بامر دنياكم
وفى حديث آخر انّما ظننت ظنًّا فلا تؤاخذونى بالظّنّ وفى
حديث ابن عبّاس فى قصّة الخرص فقال رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم انّما انا بشر فما حدّثتكم عن الله فهو حقّ وما قلت
فيه من قبل نفسى فانّما انا بشر اخطئ واصيب وهذا على
ما قرّرناه فيما قاله من قبل نفسه فى امور الدّنيا وظنّه من
احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده فى شرع شرعه
وسنّة سنّها وكما حكى ابن اسحق انّه صلّى الله عليه وسلّم
لمّا نزل بادنا مياه بدرٍ قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل
انزلكه الله ليس لنا ان نتقدّمه ام هو الرّأى والحرب والمكيدة
فقال لا بل هو الرّأى والحرب والمكيدة قال فانّه ليس بمنزل
انهض حتّى نأتى ادنا ماءٍ من القوم فننزله ثمّ نغوّر ما وراءه
من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرّأى وفعل
ما قاله وقد قال الله تعالى له وشاورهم فى الامر وارادة
مصالحة بعض عدوّه على ثلث ثمر المدينة فاستشار

الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه
من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها
ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا كله نقيصة
ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها
همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم مشحون القلب
بمعرفة الربوبية ملأن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال
بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا انما يكون في
بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن باهماله والغفله وقد
تواتر النقل عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا
ودقايق مصالحها وسياسة فرقاها ما هو معجز في البشر
مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب فصل
واما ما يعتقده صلى الله عليه وسلم في امور احكام البشر
الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم
المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله صلى الله عليه وسلم
انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن قضيت له
من حق اخيه بشئ فلا يأخذ منه شيأ فانما اقطع له قطعة
من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله حدثنا الحسين
بن محمد الحافظ حدثنا ابو عمر حدثنا ابو محمد حدثنا ابو بكر
حدثنا ابو داود حدثنا محمد بن كثير اخبرنا سفيان عن هشام
بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن ام سلمة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفي رواية الزهري

عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه
صادق فاقضي له وتجري احكامه صلى الله عليه وسلم على الظاهر
وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد ويمين الحالف ومراعات
الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله تعالى
في ذلك فانه لو شاء لاطلعه الله على سرائر عباده ومحبات
ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى
اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما امر الله تعالى امته
صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله
وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله
تعالى به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت
حجة بقضية من قضاياه لاحد من شريعته لانا لا نعلم ما اطلع
عليه هو في تلك القضية لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من
اعلام الله تعالى له بما اطلعه عليه من سرائرهم وهذا مما لا تعلمه
الامة فاجرى الله تعالى حكامه على ظواهرهم التي يستوي فيها هو وغيره
من البشر ليتم اقتداء امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه
ويأتون ما تؤمن ذلك على علم ويقين من سنته اذ البيان
بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتاويل المتاول
فكان حكمه على الظاهر اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام
واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك
كله حكام امته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون
شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي استاثر به عالم
الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه
منه بما شاء ويستاثر بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم

عروة من عصمته فصل واما اقواله الدنيوية من اخباره
عن احواله واحوال غيره وما يفعله اوفعله فقد قدمنا
ان الخلف فيها ممتنع عليه فى كل حال وعلى اى وجه من عمد اوسهو
اوصحة اومرض اورضا اوغضب وانه معصوم منه صلى الله
عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق
والكذب فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز
ورودها منه فى الامور الدنيوية لاسيما لقصد المصلحة كتوريته
عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو حذره وكما روى من ممازحته
ودعابته لبسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته
وتاكيدا فى محبتهم ومسرة نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم
لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التى سألته عن زوجها
اهو الذى بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن
ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال صلى الله عليه وسلم
انى لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما ابه الخبر فاما ما ابابه
غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهى فى الامور الدنيوية
فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشئ او ينهى
احدا عن شئ وهو يبطن خلافه وقد قال صلى الله عليه وسلم
ما كان لنبى ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خائنة
قلب فان قلت فما معنى اذ قوله تعالى له فى قصة زيد واذ تقول
للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية
فاعلم اكرمك الله ولا تسترب فى تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم
عن هذا الظاهر وان يأمر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما فى هذا ما حكاه

اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه
صلى الله عليه وسلم ان زينب ستكون من ازواجه فلما
شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله
واخفى منه فى نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها ثم الله
تعالى مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى
نحوه عمرو بن فائد عن الزهرى قال نزل جبريل على النبى صلى الله
عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش
فذلك الذى اخفى فى نفسه ويصح هذا قول المفسرين فى قوله تعالى
بعد هذا وكان امر الله مفعولا اى لا بد لك ان تزوجها ويوضح
هذا ان الله لم يبد من امره صلى الله عليه وسلم معها غير
زواجه لها فدل انه الذى اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان
اعلمه به تعالى وقوله تعالى فى القصة ما كان على النبى من حرج
فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن حرج فى الامر
قال الطبرى ما كان الله تعالى ليؤثم نبيه فيما احل مثال فعله
لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله فى الذين خلوا من قبل
اى من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روى فى حديث
قتادة من وقوعها فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم عند
ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج
وما لا يليق به من مد عينيه الى ما نهى عنه من زهرة الحيوة
الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا
يتسم به الاتقياء فكيف سيد الانبياء عليه وعليهم
الصلاة والسلام قال القشيرى وهذا اقدام عظيم من قائله
وقلة معرفة بحق النبى صلى الله عليه وسلم وبفضله

وكيف يقال

وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها
منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم
وهو زوجها لزيد وانما جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزويج
النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال
سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال
ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله
عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله
عليه وسلم انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن
طلاقها اذ لم يكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله
تعالى به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه
فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى
لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وقد قيل
كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها
وهذا اذا جوزنا عليه انه رآها فجاءة واستحسنها ومثل هذا
لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن آدم من استحسانه للحسن ونظرة
الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها
وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى
ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن
عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول
ابو بكر ابن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل
التفسير قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال
النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله تعالى

عن ذلك بقوله تعالى ماكان على النبى من حرج فيما فرض الله
له قال ومن ظن ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد اخطأ
وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اى
يستحيى منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته صلى
الله عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود
وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه
عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه الله تعالى على هذا
ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة
رضى ازواجه فى سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما احل الله
لك الاية كذلك قوله تعالى له ها هنا وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه وقد روى عن الحسن وعائشة لو كتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيأ لكتم هذه الاية لما فيها من
عتبه وابداء ما اخفاه فصل فان قلت قد تقررت
عصمته صلى الله عليه وسلم فى اقواله فى جميع احواله و
انه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب فى عمد ولا سهو
ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضا ولا غضب
فما معنى الحديث فى وصيته صلى الله عليه وسلم الذى
حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله حدثنا القاضى
ابو الوليد حدثنا ابو ذر حدثنا ابو محمد وابو الهيثم
وابو اسحق قالوا حدثنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسمعيل
حدثنا على بن عبد الله حدثنا عبد الرزاق بن همام عن
معمر عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس
قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت

رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا
لن تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني اكتب لكم
كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا فقالوا ماله اهجر استفهموه
فقال دعوني فالذي انا فيه خير وفي بعض طرقه ان النبي صلى
الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا
وفيه فقال عمر ان النبي صلى الله وسلم قد اشتد به الوجع و
وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني وفي
رواية واختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول
قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم
من يقول ما قال عمر قال ايمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله
عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها
من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم
ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في حجته ويؤدي
الى فساد في شريعته من هذيان او اختلال في كلام وعلى هذا
لا يصح ظاهر رواية من روى في هذا الحديث هجرا ذا معناه
هذى يقال هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر
تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق الانكار على من
قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية
جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن
سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه
وغيره من هذه الطرق وكذا رويناه عن مسلم في حديث
سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر

على حذف الالف الاستفهام والتقدير اهجر او ان يحمل قول
القائل هجرا او هجر دهشة من قائل ذلك وحيرة عظيم
ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة
وجعه وهول المقام الذى اختلف فيه عليه والامر الذى هم
بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر
مجرى شدة الوجع لانه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما
حملهم الاشفاق على حراسته والله تعالى يقول والله
يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجر او هى
رواية ابى اسحاق المستملى فى الصحيح فى حديث ابن جبير
عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا
الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم
من بعضهم اى جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم الهاء
الفحش فى المنطق وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث
وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه الصلاة والسلام بأن
يأتوه بالكتاب فقال بعضهم اوامر النبى صلى الله عليه
وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها بقرائن فلعل
قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم ما فهموا
لم تكن منه عزمة بل امر ردده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم
ذلك فقال استفهموا فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن عزمة
ولما رواه من صواب رأى عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون
امتناع عمر امتثالا اشفاقا على النبى صلى الله عليه وسلم من
تكليفه فى تلك الحال املاء الكتاب وان تدخل عليه مشقة

من ذلك

من ذلك كما قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به
الوجع وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها
فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى ان الارفق بالامة
في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر تقرر الشرع
وتأسيس الملة وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم
وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بكتاب الله وعترتي
وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على امر النبي
صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان عمر خشي تطرق المنافقين
ومن في قلبه مرض لما يكتب في ذلك الكتاب في الخلوة وان
يتقولوا في ذلك الاقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير
ذلك وقيل انه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق
المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك ام يختلفون فلما
اختلفوا تركه وقالت طائفة اخرى ان مع الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه
لانه ابتدأ بالامر به بل اقتضاء منه بعض اصحابه فاجاب
رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل
في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطق بنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر فينا علمناه وكراهة
علي هذا وقوله والله لا افعل الحديث واستدل بقوله دعوني
فان الذي انا فيه خير اي الذي انا فيه خير من ارسال الامر
وتركهم وكتاب الله وان تدعوني مما طلبتم وذكر ان الذي طلب
كتابة امر الخلافة وتعيين ذلك فصل فان قيل فما وجه

حديثه ايضاً الذى حدّثناه الفقيه ابو محمّد الحشنى بقراءتى
عليه حدّثنا ابو علىّ الطبرى حدّثنا عبد الغافر الفارسى
حدّثنا ابو احمد الجلودى حدّثنا ابرهيم بن سفيان حدّثنا
مسلم بن الحجّاج حدّثنا قتيبة حدّثنا ليث عن سعيد ابن
ابى سعيد عن سالم مولى النصريّين قال سمعت ابا هريرة يقول
سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول اللّهمّ انما محمّد
بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهداً
لن تخلفنيه فايّما مؤمن آذيته او سببته او جلدته فاجعلها
له كفّارةً وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفى رواية ايّما
احد دعوت عليه دعوة وفى رواية ليس لها باهل وفى رواية
فايّما رجل من المسلمين سببته او لعنته او جلدته فاجعلها له
زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصحّ ان يلعن النّبىّ صلّى الله
عليه وسلّم من لا يستحقّ اللّعن ويسبّ من لا يستحقّ السّبّ
ويجلد من لا يستحقّ الجلد او يفعل مثل ذلك عند الغضب
وهو معصوم من هذا كلّه فاعلم شرح الله صدرك ان قوله
صلّى الله عليه وسلّم اولا ليس لها باهل اى عندك يا ربّ
فى باطن امره فانّ حكمه عليه الصّلاة والسّلام على الظّاهر
كما قال لحكمة الّتى ذكرناها فحكم صلّى الله عليه وسلّم بجلده
او ادّبه بسببه او لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثمّ دعا
صلّى الله عليه وسلّم لشفقته على امّته ورأفته ورحمته
للمؤمنين الّتى وصفه الله تعالى بها وخذرة ان تتقلّ فيمن
دعا عليه دعوته ان يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو
معنى قوله ليس لها باهل لانّه صلّى الله عليه وسلّم يحمل الغضب

ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم
وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب
البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد
بهذا ان الغضب لله تعالى حمله على معاقبته بلعنه او سبه
وانه كان مما يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة
فيه والعفو عنه وقد يحمل انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته
الخوف والحذر من تعدى حدود الله تعالى وقد يحمل ما ورد
من دعائه صلى الله عليه وسلم هنا ومن دعوآته على غير واحد
فى غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة
العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله صلى الله عليه وسلم
تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها
من دعواته وقد ورد فى صفته فى غير حديث انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا فاحشا
ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ماله ترب جبينه فيكون
حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق صلى الله عليه وسلم
من مواقعة امثالها اجابة فعاهد ربه تعالى كما قال فى الحديث
ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك
اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار
الخوف والحذر من لعن النبى صلى الله عليه وسلم وتقبل
دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه
صلى الله عليه وسلم لربه تعالى لمن جلده او سبه على حق وبوجه
صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان
تكون عقوبته له فى الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء

فى الحديث الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة
فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبى صلى الله عليه وسلم
له حين تخاصمه مع الانصارى فى شراج الحرة اسق يا زبير
حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصارى ان كان ابن عمتك
يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث
فالجواب ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس
منه فى هذه القصة امر بريب ولكنه صلى الله عليه وسلم
ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط
والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما لا يجب استوفى
النبى صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخارى
على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم
عليه بالحكم وذكر فى آخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا
الحديث اصلا فى قضيته وفيه اقتداء به صلى الله عليه
وسلم فى كل ما فعله فى حال غضبه ورضاه وانه وان نهى
اى يقضى القاضى وهو غضبان فانه فى حكمه فى حال الغضب
والرضا سواء لكونه معصوما وغضب النبى صلى الله عليه
وسلم فى هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء فى الحديث
الصحيح وكذلك الحديث فى قادته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعمد حمله الغضب عليه بل وقع فى الحديث نفسه انه
عكاشة قال له وضربتنى بالقضيب فلا ادرى اعمدا ام اردت
ضرب الناقة فقال النبى صلى الله عليه وسلم اعمدك يا عكاشة

ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في
حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب صلى الله عليه وسلم
الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه
ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلاث مرات
وهذا منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يقف عند نهيه
صواب وموضع ادب لكنه صلى الله عليه وسلم اشفق
اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث
سواد بن عمرو اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا متخلق فقال ودس ودس حط حط وغشيني بقضيب
في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله
فكشف لي عن بطنه انما ضربه صلى الله عليه وسلم
لمنكر راه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه
فلما كان منه ايجاع لم يقصد طلب التحلل منه على ما قدمناه
فصل واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية
فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح
في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على
السداد والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات
والقرب على بينا اذ كان صلى الله عليه وسلم لا يأخذ منها لنفسه
الا ضرورته وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها
يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه

وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او برّ يوسّعه
او كلام حسن يقوله او ليسمعه او تآلف شارد او قهر معاند
او مداراة حاسد وكلّ هذا لاحق بصالح اعماله منتظم في زاكي
وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدّنيوية بحسب
اختلاف الاحوال ويعدّ للامور اشباهها ويركب في تصرّفه
لما قرب الحمار وفي اسفاره الرّاحلة ويركب البغلة في معارك
الحرب وليلا على الثبات ويركب الخيل وبعدها ليوم الفزع
واجابة الصّارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله بحسب
اعتبار مصالحه ومصالح امّته وكذلك يفعل الفعل من
امور الدّنيا مساعدة لامّته وسياسة وكراهية لخلافها
وان كان قديرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد
يفعل هذا في الامور الدّينية مما له الخيرة في احد وجهيه
كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصّن بها
وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم
ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول النّاس
انّ محمّدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابراهيم عليه السّلام مراعاة لقلوب قريش
وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك
وتحريك متقدّم عداوتهم للدّين واهله فقال لعائشة
في الحديث الصّحيح لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت
على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثمّ يتركه لكون غيره خيرا
منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدوّ من قريش
وكقوله عليه الصّلاة والسّلام لو استقبلت من امري

ما استدبرت

ما استدبرت ما سقت الهدى ويبسط وجهه للعدو والكافر
رجاء استبلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس
من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته
ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى الخادم من مهنته ويتمت
في ملائه حتى لا يبذ ومنه شئ من اطرافه وحتى كان على رؤس
جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديثا وهم ويتعجب
مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس
بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا يقصر عن الحق ولا
يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين
فان قلت فما معنى قوله لعائشة في الذاخل عليه بئس ابن العشيرة
فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سألته عن ذلك قال
ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له
خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله
صلى الله عليه وسلم كان استبلافا لمثله وتطييبا لنفسه
ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله
فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج
من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستألفهم
باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد
اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب
الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف
ما عامله منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه
كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا

في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين
في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث بريرة
ابوبعها الا ان يكون لهم الولاء فقال صلى الله عليه وسلم
لها اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا
فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه
وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم
لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا ذلك
عليها ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو قد حرم الغش
والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي عليه
الصلاة والسلام عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة
قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع
ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى
اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها فعلى هذا اشترطي
عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك
ووجه ثان ان قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء
ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه
لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان
الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي ولا تشترطي فانه شرط
غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله
عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل

هذا الوجه

هذا الوجه الثالث ان معنى قوله عليه الصلاة والسلام
اشترطي لهم الولاء اى اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته
ان الولاء انما هو لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه
وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل
فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية
فى رحله واخذه باسم سرقتها وما جرى على اخوته فى ذلك
وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية
تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله تعالى لقوله تعالى
كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشاء الله
الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا
فان يوسف عليه السلام كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا تبتئس
فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين
من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك
واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف
فيلزم عليه جواب لحل شبهة ولعل قائله ان حسن له التأويل
كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم
قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير ذلك ولا يلزم ان نقول
الانبياء ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم
الاعتذار عن لات غيرهم فصل فان قيل فما الحكمة فى
اجراء الامراض وشدتها عليه صلى الله عليه وسلم وعلى غيره
من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كأيوب
ويعقوب ودانيال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف

وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واجتباؤه
واصفياؤه فاعلم وفقنا الله وإياك ان افعال الله تعالى
كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي
عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وليعلم الصابرين ولنبلوكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ويبلوا اخباركم فامتحانه
اياهم بضروب من المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم
واسبابا لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم
والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتاكيدا لبصائرهم
ورحمة للممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم
وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم ويتسلوا في المحن
بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو السهنات فرطت
منهم او غفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين
مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا
القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو
الفضل ابن خيرون قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي حدثنا
ابو علي السنجي حدثنا محمد بن محبوب حدثنا ابو عيسى الترمذي
حدثنا قتيبة حدثنا حماد ابن زيد عن عاصم بن بهدلة عن
مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس
اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل
على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي
على الارض ما عليه خطيئة وكما قال الله تعالى وكاين من نبي
قتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة ما يزال

البلاء بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه
خطيئة وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبد الشر
امسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيمة وفي حديث آخر
اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي
ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين
فضله ويستوجب الثواب كما روى عن لقمان انه قال يا بني الذهب
والفضة يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكى
ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه التفاته في صلاته
اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه
يوسف على اكل جدي مشوي وهما يضحكان وكان لهما جار يتيم
فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه
وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب
بالبكاء على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي
على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند يعقوب وعوقب
يوسف بالمحنة التي نص الله عليها وروى عن الليث ان سبب
بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه
واغلظوا عليه الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه
الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من تمنيه من كون الحق
في جنبة اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده
وهذه فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه
وسلم قالت عائشة ما رأيت الوجع على احد اشد منه

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رأيت
النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا
فقلت انك لتوعك وعكا شديدا فقال اجل اني اوعك
كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجرين
قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد ان رجلا وضع
يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق
اضع يدي عليك من شدة حماك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي
ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر
وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء وعن انس
عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء
وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط
فله السخط وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا
يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة
وروى هذا عن عائشة وابي ومجاهد وقال ابو هريرة
عنه عليه الصلاة والسلام من يرد الله به خيرا يصب منه
وقال في رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم
الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وفي رواية
ابي سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم
ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله
بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه
اذى الا حات الله عنه خطاياه كما يحات ورق الشجر وحكمة
اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع

عليها

عليها وشدّتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم
فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عنهم مؤنة النزع
وشدّة السكرات بتقديم المرض وضعف الجسم والنفس
لذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد من اختلاف
احوال الموتى في الشدّة واللين والصعوبة وقد قال صلى الله
عليه وسلم مثل المؤمن مثل خامة الزرع تفيئها الريح هكذا
وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح تكفأوها
فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ومثل
الكافر كمثل الارزة صمّاء معتدلة حتى يقصمه الله معناه
ان المؤمن مرزأ مصاب بالبلاء والامراض رائض بتصريفه
بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه
كطاعة خامة الزرع وانقيادها للريح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المؤمن رياح
البلايا واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون
رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلابه
منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدّت عليه سكراته ونزعه
لعادته بما تقدمه من الالام ومعرفة ماله فيها من الاجر
وتوطينه نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي
المرض وشدّته والكافر بخلاف هذا معافى في غالب حاله
ممتّع بصحة جسمه كالارزة الصمّاء حتى اذا اراد الله هلاكه
قصمه لحينه على غرّة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق
فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه مع قوة نفسه

وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كالخفاف
الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وكذلك عادة الله في اعدائه كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
الاية ففجأ جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم
به على غير استعداد بغتة ولهذا ماكره السلف موت الفجأة
ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذه كاخذة الاسف
اى الغضب يريد موت الفجأة وحكمة ثالثة ان الامراض
تذير الموت وبقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت
فيستعد من اصابته وعلم تعاهدها له للقاء ربه ويعرض
عن دار الدنيا الكثيرة الانكار ويكون قلبه معلقا بالمعاد
فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد
ويؤد الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية
في من يخلفه او امر يعهده ولهذا نبينا صلى الله عليه وسلم
للمغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قد طلب المتنصل
في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن او اقاد من
نفسه وماله وامكن من القصاص منه على ما ورد في حديث
الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله
وعترته وبالانصار غيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل
امته بعده اما في النص على الخلافة او انه اعلم مراده ثم راى
الامساك عنه افضل وخيرا ولهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
واوليائه المتقين ولهذا كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله
لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون

قال الله تعالى

قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم فى رجل مات فجاءت فسبحان الله
كانه على غضب المحروم من حرم وصيته وقال صلى الله عليه
وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر
وذلك لان الموت يأتى المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر
لحلوله فهان امره عليه كيفما جاء وافضى الى راحته من
نصب الدنيا واذاها كما قال صلى الله عليه وسلم مستريح
ومستراح منه وتأتى الكافر والفاجر منيته على غير استعداد
ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة
فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت
اشد شئ عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه واكره شئ له
والى هذا المعنى اشار صلى الله عليه وسلم بقوله من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع فى تصرف الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلاة والسلام

قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد تقرر من الكتاب والسنة
واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله عليه وسلم وما
يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى
اذاه فى كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين
وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
فى الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان

راعنا وقولوا

عند الله عظيما وقال تعالى في تحريم التعريض له يا ايها
الذين امنوا لا تقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك ان اليهود
كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك واسمع منا
ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله المؤمنين
عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهى المؤمنين عنها لئلا
يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل
بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع
لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبى
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها فى لغة الانصار بمعنى
أعنا نزعك فنهوا عن ذلك اذ مضمونها انهم لا يرعونه الا
برعايته لهم وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية بكل حال
وهو صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التكنى بكنيته فقال
تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى صيانة لنفسه وحماية عن
اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا
ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ
عن التكنى بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن
لم يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى
اذاه والازراء به فينا دونه فاذ التفت قالوا انما اردنا هذا
لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين
فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بكل وجه فحمل محققوا
العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته
لارتفاع العلة والناس فى هذا الحديث مذاهب ليس هذا
موضعها وما ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب

ان شاء الله تعالى

ان شاء الله تعالى وان فى ذلك على طريق تعظمه وتوقيره
وعلى سبيل التدب والاستحباب لا على التحريم ولذلك
لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه به بقوله لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون
يدعونه يا رسول الله ويا نبى الله وقد يدعوه بكنيته ابا القاسم
بعضهم فى بعض الاحوال وقد روى انس عنه صلى الله
عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمى باسمه وتنزيهه
عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم
وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبى
صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبرى وحكى
عن محمد بن سعد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول
له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر لابن اخيه محمد بن
زيد بن الخطاب لا ارى محمدا عليه الصلاة والسلام يسب
بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد
ان يمنع الناس لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما
لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم
امسك والصواب جواز هذا كله بعده صلى الله عليه
وسلم بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة
منهم ابنه محمدا وكناه بابى القاسم وروى ان النبى صلى الله
عليه وسلم اذن فى ذلك لعلى رضى الله عنه وقد اخبر
صلى الله عليه وسلم ان ذلك اسم المهدى وكنيته وقد
سمى به النبى صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن
حلزم ومحمد ثابت بن قيس وغير واحد وقال لهاضر احدكم

ان يكون فى بيته محمد و محمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام فى
هذا القسم على ما بين كما قدمناه الباب الاول فى بيان ما هو
فى حقه صلى الله عليه وسلم سب او نقص من تعريض او نصّ
قال القاضى ابو الفضل رحمة الله اعلم وفقنا الله واياك
ان جميع من سبّ النبى صلى الله عليه وسلم ارعابه او الحق به
نقصا فى نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله
او عرّض به او شبهه بشئ على طريق السبّ له او الازراء
عليه او التصغير لشانه او الغضّ منه والعيب له فهو سابّ
له والحكم فيه حكم السابّ يقتل كما نبينه ولا نستثنى فصلا
من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمترى فيه تصريحا
كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرّة له
او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذمّ او عبث فى
جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او
وغيره بشئ ممّا جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض
العوارض البشريّة الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع
من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم
الى هلمّ جرا قال ابو بكر ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على
انّ من سبّ النبى صلى الله عليه وسلم يقتل وممّن قال
ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعى
قال القاضى ابو الفضل رحمة الله وهو مقتضى قول ابى بكر
الصدّيق رضى الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء ومثله
قال ابو حنيفة واصحابه والثورى واهل الكوفة والاوزاعى
فى المسلم لكنهم قالوا هى ردّة وروى مثله الوليد بن مسلم

عن مالك

عن مالك وحكى الطبرى مثله عن ابى حنيفة واصحابه فيمن
تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ منه او كذب به وقال
سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع
الخلاف فى استتابته وتكفيره وهل قتله حدام كفر كما
سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا
فى استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد
ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية
وهو ابو محمد على بن احمد الفارسى الى الخلاف فى تكفير المستخف
به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان
شاتم النبى صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد
جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك
فى كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد
الفقيه فى مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله
عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان
الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف فى وجوب قتله اذا
كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك فى كتاب سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه مطرف عن مالك فى كتاب ابن حبيب من
سب النبى صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب
قال ابن القاسم فى العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه
يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله
توقيره وبره وفى المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبى
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب
والامام مخير فى صلبه حيا او قتله ومن رواية ابى المصعب

وابن ابی اویس سمعنا مالکا یقول من سبّ رسول الله صلّی الله
علیه وسلم اوشتمه اوعابه اوتنقّصه قتل مسلما کان اوکافرا
ولا یستتاب وفی کتاب محمّد اخبرنا اصحاب مالک انّه قال من
سبّ النّبیّ صلّی الله علیه وسلم اوغیره من النّبیّین من مسلم
اوکافر قتل ولم یستتب وقال اصبغ یقتل علی کلّ حال اسرّ
ذلک اواظهره ولا یستتاب لانّ توبته لا تعرف وقال عبد الله
بن عبد الحکم من سبّ النّبیّ صلّی الله علیه وسلم من مسلم
اوکافر قتل ولم یستتب وحکی الطّبریّ مثله عن اشهب
عن مالک وروی ابن وهب عن مالک من قال انّ رداء النّبیّ
صلّی الله علیه وسلم ویروی زرّ النّبیّ صلّی الله علیه وسلم
وسخر اراد به عیبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء علی
انّ من دعا علی نبیّ من الانبیاء بالویل اوبشیء من المکروه
انّه یقتل بلا استتابة وافتی ابو الحسن القابسیّ فیمن قال
فی النّبیّ صلّی الله علیه وسلم الخمّال یتیم ابی طالب وافتی
ابو محمّد ابن ابی زید بقتل رجل سمع قوما یتذاکرون صفة النّبیّ
صلّی الله علیه وسلم اذ مرّ بهم رجل قبیح الوجه والّلحیة
فقال لهم تریدون تعرفون صفته هی فی صفة هذا المارّ فی
خلقه ولحیته قال ولا تقبل توبته وقد کذب لعنه الله ولیس
یخرج من قلب سلیم الایمان وقال احمد بن ابی سلیمان صاحب
سحنون من قال انّ النّبیّ صلّی الله علیه وسلم کان اسود یقتل
وقال فی رجل قیل له لا وحق رسول الله صلّی الله علیه وسلم
فقال فعل الله برسول الله کذا وکذا وذکر کلاما قبیحا فقیل له
ما تقول یا عدوّ الله فقال اشدّ من کلامه الاوّل ثمّ قال

انّما اردت

انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي
سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وتواب ذلك
قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا يقبل
لانه امتهان وهو غير معذور لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله ابن عتاب
في عشار قال لرجل ادوا شك الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ان سألت وجهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى
فقهاء الاندلس بقتل ابن خاتم المتفقه الطليطلي وصلبه
بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم
وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة
وزعمه ان زهده لم يكن قصداً ولو قدر على الطيبات اكلها
الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل
ابراهيم الفزاري وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلوم وكان
ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس ابن طالب للمناظرة فرفعت
عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه
ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاحضره القاضي يحيى بن
عمر وغيره من الفقهاء واحرق بقتله وصلبه فطعن بالسكين
وصلب منكساً ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين
انه لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت
وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء
كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله

ابن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم
يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك
عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته
وقال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان
من قال فيه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص قتل دون
استتابة وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان
من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا
او مصرحا وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله
مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم
قتله على ما اشرنا اليه ونبيته بعد وكذلك اقول حكم
من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او
السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى
من عدوه او شدة من زمنه او بالميل الى نسائه فحكم هذا
كله لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب
العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه فصل في الحجة في ايجاب
قتل من سبه او عابه القرآن صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
فمن لعنه تعالى لمؤذيه في الدنيا والاخرة وقرانه تعالى اذاه
باذاه ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما
يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى
ان الذين يؤذون الله ورسوله الاية وقال في قاتل المؤمن
مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في المحاربين

وذكر

وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل
بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله
اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين وفي
اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان حكم
مؤذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية
فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط
اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال تعالى
واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون
النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم ثم قال والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم وقال ولئن سألتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير
كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع
فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن
محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة حدثنا ابو الحسن
الدارقطني وابو عمر ابن حيوية قالا حدثنا محمد بن نوح حدثنا
عبد العزيز ابن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد الله بن موسى
بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن
الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب

اصحابی فاضربوه وفی الحدیث الصحیح امر النبی صلی الله علیه
وسلم بقتل کعب بن الاشرف وقوله من لکعب بن الاشرف
فانه یؤذی الله ورسوله ووجه الیه من قتله غیلة دون
دعوة بخلاف غیره من المشرکین وعلل قتله باذاه له فدل
ان قتله ایاه لغیر الاشراک بل الاذی وکذلک قتل ابا رافع
قال البراء وکان یؤذی رسول الله صلی الله علیه وسلم
ویعین علیه وکذلک امره یوم الفتح بقتل ابن خطل وجار
یتیه اللتین کانتا تغنیان بسبته صلی الله علیه وسلم
وفی حدیث آخر ان رجلا کان یسبه صلی الله علیه وسلم
فقال من یکفینی عدوی فقال خالد انا فبعثه النبی صلی الله
علیه وسلم فقتله وکذلک لم یقل جماعة ممن کان یؤذیه
من الکفار ویسبه کالنضر بن الحارث وعقبة ابن ابی معیط
وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا
من بادر باسلامه قبل القدرة علیه وقد روی البزار
عن ابن عباس ان عقبة ابن ابی معیط نادی یا معشر قریش
مالی اقتل من بینکم صبرا فقال له النبی صلی الله علیه وسلم
بکفرک وافترائک علی رسول الله صلی الله علیه وسلم
وذکر عبد الرزاق ان النبی صلی الله علیه وسلم سبه
رجل فقال من یکفینی عدوی فقال الزبیر انا فبارزه
فقتله الزبیر وروی ایضا ان امرأة کانت تسبه علیه
الصلاة والسلام فقال من یکفینی عدوتی فخرج الیها
خالد بن الولید فقتلها وروی ان رجلا کذب علی النبی
صلی الله علیه وسلم فبعث علیا والزبیر الیه لیقتلاه

وروی

وروى ابن قانع ان رجلاً جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله سمعت ابى يقول فيك قولاً قبيحاً فقتلته
فلم يشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر
ابن ابى امية امير اليمن لابى بكر رضى الله عنه ان امرأة هناك
فى الردة غنت بسب النبى صلى الله عليه وسلم فقطع يدها
وترع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا فعلت لامرتك
بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس
قال هجت امرأة من خطمة النبى صلى الله عليه وسلم فقال
من لى بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض
فقتلها فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها
عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب
النبى صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كان ذات
ليلة جعلت تقع فى النبى صلى الله عليه وسلم وتسبه
فقتلها واعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها
وفى حديث ابى برزة الاسلمى كنت يوماً جالساً عند ابى
بكر الصديق رضى الله عنه فغضب على رجل من المسلمين
وحكى القاضى اسماعيل وغيره واحد من الائمة فى هذا
الحديث انه سب ابا بكر ورواه النساءى اتيت ابا بكر
وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقلت له يا خليفة رسول الله
دعنى اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال القاضى ابو محمد ابن نصر
ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث
على قتل من اغضب النبى صلى الله عليه وسلم بكل

ما اغضبه او آزاه اوسبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز
الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر
رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم
بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في رجل
شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء
الامة بعد نبيها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل كذا
وقع في هذه الحكاية ورواها غير واحد ممن ذكرنا قب
مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء
بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب
العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم او لم يوثق
بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب
فيكون الخلاف في هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب
عن سبه فلم يقله لمالك على اصله والا فالاجماع على قتل
من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار
ان من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم قد ظهرت
علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له
كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك
والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين والقول
الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر
الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه

فهذا كاف

فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات
الاستهزاء او الذم فاعترافه بها وتركه توبته عنها دليل
على استحلاله لذلك وهو كفر ايضاً فهذا كافر بلا خلاف
قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير
هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير وقيل
بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن
كلبك يأكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان مستتراً به
ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال
صلى الله عليه وسلم من غير دينه فاضربوا عنقه ولان
الحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة فرية على امته
وسابّ الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه
الصلاة والسلام القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على
غيره فصل فان قلت فلم يقتل النبي صلى الله عليه
وسلم اليهودي الذي قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه
ولا قتل الاخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله
وقد تأذى النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قال اوذي
موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا
يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس
ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم
ويداريهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا

منفرين ويقول بشروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا
ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويحمل صحبتهم
ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاتهم
مالا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء
والاحسان وبذلك امره الله تعالى ولا تزال تطلع على خائنة
منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب
المحسنين وقال ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس الى تالف
اول الاسلام وجميع الكلمة عليه فلما استقر واظهره
على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله
بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله
غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم يظفر قبل سلك
صحبته والانخراط في جملة مظهر الايمان به ممن كان يؤذيه
كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك ندر دم
جماعة سواهم كعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه
حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة
وحكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر واكثر تلك الكلمات
انما كان يقولها القائل منهم خفية ومع امثاله ويحلفون
عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا
كلمة الكفر وكان مع هذا يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى
الاسلام وتوبتهم فيصبر صلى الله عليه وسلم على هناتهم
وجفوتهم كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير

منهم

منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا
ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء و
اعوان وحماة وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا
اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال
وقال لعله لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من اقوالهم
ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي او عبد او امرأة والدماء لاستباح
الابعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به
السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله
عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي
صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم
في سلامهم وخيانتهم في ذلك ليأبا لسنتهم وطعنا
في الدين فقال صلى الله عليه وسلم ان اليهود اذا سلم
احدكم فانما يقول السام عليكم فقولوا وعليكم وكذلك
قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت انه قامت على
نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وايضا فان الامر
كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من
اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم
بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن
المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين
وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم قلوقتلهم
النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم

وعلمه بما اسرّوا فى انفسهم لوجد المنفّر ما يقول ولارتاب
دوارجف المعاند وارتاع من صحبه النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم والدّخول فى الاسلام غير واحد ولزعم الزّاعم وظنّ
العدوّ الظّالم ان القتل انّما كان للعداوة وطلب اخذ الثّرة
وقد رأيت معنى ما حرّرته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله
ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم لا يتحدّث النّاس انّ محمّدا يقتل
اصحابه وقال اولئك الّذين نهانى الله عن قتلهم وهذا
بخلاف اجراء الاحكام الظّاهرة عليهم من حدود الزّنا
والقتل وشبهه لظهورها واستواء النّاس فى علمها
وقد قال محمّد ابن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم
النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم وقاله القاضى ابو الحسن بن
القصّار وقال قتادة فى تفسير قوله تعالى لئن لم ينته
المنافقون والّذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة
لنغرينّك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها الّا قليلا ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتّلوا تقتيلا سنّة الله الاية قال
معناه اذا اظهروا النّفاق وحكى محمّد بن مسلمة فى المبسوط
عن زيد بن اسلم انّ قوله تعالى يا ايّها النّبىّ جاهد الكفّار
والمنافقين نسخ ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعلّ
القائل هذه قتمته ما اريد بها وانّه الله وقوله اعدل
لم يفهم النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم منه الطّعن عليه
والتّهمة له وانّما رآها من وجه الغلط فى الرّاى وامور الدّنيا
والاجتهاد فى مصالح اهلها فلم ير ذلك سبّا ورآه انّه من
الاذ الّذى له العفو عنه والصّبر عليه فلذلك لم يعاقبه

وكذلك

وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح
سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من
لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسئمون دينكم والسام
والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح
سب وهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي
او غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا
وليس هذا بتعريض بالسب وانما هو تعريض بالاذى قال
القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب في حقه
صلى الله عليه وسلم سواء وقال القاضي ابو محمد ابن نصر
مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر في
هذا الحديث هل كان اليهودي من اهل العهد والذمة
او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى
في ذلك كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف
والمدارات على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري
على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتل الخوارج ٠
للتألف ولئلا ينفر الناس عنه ومما ذكرنا معناه عن مالك
وقررناه قبل وقد صبهم صلى الله عليه وسلم على سحر وسمه
وهو اعظم من سبه الى ان قصره الله عليهم واذن له في قتل
من عينه منهم وانزلهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم
الرعب وكتب من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم
وخرب بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين وكاشفهم بالسب
فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين
واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم

لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فان قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة انه صلى الله
عليه وسلم ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان
تنتهك حرمة لله فينتقم لله فاعلم هذا لا يقتضي انه لم ينتقم
ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه من حرمات الله التي
انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب
او معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد
فاعله به اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء
والجهل وجبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الاعرابي
برداءه حتى اثر في عنقه وكرفع صوت الاخر عنده وكجذ
الاعرابي شراءه منه فرسة التي شهد فيها خزيمة وكما كان
من تظاهر زوجيه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه
او يكون هذا مما اذاه به كافر رجا بعد ذلك اسلامه كعفوه
عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله
وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما
يبلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم
رجاء استيلاء فهمه واستيلاء غيرهم بهم كما قررناه قبل
وبالله التوفيق فصل قد تقدم الكلام في قتل القاصد
لسبه والازراء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او
محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه الثاني لا حق
به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته
صلى الله عليه وسلم غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له
ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر

من لعنه او سبّه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز او نفي
ما يجب له ممّا هو في حقّه صلّى الله عليه وسلّم نقيصة
مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة في تبليغ الرّسالة
او في حكم بين النّاس او يغضّ من مرتبته او شرف نسبه او
وفور علمه او زهده او يكذب ما اشتهر من امور اخبر بها
صلّى الله عليه وسلّم وتواتر الخبر بها عنه عن قصد لردّ خبره
او يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السّبّ
في جهته وان ظهر بدليل حاله انّه لم يعتمد ذمّه ولم يقصد
سبّه امّا الجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطرّه
اليه او قلّة مراقبة وضبط لسانه ومعرفة وتهوّر في
كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاوّل القتل دون تلعثم
اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللّسان
ولا بشيء ممّا ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما الآ من اكره
وقلبه مطمئنّ بالايمان وبهذا افتى الائمة لسيّون على ابن
حاتم في نفيه الزّهد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
الّذي قدّمناه وقال محمّد بن سحنون في المأسور يسبّ النّبيّ
صلّى الله عليه وسلّم في ايدي العدوّ يقتل الّا ان يعلم تنصّره
او اكراهه وعن ابي محمّد ابن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل
اللّسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسيّ فيمن شتم
النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في سكره يقتل لانّه يظنّ به
انّه يعتقد هذا ويفعله في صحوه وايضا فانّه حدّ
لا يسقطه السّكر كالقذف والقتل وسائر الحدود ولانّه
ادخله على نفسه لانّ من شرب الخمر على علم من زوال عقله

واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد لما يكون بسببه وعلى
هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود
ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله
عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير
محرمة فلم يكن في جنايا تها اثم وكان حكم ما يحدث عنها
معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون
فصل الوجه الثالث ان يقصد الى تكذيبه فيما قال له
والى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل
بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع
يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه
بحكم المرتد وقوى الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر
لا تسقط القتل عنه توبته بحق النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان
مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة
عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد
صلى الله عليه وسلم او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان
يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي
او لم يرسل او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شئ تقوله يقتل
قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من
المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه
فهو كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى
اليه وقاله سحنون وقال القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا

قال اصبغ

قال اصبغ وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية
على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم انه ارسل الى الناس
او قال بعد نبيكم بني انه يستتاب ان كان معلناً بذلك فان
تاب والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم
في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه الرسالة
والنبوة محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد وقال من كذب
النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل
وقال احمد ابن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن النبي صلى الله عليه
وسلم باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات
قبل ان يلتحي او انه بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي
قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له
كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة
فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام ويلفظ من القول
بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره
او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهاهنا
متردد النظر وخيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين
ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم
حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف
ايمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد

صلى الله عليه وسلم فقاله الطالب لا صلى الله على من صلى
عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه
وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان
على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا للشتم وقال
ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس
وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي
صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن
معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم
الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة يحمل عليها كلامه
بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قوله
الاخر له صل على النبي فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان
لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه هذا معنى قول سحنون
وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحرث بن مسكين
القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن
القابسي في قتل رجل قال لكل صاحب فندق قرنان ولو كان
نبيا ورسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى
تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده
هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم
نبي ورسل فيكون امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم
لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان
فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم
المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه التاويلات
لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكى

عن ابي محمد ابن

عن ابى محمد ابن ابى زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله
بنى اسرائيل ولعن الله بنى آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما
اردت الظالمين منهم انه عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان
وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم
من حرمه وفيمن لعن حديث لايبع حاضر لباد ولعن من جاء به
انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن فعليه
الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله
ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى
سحنون واصحابه فى المسألة المتقدمة ومثل هذا مايجرى
فى كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف
خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك
انه يدخل فى مثل هذين العددين من ابائه واجداده جماعة
من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى آدم عليه
السلام فينبغى الزجر عنه وتبيين ماجهل قائله منه وشدة
الادب فيه ولو علم انه قصد سب من ابائه من الانبياء على
علم لقتل وقد يضيق القول فى نحو هذا لو قال لرجل هاشمى
لعن الله بنى هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل
من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا فى ابائه او من
نسله او دله على علم منه انه من ذرية النبى صلى الله
عليه وسلم ولم تكن قرينة فى المسئلتين تقتضى تخصيص
بعض ابائه واخراج النبى صلى الله عليه وسلم ممن سبه
منهم ولقد رأيت لابى موسى ابن مناس فيمن قال لرجل
لعنك الله الى آدم ان ثبت ذلك عليه قتل وقد كان

اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء
ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف
انت فكان شيخنا ابو اسحق يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ
وكان القاضي ابو محمد ابن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال
اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى
فيها قاضي قرطبة ابو عبد الله ابن الحاج بنحو هذا وشدد
القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد
على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد
عليه وهن ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي اباعبد الله
ابن عيسى ايام قضائه اتى برجل هاتو رجلا اسمه محمد ثم قصد
الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن
وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما
لم يجد ما يقوى الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه
فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا ولا يذكر
عيبا ولا سبا لكنه ينزع ويذكر بعض اوصافه او يستشهد
ببعض احواله صلى الله عليه وسلم الجائزة عليه في الدنيا
على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره او على التشبه
او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على سبيل
التأسي وطريق التحقيق بل على مقصد الرفيع لنفسه او
سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم
او قصد الهزل والتندر بقوله كقول القائل ان قيل في السوء
فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وان كذبت

فقد كذب

فقد كذب الانبياء وان اذنبت فقد اذنبوا وانا اسلم
من السنة الناس ولم يسلم منها انبياء الله ورسله او
قد صبرت كما صبروا ولو العزم من الرسل او كصبر ايوب
او قد صبر نبي الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول
المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتجرفين في القول المتساهلين في الكلام
كقول المعري كنت موسى وافته بنت شعيب غير ان ليس
فيكما من فقير على ان اخر هذا البيت شديد عند تدبره
وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام و
وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي
بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في الفضل الا انه
لم يأته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفضل
شديد لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم في فضله
بالنبي صلى الله عليه وسلم والعجز محتمل لوجهين احدهما
ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغنا وه
عنها وهذه اشد ونحو منه قول الاخر واذا ما رفعت راياته
خفقت بين جناحي جبرئين وقول الاخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا فصير الله قلب رضوان وكقول
حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد ووزيره ابي بكر ابن زيدون كان ابا بكر ابو بكر ارضا
وحسان حسان وانت محمد الى امثال هذا وانما كثرنا
بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل
كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستحفافهم

فادح هذا العبث وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر و
كلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو
عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا
وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري
بل قد خرج كثير من كلامهما عن هذا الحد الا ستخفاف
والتنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وعرضنا الان
الكلام في هذا الفصل الذي سفنا امثلته فان هذه كلها
والم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء
عليهم السلام نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري
ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا اعظم
الرسالة ولا عزز حرمة الاصطفاء ولا عزز خطوة
الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة
قصد الانتفاء منها او بضرب مثل لتطييب مجلسه
او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره
وشرف قدره والزم لتوقيره وبره ونهى عن جهر القول
له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل
الادب والتجرع وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله
ومقتضى قبح ما نطق به وما الوف عادته لمثله اوندوره
وقرينة كلامه اوندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس
قوله فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف
خصيب وقال له يا ابن اللخناء تستهزئ بعصى موسى
وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتيبي

ان مما اخذ عليه

ان مما اخذ عليه ايضاً وكفّر به اوقاربه قوله فى محمّد
الامين وتشبيهه اياه بالنبىّ صلّى الله عليه وسلّم تنازع
الاحمدان الشبه فاشتبها خلقاً وخلقاً كما قدّ الشراكان
وقد انكروا ايضاً قوله كيف يدينك من امل من رسول الله
من نفره لانّ حقّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وموجب
تعظيمه واناقة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف
فالحكم فى امثال هذا ما بسطناه فى طريق الفتيا على هذا
المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله
واصحابه ففى النّوادر من رواية ابن ابى مريم عنه فى رجل
عيّر رجلاً بالفقر فقال تعيّرنى بالفقر وقد دعى النبىّ صلّى الله
عليه وسلّم فقال مالك قد عرّض بذكر النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم فى غير موضعه اوى ان يؤدّب قال ولا ينبغى لاهل
الذّنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا
وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل انظر لنا كاتباً
يكون ابوه عربيّاً فقال كاتب له قد كان ابو النبى كافرا
فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لى ابداً وقد
كره سحنون ان يصلّى على النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم عند
التعجب الاّ على طريق الثّواب والاحتساب توقيراً له
وتعظيماً كما امرنا الله ونسئل القابسى عن رجل قال لرجل
قبيح كانّه وجه نكير ولرجل عبوس كانّه وجه مالك الغضبان
فقال اىّ شئ اراد بهذا ونكير احد فتانى القبر وهما ملكان
فما الّذى اراد اروع دخل عليه حين رآه من وجهه ام عاف
النّظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو شديد

لانه جرى مجرى التحقير والتهوير فهو اشد عقوبة وليس فيه
تصريح بالسب للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي
الادب بالسوط والسجن نكال للسفها قال واما ذاكر مالك
خازن النار فقد جفاء الذي ذكره عند ما انكر من عبوس
الاخر الا يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه
القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه في صفته
صفة مالك للملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله يغضب
غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل
هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك
كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم
للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب
معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت
فانك امي فقال الشاب ليس كان النبي صلى الله عليه وسلم
اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق الشاب
مما قاله واظهر الندم فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه
فخطا لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله
عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم اميا ابة له
وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته
احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا
استغفر وتاب واعترف ولجا الى الله تعالى فيترك لان
قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع
فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا
مسئلة استفتي فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا

القاضي ابا محمد ابن منصور رحمه الله في رجل تنقصه آخر
بشيء فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر
يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فافتاه
باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض
فقهاء الاندلس افتى بقتله فصل الوجه السادس
ان يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه
فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف
الحكم باختلاف ذلك على اربعة وجوه الوجوب والندب
والكراهة والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة
والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير
منه والتحريج له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله و
كذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض
على قائله والفتيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه
ما يستحب بحسب حالات الحاكي لك والمحكي عنه فان كان
القائل لذلك ممن تصد لان يؤخذ عنه العلم او رواية
الحديث او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق
وجب على سامعه الاداة بما سمع منه والتنفير للناس عنه
والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة
المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقيامه بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان
ممن يعظ العامة او يؤدب الصبيان فان من هذه
سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد هؤلاء
الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته

وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي
صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته
عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام
بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية وبان به الامر
سقط عن الباقي الفرض و بقي الاستحباب في تكثير الشهادة
وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم
في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد ابن ابي زيد
عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله اسعه ان لا يؤدي
شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك
ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة
والادب فليشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية
قوله لغير هذين المقصدين فلا اراها مدخلا في الباب
فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتهضم
بسوء ذكره لاحد لاذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعي بمباح
واما للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله
في كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد
عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك
وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة
على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى
على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم و
مجالسهم ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم
وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا على الحارث بن

اسد

اسد فقد صنع احمد مثله فى ردّه على الجهمية والقائلين
بالخلق وهذه الوجوه السّانغة الحكاية عنها فاما ذكرها
على غير هذا من حكاية سبّه والازراء بمنصبه على وجه
الحكايات والاسمار والطّرف واحاديث النّاس ومقالاتهم
فى الغثّ والسّمين ومضاحك المجّان ونوادر السّخفاء و
الخوض فى قيل وقال ومالا يغنى فكلّ هذا ممنوع وبعضه
اشدّ فى المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكى له
على غير قصد اومعرفة بمقدار ما حكاه اولم تكن عادته اولم يكن
الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه استحسانه
واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العودة اليه وان قوّم
ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة
حيث هو كان الادب اشدّ وقد حكى ان رجلا سال مالكا
عمّن يقول القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال
انّما حكيته عن غيرى فقال مالك انّما سمعناه منك وهذا
من مالك رحمه الله على طريق الزّجر والتغليظ بدليل انّه
لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انّه اختلقه
ونسبه الى غيره اوكانت تلك عادة له اوظهر استحسانه
لذلك اوكان مولعا بمثله والاستخفاف له اوالتحفظ لمثله
وطلبه وروايته اشعار هجوه صلّى الله عليه وسلّم فحكم هذا
حكم السّابّ نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره
فيبادر بقتله ويعجّل الى الهاوية امّه وقد قال ابو عبيد
القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت ممّا هجى به النّبىّ
صلّى الله عليه وسلّم فهو كفر وقد ذكر بعض من الّف

فى الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى
صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته وتركه متى وجد
دون محوورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم
فقد اسقطوا من احاديث المغازى والسير ماكان هذا
سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة وغير
مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من
قائلها واخذه المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم
بن سلام رحمه الله قد تحرا فيما اضطر الى الاستشهاد به
من اهاجى اشعار العرب فى كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن
اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة فى ذم احد
بروايته اونشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر
صلى الله عليه وسلم فصل الوجه السابع ان يذكر
ما يجوز على النبى صلى الله عليه وسلم اويختلف فى جوازه
وما يطرأ من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه اويذكر
ما امتحن به وصبر فى ذات الله على شدته من مقاسات
اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه
من بؤس زمنه وحز عليه من معاناة عيشته كل ذلك
على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه
العصمة للانبياء عليهم السلام وما يجوز عليهم فهذا
فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا
نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا فى ظاهر اللفظ ولا فى
مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل
العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق

فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفهمه او تخشى به فتنته
فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت
عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن
وادراكهن فقد قال صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه
باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا
وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام
وهذا لاعتضاضه فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه
بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة
جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج
لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب برعايتها لسياسة امهم
من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم العلم
وكذلك قد ذكر الله نعمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف
بكرامته له فذكر الذاكرها على وجه تعريف حاله والخبر عن
مبتداه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده
ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته
اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه
من اشرافهم شيأ فشيأ ونحا مره حتى قهرهم وتمكن من ملك
مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله
تعالى له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم
وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع
متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره
ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه
هل في اباءه من ملك ثم قال ولو كان في اباءه ملك لقلنا رجل

يطلب ملك ابيه واذا ليتم من صفته واحدى علامات
فى الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره
فى كتاب ارميا بهذا وصفه ابن ذى يزن لعبد المطلب
وبحيرا لابى طالب وكذلك اذا وصف بانه امى كما وصفه الله
فهى مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته العظمى
من القرآن العظيم انما هى متعلقة بطريق المعارف
والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك
كما قدمناه فى القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ
ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر
ومعجزة البشر وليس فيه ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة
والقراءة المعرفة وانما هى آلة لها واسطة موصلة اليها
غير مرادة فى نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغنى
عن الواسطة والسبب والامية فى غيره نقيصة لانها سبب
الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك
من عداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته
وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى
هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روى من
اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه فى اموره وخدمة بيته
زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها
لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله
ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده

وقصدها

وقصد بها مقصدا كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه
وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها
وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء عليهم
السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا
لا تليق بهم بحال وتحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا
يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت فرحم الله مالكا فقد كره التحدث بمثل ذلك من
الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال
ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه
على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته
عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم
اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وقصرفاتهم
في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن
في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة ودا خلته
الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها و
صريحها ولا يحقق اشارتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها
ويلويحها فتفرقوا في تأويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر
فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث
فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا حق انبيائه
ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك التشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة

المقاد واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ على ابي بكر ابن فورك
تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة
لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق
بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه
على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس
بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس
فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا
على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره
صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره
وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله ويظهر عليه علامات
الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه
الاشفاق والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء
للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له
لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله
واقواله صلى الله عليه وسلم تحرى احسن اللفظ وادب
العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فاذا تكلم في
الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف
ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويجتنب لفظة
الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز ان لا يعلم
الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء
حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل تقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم

في الافعال

في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي
ومواقعة بعض الصغائر فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز
ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي
فهذا من حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزير
واعظام وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فبقي منه
ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله
لاجل تركه تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه
ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في آدابهم
وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه صلى الله
عليه وسلم اوجب والتزامه آكد فجودة العبارة تقبح الشئ
او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاما ما اورده
على جهة النفي عنه والتنزيه له فلا حرج في تسريح العبارة
وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان
الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب
ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف عند
ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة
عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم
يلتزم مثل ذلك عند تلاوة آي من القرآن حكى الله فيها
مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب وكان يخفض
بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه
بمن كفر به الباب الثاني في حكم سابه وشانيه ومتنقصه
ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا

ما هو سب وأذى في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا اجماع
العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله
او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان مشهور
مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله
حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقتل عندهم توبته
ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه
حكم الزنديق وسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته
على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا
من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود
قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب
منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد ابن
ابي زيد مثله وانما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه
وقال محمد بن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من
الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك
قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن
ابن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور
عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل
على صحتها بمجيئه فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته
البينة قال القاضي ابو الفضل وهذا قول اصبغ ومسئلة
سباب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها
الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله
عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر

حقوق الآدميين والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند
مالك والليث واسحاق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي
تقبل واختلف فيه عند ابي حنيفة وابي يوسف وحكى
ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال
محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله
عليه وسلم لانه لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده
عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر
الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد ابن نصر محتجا لسقوط اعتبار
توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول
باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس
تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه
عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه
وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة
لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين
فقبلت توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه
حق الادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف
فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا
فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من ذنا وسرقة
وغيره ولم يقتل سابّ النبي صلى الله عليه وسلم لكفره
لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك
لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم
لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء
والاستخفاف اولان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه

اسم الكفر ظاهرا والله اعلم بسريرته بقي حكم السب عليه
وقال ابو عمر ان القابسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق
الادميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا هؤلاء
بني على القول بقتله حدا الا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل
واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه على
ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه ردة
قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم
المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة
فهو يوجب القتل فيه حدا وانما يقول ذلك مع فصلين
اما مع انكاره ما شهد عليه به واظهاره الاقلاع والتوبة
عنه فنقتله حد الثباب كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله
عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه واخرنا حكمه
في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر وتاب
فان قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه كلمة الكفر
ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وقتا بعها قلنا نحن
وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا يقطع عليه بذلك
لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه
او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن
ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر على
بعض الاشخاص وان لم يثبت له خصائصه كقتل تارك
الصلاة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله له فلا شك

في كفره

فى كفره بذلك وكذلك ان كان سبه فى نفسه كفرا لتكذيبه
او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب
منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدّ القوله و
متقدّم كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه
العالم بسره وكذلك من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به
عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه
التفصيلات خذ كلام العلماء ونزّل مختلف عباراتهم
فى الاحتجاج عليها واجراء اختلافهم فى الموازنة وغيرها
على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل
اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على
الاختلاف فى توبة المرتدّ اذ لا فرق بينهما وقد اختلف
السلف فى وجوبها وصورتها ومدّتها فذهب جمهور اهل
العلم الى ان المرتدّ يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع
من الصحابة على تصويب قول عمر رضى الله عنه فى الاستتابة
ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود
وبه قال عطاء بن ابى رباح والنخعى والثورى ومالك واصحابه
والاوزاعى والشافعى واحمد واسحق واصحاب الرأى
وذهب طاووس وعبيد بن عمير والحسن فى احدى الروايتين
عنه انه لا يستتاب وقاله عبد العزيز ابن ابى سلمة وذكره
عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوى عن
ابى يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته
عند الله ولكن لا تدرأ القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم

فاقتلوه وحكى ايضاً عن عطاءٍ ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء وروى عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروى عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وبه قال ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مدتها فمذهب الجمهور وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا يأتي الاستظهار الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد ابن ابي زيد يريد في الاستيناء ثلاثاً وقال مالك ايضاً الذاخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار في تأخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثاً اصحاب الرأي وروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروى عن علي يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابداً وبه اخذ الثوري ما رجيت توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم

يدعى المرتد

يدعى المرتدّ الى الاسلام ثلاث مرّات فان ابى ضربت عنقه
واختلف على هذا هل يهدّد ويشدّد عليه ايّام الاستتابة
ليتوبا م لا فقال مالك ما علمت فى الاستتابة تجويعا ولا
تعطيشا ويؤتى من الطّعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوّف ايّام
الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفى كتاب ابى الحسن
الطّابثىّ يوعظ فى تلك الايّام يحبس فيها من السّجون مع
النّاس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا
خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك
يستتاب ابدا كلّما رجع وارتدّ وقد استتاب النّبىّ صلّى الله
عليه وسلّم بتهان الّذى ارتدّ اربع مرّات او خمسا قال ابن
وهب عن مالك يستتاب ابدا كلّما رجع وهو قول الشّافعىّ
واحمد وقاله ابن القاسم وقال اسحق يقتل فى الرّابعة وقال
اصحاب الرّأى ان لم يتب فى الرّابعة قتل دون استتابة وان تاب
ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السّجن حتّى يظهر عليه خشوع
التّوبة وقال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتدّ فى المرّة
الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشّافعىّ والكوفىّ
فصل هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار
او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتمّ الشّهادة عليه بما شهد
عليه الواحد او المفيف من النّاس وثبت قوله لكن احتمل
او لم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول بقبول توبته فهذا
يدرأ عنه القتل ويتسلّط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة
حاله وقوّة الشّهادة عليه وضعفها وكثرة السّماع عنه وصورة
حاله من التّهمة فى الدّين والتّبرء بالسّفه والمجون فمن قوى

امره اذا قه من شدة النكال من التضييق في السجن والشك
في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه
القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال
عائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب
اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها
ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد بن المواز
من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه وقاله سحنون
وافتى ابو عبد الله ابن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم
فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل
والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل هذا
ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم
ينبغ ان يطلق من السجن ولا يستطال سجنه ولو كان فيه
من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد ما يطيق
وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا ويضيق
عليه في السجن حتى يظهر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى
مثلها لا تهراق الدماء الا بامر الواضح وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة سديدة فاما
ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما
اوجرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما
فامره اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا
ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من اهل
التبريز فاسقطها بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه

بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما والحاكم هنا في تنكيله
موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل هذا حكم المسلم
فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض واستخف بقدره او
وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله
ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول
عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل
الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم
ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله
بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر الاية ويستدل ايضا عليه
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه
ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا
ان نفعل ذلك معهم فاذا اقاموا لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون لكفرهم
وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم في القطع
في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك
حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم
يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره
الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن
القاسم وابن سحنون بعد وحكى ابو مصعب الخلاف فيها
عن اصحابه المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل
يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف
المسلم اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكفر في بغضه له

وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر
الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول
الى الاسلام سقط ما قبله قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا
بباطنه حكم ظاهره وخلافه ما بدا منه الان فلم نقبل بعد
رجوعه ولا استمنا الى باطنه اذ قد بدت سرائره وما ثبت
عليه من الاحكام باقيه عليه لم يسقطها شئ وقيل لا يسقط
اسلام الذمي السباب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم
وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة
والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما
وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل
وقذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر
اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم
وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا
صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة احدا من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم
في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ
لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة
وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب وروى لنا عن الامام مالك الا ان يسلم
الكافر وقد روى ابن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى

عيسى عن ابن القاسم فى ذمّى قال انّ محمّداً لم يرسل الينا انّما ارسل
اليكم وانّما نبيّنا موسى وعيسى ونحو هذا لاشئ عليهم لانّ الله
تعالى اقرّهم على مثله واما ان سبّه فقال ليس بنبىّ اولم يرسل
اولم ينزل عليه قرأنٌ وانّما هو شئ تقوّله اونحو هذا فيقتل
قال ابن القاسم واذا قال النّصرانىّ ديننا خير من دينكم انّما دينكم
دين الحمير ونحو هذا من القبيح اوسمع المؤذّن يقول اشهد انّ محمّداً
رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله فى هذا الادب الموجع والسّجن
الطّويل قال واما ان شتم النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم شتماً يعرف
فانّه يقتل الآان يسلم قاله مالك غير مرّة ولم يقل يستتاب
قال ابن القاسم ومحمل قوله عندى ان اسلم طائعاً وقال ابن سحنون
فى سؤالات سليمان بن سالم فى اليهودىّ يقول للمؤذّن اذا تشهد
كذبت بعاقب العقوبة الموجعة مع السّجن الطّويل وفى
النّوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود
والنّصارى بغير الوجه الّذى به كفروا ضربت عنقه الآان يسلم
قال محمّد بن سحنون قان قيل لم قتلته فى سبّ النّبىّ صلّى الله عليه
وسلّم ومن دينه سبّه وتكذيبه قيل لانّا لم نعطهم العهد على
ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحداً منّا قتلناه
وان كان من دينه استحلاله فكذلك اظهاره لسبّ نبيّنا
صلّى الله عليه وسلّم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية
على اقرارهم على سبّه لم يجز لنا ذلك فى قول قائل كذلك ينتقض
عهد من سبّ منهم ويحلّ لنا دمه وكما لم يحصنّ الاسلام
من سبّه من القتل كذلك لا يحصنه الذمّة قال القاضى
ابو الفضل ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف

لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله
ويدل على انه خلاف ما روى عن المدنيين فى ذلك فحكى
ابو المصعب الزهرى قال اتيت بنصرانى قال والذى اصطفى
عيسى على محمد فاختلف على فيه فضربته حتى قتلته اوعاش
يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته
الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصرانى قال عيسى خلق محمداً
فقال يقتل وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصرانى بمصر
شهد عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه فى الجنة ماله لم
ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه لاستراح
منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد كدت
ان لا اتكلم فيها ثم رأيت انه لا يسعنى الصمت قال ابن كنانة
فى المبسوط من شتم النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان شاء قتله ثم
حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حياً اذا تها فتوانى سبه
ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة
قال فاخبرنى مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت
ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق
بذلك وما اولاه به فكتبته بيدى بين يديه فما انكره ولا عابه
ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله
بن يحيى وابن الماجشون فى جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفى الربوبية ونبوة عيسى لله و
تكذيب محمد فى النبوة وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها به
وقال غير واحد من المتاخرين منهم القابسى وابن الكاتب

وقال

وقال ابو القاسم ابن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم
او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي ابو محمد في الذمي بسب
روايتين في درء القتل عنه باسلامه وقال ابن سحنون وحد
القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه
وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق
للعباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي
صلى الله عليه وسلم ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ما يجب
عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل
لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط
القتل باسلامه ويحد ثمانين فتامله فصل في ميراث
من قتل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وغسله والصلاة عليه
اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله عليه
وسلم فذهب سحنون الى ان جماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي
صلى الله عليه وسلم كفر شبه كفر الزندقة وقال اصبغ ميراثه
لورثته من المسلمين ان كان مستسرا بذلك وان كان مظهرا له
مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال ولا يستتاب
قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم
في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه
ليس من الميراث في شيء وكذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل
اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام
ولو اقر بالسب وتمادى عليه ولم يتب منه فقتل على ذلك كان
كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن
وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابو الحسن

في الجاهر المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير
تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون
في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية
ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره
مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من
المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه ولا تجوز وصاياه
ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد
ابن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة
فلا تقبل منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد
فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة او لم تقبل
انه صلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب
فيمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم او اعلن دينا مما يفارق
به الاسلام ان ميراثه للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد
للمسلمين ولا يورثه ورثته ربيعة والشافعي وابو ثور وابن
ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي ابن ابي طالب رضي الله
عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن
عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة
رضي الله عنهم يرثه ورثته من المسلمين وقيل ذلك فيما
كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد فللمسلمين و
تفصيل ابي الحسن في جوابه حسن بين وهو على رأي اصبغ
وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول مالك في ميراث
الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين قامت عليه
بذلك بينة فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله

اصبغ

اصبغ ومحمد بن مسلمة وغيرهما من اصحابه لانه مظهر للاسلام
بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه فى العتبية
وكتاب محمد انه ميراث لجميع المسلمين لان ماله تبع دمه وقال به
ايضا جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك
ومحمد وسحنون وذهب ابن قاسم فى العتبية الى انه ان اعترف
بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث وان لم يقر حتى قتل
او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون
بوراثة الاسلام وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصرانى
يسب النبى صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه
ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله
واختصاره الباب الثالث فى حكم من سب الله تعالى وملائكته
وكتبه وال النبى صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه
لا خلاف ان سابّ الله تعالى كافر حلال الدم واختلف فى استتابته
فقال ابن القاسم فى المبسوطة وفى كتاب ابن سحنون ومحمد
ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله
تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله
بارتداده الى دين وان به واظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب
وقال فى المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومى
ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب
وكذلك اليهودى والنصرانى فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا
قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذى

حكاه القاضي ابن نصر عن المذهب وافتى ابو محمد ابن ابي زيد
فيما حكي عنه في رجل لعن رجلاً ولعن الله فقال انما اردت
ان العن الشيطان فزل لساني فقال بقتل بظاهر كفره ولا يقبل
عذره واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء
قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب اخي عبد الملك الفقيه
وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات
منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا
ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن
حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله تجويز الله تعالى
وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك
بن حبيب وابراهيم ابن حسن بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي
بطرح القتل عنه الا ان القاضي راى عليه التثقيل في الحبس
والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي فوجه
من قال في سب الله تعالى بالاستتابة انه كفر وردة محضة
لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى فاشبه قصد الكفر بغير سب الله
واظهار الانتقال الى دين اخر من الاديان المخالفة للاسلام
ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه ذلك بعد اظهار الاسلام
قبل اتهمناه وظننا ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له
اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته
واذا انتقل من دين الى آخر واظهر السب بمعنى الارتداد فهذا
قد اعلم انه خلع ربقة الاسلام من عنقه بخلاف الاول المتمسك
وحكم هذا حكم المرتد يستتاب على مشهور مذاهب اكثر العلماء
وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف

في فصوله

في فصوله فصل واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به
ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق
التأويل والاجتهاد والخطاء المفضي الى الهوى والبدعة
من تشبيه او نعت بجارحة او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف
السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك
واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد
منهم فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم
والمبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم
وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا
قول محمد ابن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول
سحنون في جميع اهل الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطا
ومارواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وقال عيسى عن ابن القاسم
في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف
الجماعة من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون
اظهروا ذلك او اسروه فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم
وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل القدر و
غيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه
ومثله له في المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل
البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا لرايهم السوء وبهذا
عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم
موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب

وغيره من اصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج
والقدرية والمرجئة وقد روى ايضاً عن سحنون مثله فيمن
قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك
فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاطري
الكفر عليهم وقد سئل في رواج القدري فقال لا تزوجه
قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم وروى
عنه ايضاً اهل الاهواء كلهم كفار وقال من وصف شيئاً
من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده يداً او سمعاً او بصراً
قطع ذلك منه لانه شبه بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق
كافر فاقتلوه وقال ايضاً في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضرباً
ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل
ولا تقبل توبته قال القاضي ابو عبد الله البرتكاني والقاضي
ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه مختلف بقتل
المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في اعادة
الصلاة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب
القدري واكثر اقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث وابن
عيينة وابن لهيعة روى عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن
وقاله ابن المبارك والاودني ووكيع وحفص ابن غياث وابو اسحق
الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر
المحدثين والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية
واهل الاهواء المضلة واصحاب البدع المتأولين وهو قول
احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه
الاصول وممن روى عنه معنى القول الاخر بتكفيرهم علي بن

ابى طالب وابن عمر والحسن البصرى وهو رأى جماعة من الفقهاء
والنظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين
ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات منهم ودفنهم
فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم قال اسماعيل
القاضى وانما قال مالك فى القدرية وسائر اهل البدع يستتابون
فان تابوا والا قتلوا لانه من الفساد فى الارض كما قال فى المحارب
ان راى الامام قتله وان يقتل قتله وفساد المحارب انما هو فى الاموال
ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا فى امر الدين من سبيل الحج
والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل فى امر الدنيا
بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل فى تحقيق القول
فى اكفار المتاولين وقد ذكرنا مذاهب السلف فى اكفار اصحاب
البدع والاهواء المتاولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى الكفر هو
اذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم
اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك فمنهم من صوب التكفير
الذى قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم يراخراجهم
من سواد المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق
عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ونحكم لهم باحكامهم وهذا
قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب
مالك المغيرة وابن كنانة واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه
من الاسلام واضطرب آخرون فى ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير
اوضده واختلف قول مالك فى ذلك وتوقفه على اعادة الصلاة
خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضى ابو بكر امام التحقيق
والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر

وانما قالوا قولا يؤدى اليه واضطرب قوله فى المسئلة على نحو
اضطراب قول امامه مالك ابن انس حتى قال فى بعض كلامه انهم
على رأى من كفرهم بالتاويل لا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم
ولا الصلاة على ميتهم ويختلف فى موارثهم على الخلاف فى
ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين
ولا نورثهم هم المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل
وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله
ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى
تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم او المسيح او بعض
من يلقاه فى الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب
ابو المعالى رحمه الله فى اجوبته لابى محمد عبد الحق وكان سأله
عن المسألة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال
كافر فى الملة او اخراج مسلم عنها عظيم فى الدين وقال غيرها
من المحققين الذى يجب الاحتراز من التكفير فى اهل التاويل
فان استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ فى ترك
الف كافر اهون من الخطاء فى سفك محجمة من دم مسلم واحد
وقد قال صلى الله عليه وسلم فاذا قالوها يعنى الشهادة
عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها
الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث
الواردة فى الباب معرضة للتاويل فما جاء منها فى التصريح بكفر
القدرية وقوله صلى الله عليه وسلم لاسهم لهم فى الاسلام
وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم وكذلك

فى الخوارج

فى الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير
وقد يجيب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ فى الحديث
فى غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك
وقد ورد مثله فى الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية
واذا كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع
وقوله فى الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال
شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال واذا
وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا الكفر لاسيما مع تشبيههم
بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم
لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث
نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلتهم ها هنا حد لا كفر
وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم
بقتله يحكم بكفره ويعارضه بقول خالد فى الحديث دعنى
اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلى فان احتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فاخبر
ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق
السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم
على فوقه وبقوله سبق الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق
من الاسلام بشئ اجابه الاخرون ان معنى لا يجاوز حناجرهم
لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به
جوارحهم وعارضوهم بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمادى
فى الفوق وهذا يقتضى التشكك فى حاله وان احتجوا بقول
ابى سعيد الخدرى فى هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول يخرج فى هذه الامة ولم يقل من هذه وتحرير
ابى سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة
بنى لا يقتضى تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من
التى هى للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روى عن ابى ذر
وعلى وابى امامة وغيرهم فى هذا الحديث يخرج من امتى
وسيكون من امتى وحروف المعانى مشتركة فلا تعويل
على اخراجهم من الامة ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد
رضى الله عنه اجاد ما شاء فى التنبيه الذى نبه عليه
وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة رضوان الله عليهم
وتحقيقهم للمعانى واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم
لها وتوقيهم فى الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة
ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة اقربها
قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد
بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها
لله بخلقه وتجويزا له فى فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل
من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقول بعض المتكلمين
ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف
الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون
ممن لم يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن
الحسن العنبرى الى تصويب اقوال المجتهدين فى اصول الدين
فيما كان عرضة للتاويل وفارق فى ذلك فرق الامة اذ اجمعوا
سواه على ان الحق فى اصول الدين فى واحد والمخطئ فيه اثم عاص
فاسق وانما الخلاف فى تكفيره وقد حكى القاضى ابو بكر الباقلانى

مثل قول

مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهانى قال وحكى قوم عنهما
انهما قالا ذلك فى كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع
فى طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول
الجاحظ وثمامة فان كثيرا من العامة والنساء والبله و
مقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم تكن
لهم طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالى قريبا
من هذا المنحى فى كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر
من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين
المسلمين او وقف فى تكفيرهم او شك قال القاضى ابو بكر -
لان التوقف والاجماع على كفرهم فمن وقف فى ذلك فقد كذب
النص والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه
لا يقع الا من كافر فصل فى بيان ما هو من المقالات كفر
وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق هذا
الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل
فيه والفصل البين فى هذا ان كل مقالة صرحت بنفى الربوبية
او الوحدانية او عبادة احد غير الله او مع الله فهى كفر كمقالة
الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية والمانوية
واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
بعبادة الاوثان او الملائكة والشياطين او الشمس او النجوم
او النار او احد غير الله من مشركى العرب واهل الهند والصين
والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة
واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض
وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه

غير حيّ او غير قديم او انّه محدث او مصوّرا او ادّعى له ولدا
او صاحبة او والدا او انّه متولّد من شيء او كائن عنه او انّ معه
في الازل شيئا قديما غيره او انّ ثمّ صانعا للعالم سواه او مدبّرا
غيره فذلك كلّه كفر باجماع المسلمين كقول الاباحيّين من الفلاسفة
والمجبّرين والطبائعيّين وكذلك من ادّعى مجالسة الله والعروج
اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة
والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال
بقدم العالم او بقائه او شكّ في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة
والدهريّة او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الآباد في
الاشخاص وتعذيبها او تنعّمها فيها بحسب زكائها وخبثها
وكذلك من اعترف بالالهيّة والوحدانيّة ولكنّه جحد النبوّة
من اصلها عموما او نبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم خصوصا
او احد من الانبياء الّذين نصّ الله عليهم بعد علمه بذلك
فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسيّة من
النصارى والغرابيّة من الروافض الزاعمين ان عليّا رضي الله عنه
كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطّلة والقرامطة والاسماعيليّة
والغنبريّة من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشتركوا
في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانيّة وصحّة
النبوّة ونبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم ولكن جوّز على الانبياء
الكذب فيما اتوا به ادّعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدّعها
فهو كافر باجماع كالمتفلسفين وبعض الباطنيّة والروافض
وغلاة المتصوّفة واصحاب الاباحة فانّ هؤلاء زعموا انّ ظواهر
الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عمّا كان ويكون

من امور الآخرة

من امور الاخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شئ
على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق
على جهة المصلحة لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصورافهامهم
فمضمن مقالاتهم ابطال الشرائع وتعطيل الاوامر والنواهي
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اوصاف الى
نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به
او شك فى صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد
من الانبياء او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو
كافر باجماع وكذلك تكفر من ذهب مذهب القدماء فى ان فى كل
جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب
والدود ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك
يؤدى الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم المذمومة
وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة
بما تقدم وبنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود
اومات قبل ان يلتحى وليس الذى كان بمكة والحجاز وليس بقرشى
لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفى له وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية
من اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالحميية
القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة
على فى الرسالة للنبى صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل
امام عند هؤلاء يقوم مقامه فى النبوة والحجة وكالبزيغية
والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان واشباه هؤلاء

هؤلاء او من ادعى النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ
بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة وكذلك
من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد الى
السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء
كلهم كفار مكذبون النبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر انه
خاتم النبيين وانه ارسل كافة للناس واجمعت الامة على حمل
هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تأويل ولا
تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا
وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب
او خصص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره
كتكفير الخوارج ببطلان الرجم ولهذا يكفر من دان بغير ملة المسلمين
من الملل ووقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع
ذلك الاسلام واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه
فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وكذلك يقطع بتكفير
كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة
كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الامة بعد النبي
صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم يتقدم
ويطلب حقه في التقديم وهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا
الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ نا قلوه
كفرة على زعمهم والى هذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه
بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله
عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى علي وهو يعلم
انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله

محمد

محمد واله وصحبه وسلم وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون
على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام
مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب
والنار والسعي الى الكنائس والبيع مع اهلها والتزيي بزيهم
من شد الزنار وفحص الرؤس فقد اجمع المسلمون ان هذا
لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح
فاعلها بالاسلام وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل
القتل او شرب الخمر والزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب
الاباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع
بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من قواعد الشرع وما عرف
يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم
ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الخمس الصلوات
وعدد ركعاتها وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في
كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفة
والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص جلي والخبر به عن
الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك اجمع على تكفير
من قال من الخوارج ان الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية
في قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبائث
والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة
ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم افضت بهم
الى اسقاطها واباحة كل شئ لهم ورفع عهد الشرائع عنهم
وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او صفة
الحج وقال الحج واجب في القران واستقبال القبلة كذلك ولكن

كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة وهي مكة والبيت
والمسجد الحرام لا ادرى هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين
ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا
ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن به علم
ذلك وممن خالط المسلمين وامتدت صحبته لهم الا ان يكون
حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك ان سأل عن هذا الذي
لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن
كافة الى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ان هذه الامور
كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو
الكعبة والقبلة التي صلى اليها النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي
صفات عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمون وان صفات الصلاة المذكورة هي التي
فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك
وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم والارتياب بذلك
بعد والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين
كافر باتفاق لا يعذر بقوله لا ادرى ولا يصدق فيه بالظاهر
المستمر عن التكذيب اذ لا يمكن انه لا يدرى وايضا فانه اذا جوز
على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك واجمعوا انه
قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة في جميع
الشريعة اذ هو الناقلون لها وللقرآن وانحلت عرى الدين كرة
ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا
منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او زعم

انه ليس

انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم اوليس فيه حجة ولا
معجزة كقول الفوطي ومعمر الصيمري انه لا يدل على الله ولا حجة
فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما
بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم حجة له اوفي خلق السموات والارض
دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله
عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك
من انكر شيئا نص فيه بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس
ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام
واحتج لانكاره امّا بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به
اولتجويز الوهم على ناقليه فتكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب
للقرآن ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستريد عواه
وكذلك من انكر الجنة اوالنار اوالبعث والحساب والقيمة فهو كافر
باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر
والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهرها وانها لذات روحانية
ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطلية وبعض
المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت اوفناء محض وانتقاض
هيئة الافلاك وتحليل العالم لقول بعض الفلاسفة وكذلك
نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء
قال من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلدان التي
لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين
كانكار غزوة تبوك اوموتة اووجود ابي بكر وعمر اوقتل عثمان

وخلافة علي رضي الله عنهم مما علم بالنقل ضرورة وليس في
انكاره بجحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار
وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام
وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي رضي الله عنه من خالفه
فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين
اجمع فتكفيره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر
الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر
المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل
من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه
عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له
الهدى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد سبر
فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير
من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير
من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب آخرون
الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير
النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف
على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول
عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو
العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا رأي الا ان يكون
هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله
او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل
على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه
من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها

الجهل

الجهل بالله تعالى والثانى ان يأتى فعلا او يقول قولا يخبر
الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر
كالسجود للصنم والمشى الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها
فى اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكون معه العلم
بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا جهلا بالله فهما علم
ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة
من صفات الله تعالى الذاتية او وجدها مستبصرا فى ذلك
كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك
من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع
على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها وعلى هذا
حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو لا يكفر
المتاولين كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات
فاختلف العلماء ها هنا فكفره بعضهم وحكى ذلك عن ابى
جعفر الطبرى وغيره وقال به ابو الحسن الاشعرى مرة وذهبت
طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن اسم الايمان واليه رجع الاشعرى
قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا
وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء
بحديث السوداء ان النبى صلى الله عليه وسلم انما طلب
منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله على وفى رواية
فيه لعلى اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا ولو بحث اكثر
الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا
الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه احدها
ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه فى القدرة على احيائه

بل في نفس البعث الذي لا يعلم الا بالشرع ولعله لم يكن ورد
عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا
فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقول او قد يعني
ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها
وقيل ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه بما استولى
عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل
كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل
بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق
وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله لعله
يتذكر او يخشى وقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له
ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب
المعتزلة فمن قال بالمآل الى ما يؤدي اليه قوله ويسوقه اليه
مذهب لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم
الا من له علم فكأنهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا
عد هذا سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم
ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير
اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم
ونحن ننتفي من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن
وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى
هذين المأخذين اختلف الناس في اكفار اهل التأويل فاذا
فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك والصواب
ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء

حكم الاسلام عليهم فى قصاصهم وموارثاتهم ومناكحاتهم وديانتهم والصلاة عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وتشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشأ على ذمن الصحابة وبعدهم فى التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال فما اذا حوالهم قبراً ولا قطعوا لاحد منهم ميراثاً لكنهم هجروهم وادبوهم بالنفى والضرب والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافاً لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضى ابوبكر واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح اذ ليس فى الجهل بشئ منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئاً منها وقد قدمنا فى الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف فى هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى فصل هذا حكم المسلم التائب لله تعالى واما الذمى فروى عن عبد الله بن عمر فى ذمى تناول من حرمة الله غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك فى كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم فى المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى به كفروا قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا يسلم قال فى المبسوطة

طوعا قال صبغ لان الوجه الذى به كفروا هو دينهم وعليه
عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا
من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد قال
ابن القاسم فى كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان لله تعالى
بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومى
فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم لا يقتل حتى يستتاب
مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك
مثل قول مالك وقال ابو محمد ابن ابى زيد من سب الله تعالى بغير
الوجه الذى به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب
قبل وذكرنا قول عبد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين
فى النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذى كفرت به
لله تعالى والنبى واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر
فيمن سب النبى صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذى كفر به
ولا فرق فى ذلك بين من سب الله تعالى به وسب نبيه لانا عاهدناهم
ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك
فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء
فى الذمى اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ
لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك ابن الماجشون
يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ عليه جزية قال
ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح
بسبه واضافة ما يليق بجلاله والاهيته فاما مفترى الكذب
عليه تبارك وتعالى بادعاء الهيته او الرسالة او لنا فى ان يكون
الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب او المتكلم بما لا يعقل

من ذلك

من ذلك في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك
ومدّعيه مع سلامة عقله كما قدّمناه لكنّه تقبل توبته على
المشهور وتنفعه انابته وتنجّيه من القتل فيشته لكنّه لا يسلم
من عظيم النكال ولا يرقّه عن شديد العقاب ليكون ذلك زجرا
لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرّر ذلك
منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب
توبته وصار كالزّنديق الّذي لا يؤمن باطنه ولا يقبل رجوعه
وحكم السّكران في ذلك حكم الصّاحي واما المجنون والمعتوه فما علم
انّه قاله من ذلك في حال عمرته وذهاب ميزه بالكليّة فلا نظر فيه
وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله وسقط
تكليفه ادّب على ذلك ليزدجر عنه كما يؤدّب على قبائح الافعال
ويوالى ادبه على ذلك حتّى ينكفّ عنه كما تؤدّب البهيمة على سوء
الخلق حتّى تراض وقد حرّق علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه
من ادّعى الالهيّة له وقد قتل عبد الملك بن مروان الحرث المتنبّى
وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم
واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم والمخالف من ذلك من كفّرهم
كافر واجمع فقهاء بغداد ايّام المقتدر من المالكيّة وقاضى
قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاّج وصلبه لدعواه الالهيّة
والقول بالحلول وقولنا انا الحقّ مع تمسّكه في الظّاهر بالشّريعة
ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن ابى العراقيد وكان على نحو
مذهب الحلاّج بعد هذا ايّام الرّاضى وقاضى قضاة بغداد
يومئذٍ ابو الحسين ابن ابى عمر المالكى وقال ابن عبد الحكم في المبسوط
من تنبّأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد انّ الله خالقه اوربّه

او قال ليس في رب فهو مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد
والعتبية من تنبأ يستتاب سرّ ذلك او اعلنه وهو كالمرتد
وقاله سحنون وغيره وقال اشهب في يهودي تنبأ وادعى انه رسول
الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل وقال
ابو محمد ابن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زلّ وانما اراد
لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول
الاخر من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران
قال انا الله انا الله ان تاب أدّب فان عاد الى مثل قوله طوّل مطالبة
الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم
من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه
بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلاله مولاه او يمثّل بعض
الاشياء ببعض ما عظّم الله من ملكوته او نزع من الكلام لمخلوق
بما لا يليق الا في حق خالقه غير قاصد الكفر والاستخفاف ولا عامد
الالحاد فان تكرّر هذا منه وعرف به دلّ على تلاعبه بدينه
واستخفافه بحرمة ربه وجهله بعظم عزّته وكبريائه وهذا كفر
لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده يوجب الاستخفاف
والتنقص بربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من فقهاء
قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر
فقال بدأ الخزاز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب
الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن
سفك دمه واشاروا الى انه عبث من القول يكفى فيه الادب
وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى ابن زياد فقال ابن حبيب
دمه في عنقي ايشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له اذا لعبيد سوء

ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد الرحمن
بن الحكم الاموى وكانت عجب عمة هذا المطلوب من خطاياه
واعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول
ابن حبيب وصاحبه وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين
وعزل القاضى لتهمته بالمداهنة فى هذه القصة وتوبخ بقية
الفقهاء وستبهم واما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة
والفلتة الشاردة مالم يكن تنقصا وازراء فيعاقب عليها
ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها
وشرح سببها ومقاربها وقد سئل ابن القاسم رحمة الله عن
رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك قال ان كان جاهلا اوقاله
على وجه سفه فلا شئ عليه قال القاضى ابو الفضل وشرح قوله
انه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها
على اعتقاد انزاله منزلة ربه كفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف
كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم فى هذا الباب واستخفوا
عظيم هذه الحرمة فاقوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا
عن ذكره ولولا اناقصدنا نصر مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا
مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه فى هذه الفصول واما ما ورد
فى هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب
رب العباد مالنا ومالكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل
علينا الغيث لا ابا لكا فى اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه
ثقاف تأديب الشريعة والعلم فى هذا الباب فقل ما يصدر
الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العوده الى مثل
قال ابو سليمان الخطابى وهذا تهور من القول والله تعالى منزه

عن هذه الامور وقد روينا عن ابن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان بعض من ادركنا من مشائخنا قل ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته فكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء يتمندلون بالله جل وعز وتنزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب سائر النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والله الموفق للصواب فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الاية وقال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم وتنقصه قتل ولم يستتب ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الكلام في هذا الاصل وقال

القاضي

القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سبّ الله
وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكاً من الملائكة فعليه
القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحي
وانما كان النبيّ علي بن ابي طالب استتيب فان تاب والا قتل
ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابيّة من الروافض سمّوا بذلك
لقولهم كان النبيّ اشبه بعليّ من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة
واصحابه على اصلهم من كذّب باحدٍ من الانبياء او تنقص احداً منهم
او برئ منه فهو مرتدّ وقال ابو الحسن القابسيّ في الذي قال الاخر
كأنه وجه مالك العضبان لو عرف انه قصد ذمّ الملك قتل فصل
قال القاضي ابو الفضل وهذا كلّه فيمن تكلّم فيهم بما قلناه
على جملة الملائكة والنبيّين او على معين ممّن حققنا كونه من
الملائكة والنبيّين ممن نصّ الله عليه في كتابه او حققنا علمه
بالخبر المتواتر والمشتهر المتّفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل
وميكائيل وملك الموت وخزنة الجنّة وجهنّم والزبانيه
وحملة العرش المذكورين في القرآن من الملائكة ومن سمّي فيه
من الانبياء كعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر
ونكير من الملائكة المتّفق على قبول الخبر بهما فاما من لم تثبت
الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء
كهاروت وماروت من الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين
ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه نبيّ اهل الرسّ
وزرادشت الذي تدّعي المجوس والمؤرّخون نبوّته فليس الحكم
في سابّهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدّمناه اذ لم تثبت لهم
تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقّصهم وآذاهم ويؤدّب بقدر

حال المعول فيه لاسيما من عرفت صديقيته وفضله منهم
وان لم تثبت نبوته واما انكار نبوتهم او كون الاخر من الملائكة
فان كان المتكلم فى ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء
فى ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض فى مثل هذا
فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام فى مثل هذا وقد كره السلف
الكلام فى مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة
فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشئ
منه او سبهما او جحده او حرفا منه او آية او كذب به او بشئ
منه او كذب بشئ مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت
ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او شك فى شئ من ذلك
فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله حدثنا
ابو على حدثنا ابن عبد البر حدثنا ابن عبد المؤمن حدثنا
ابن داسة حدثنا ابو داود حدثنا احمد بن حنبل حدثنا يزيد بن
هرون حدثنا محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال المراء فى القرآن كفر تؤول بمعنى الشك
وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله
عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله تعالى من المسلمين فقد حل
ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة
او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع
المسلمون ان القرآن المتلو فى جميع اقطار الارض المكتوب
فى المصحف بايدى المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله

رب العالمين

رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى
ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع
ما فيه حق وان من نقص منه حرفاً قاصداً لذلك او بدل له
بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف
الذى وقع الاجماع عليه واجمع انه ليس من القرآن عامداً لكل
هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها
بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل اى لانه كذب
بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليماً
يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدى وقال محمد بن سحنون فيمن
قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تعالى تضرب عنقه الآن يتوب
وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد عدل
على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليماً وشهد آخر عليه
انه قال ان الله تعالى ما اتخذ ابراهيم خليلاً قتل لانهما اجتمعا
على انه كذب النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان ابن
الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف
من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ عنده رجل لم يقل له
ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك ابراهيم فقال
اذا سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله بن
مسعود رضى الله عنه من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله
وقال اصبغ ابن الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله
ومن كذب به كله فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه
وقد سئل القابسى عن من خاصم يهودياً فحلفه بالتورية
فقال الاخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهدان شهد

اخرانه ساله عن القضية فقال انما لعنت توراة اليهود فقال
ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثانى علق
الامر بصفة تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين
بشئ من عند الله تعالى لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان
على لعن التوراة مجردا لصاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد
على استتابة ابن شنبوذ المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين لها مع ابن مجاهد لقراءته واقرائه بشواذ من الحروف
مما ليس فى المصحف وعقدوا عليه بالرجوع عنه والتوبة
منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه فى مجلس الوزير
ابى على ابن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وكان
فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهرى وغيره وافتى ابو محمد
ابن ابى زيد بالادب فيمن قال لصبى لعن الله معلمك وما علمك
وقال اردت سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من
لعن المصحف فانه يقتل فصل وسب آل بيته وازواجه
واصحابه صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وتنقصهم
حرام ملعون فاعله حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله
حدثنا ابو الحسين الصيرفى وابو الفضل العدل حدثنا
ابو يعلى حدثنا ابو على السنجى حدثنا ابن محبوب الترمذى
حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا عيينة ابن
ابى رائطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى
الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم
فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم

فقد اذانى

فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان يأخذه
وقال رسول صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فمن سبهم
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابى فانه يجئ قوم فى آخر الزمان يسبون اصحابى فلا تصلوا
عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا
فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب اصحابى
فاضربوه وقد علم النبى صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم
يؤديه وايذاء النبى صلى الله عليه وسلم حرام فقال
لا تؤذونى فى اصحابى فمن اذاهم فقد اذانى وقال لا تؤذونى
فى عائشة وقال فى فاطمة رضى الله عنها بضعة منى يؤذينى
ما اذاها وقد اختلف العلماء فى هذا فمشهور مذهب مالك
فى ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم
النبى صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال
ايضا من شتم احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معوية او عمرو بن العاص
رضى الله عنهم فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم
بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب
من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا
شديدا ومن زاد الى بغض ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فالعقوبة
عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل
الا فى سب النبى صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا
من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما

يوجع ضربا وحكى ابو محمد ابن ابى زيد عن سحنون من قال فى ابى بكر
وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم كانوا على ضلالة وكفر
قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد
وروى عن مالك من سب ابا بكر رضى الله عنه جلد ومن عائشة
رضى الله عنها قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن
وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا
لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن
الصقلى ان القاضى ابا بكر ابن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر
فى القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه كقوله
تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه فى اى كثيرة وذكر تعالى
ما نسبه المنافقون الى عائشة رضى الله عنها فقال ولولا
اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا
بهتان عظيم سبح نفسه فى تنزيهها من السوء كما سبح نفسه
فى تنزيهه من السوء وهذا يشهد لقول مالك فى قتل من سب
عائشة رضى الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى
لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه صلى الله
عليه وسلم وقرن سب نبيه واذاه باذاه تعالى وكان حكم
مؤذيه تعالى القتل كان مؤذى نبيه صلى الله عليه وسلم
كذلك كما قدمناه وشتم رجل عائشة كرمها الله بالكوفة
فقدم الى موسى ابن عيسى العباسى فقال من حضر هذا فقال
ابن ابى ليلى انا فجلد ثمانين وحلق رأسه واسلمه فى الحجامين
وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نذر قطع لسان
عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم فى ذلك

فقال

فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم وروى ابو زرعة وروى ان عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه اتى باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة
لكفيتكموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله تعالى الفيء في
ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الاية ثم قال والذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الاية وهؤلاء الانصار ثم قال
والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان الاية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين
وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية
وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه
ولا اجعله كقاذف الجماعة في كملة لفضل هذا على غيره ولقوله
صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف
احدهم وهي كافرة حد حد القرية لانه سب له فان كان احد
من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام به من المسلمين
كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة
لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه الامام
واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيه قولان احدهما يقتل
لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسبب حليلته والاخر انه
كسائر الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى
ابو مصعب عن مالك من انتسب الى اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته

لانه استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف
الشعبى فقيه مالقة فى رجل انكر تحليف امرأة بالليل وقال لو كانت
بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنه ما حلفت الا بالنهار وصوب
قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا الابنة ابى بكر
رضى الله عنهما فى مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل
والفقيه الذى صوب قوله هذا هو احق باسم الفسق من اسم الفقه
فتقدم اليه فى ذلك ويزجر ولا يقتل فتواه ولا شهادته وهى جرحة ثابتة
فيه ويبغض فى الله عز وجل وقال ابن عمران فى رجل قال لو شهد على ابو بكر
الصديق انه كان فى مثل ما لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شئ
عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت وذكروها
رواية قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه هنا انتهى القول بنا فيما
حررناه وانجز الغرض الذى انحيناه واستوفى الشرط الذى شرطناه
مما ارجو ان يكون فى كل قسم منه للمريد مقنع وفى كل باب منه منهج الى بغيته
ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت فى
مشارع من التحقيق لم يورد لها قبل فى اكثر التصانيف مشرع واودعته
غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلى الكلام فيه اومقتدى
بفيد منه عن كتابه اوفيه لاكتفى بما ارويه عما ارويه والى الله تعالى جزيل
الضراعة فى المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين
وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه من شرف
مصطفاه وامين وحيه واسهر تابه جفوننا لتتبع فضائله واعملنا فيه
خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمى اعراضنا عن ناره الموقدة
لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذا ذيد المبدل عن حوضه
ويجعله لنا ولمن تهتم باكتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه

ودخيره

وذخيرة تجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا نحوز بها
رضاه وجزيل ثوابه ويخصنا بخصيصي زعرة نبينا وجماعته ويحشرنا
في الرعيل الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمده تعالى
على ما هدى اليه من جمعه والهمه وافتح البصيرة لدرك حقائق
ما اودعناه وفهمه ونستعيده جل اسمه من دعاء لا يسمع وعلم
لا ينفع وعمل لا يرفع وهو الجواد الذي لا يخيب من امله ولا ينتصر
من خذله ولا يرد دعوة القاصدين ولا يصلح عمل المفسدين
وهم حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

تمت الكتاب بعون الله الملك الوهاب
عن يد علي بن عبد الغني غفر الله
ذنوبهما وستر عيوبهما ولصحاب
الخيرات من المسلمين
اجمعين عامة
سنة ١٢٤٤ هـ